

أوسكار بيستوريوس

العداء المعجزة



مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم
MOHAMMED BIN RASHID
AL MAKTOUM FOUNDATION

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.



العداء المعجزة

تأليف

أوسكار بيستوريوس

ترجمة

مهى عز الدين

مراجعة وتحرير

مركز التعريب والبرمجة



مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم
MOHAMMED BIN RASHID
AL MAKTOUM FOUNDATION



الدار العربية للعلوم ناشرون
ش.م.ل.
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي

Blade Runner

حقوق الترجمة العربية مرخص بها قانونياً من الناشر

Virgin

بمقتضى الاتفاق الخطي الموقع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.

Copyright © Oscar Pistorius 2009

All rights reserved

Arabic Copyright © 2009 by Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

الطبعة الأولى

1431 هـ - 2010 م

ردمك 978-9953-87-805-8



مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم
MOHAMMED BIN RASHID
AL MAKTOUM FOUNDATION

tarjem@mbrfoundation.ae

www.mbrfoundation.ae

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل.
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L



عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم

هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)

ص.ب: 5574-13 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان

فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb

الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

إن مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم والدار العربية للعلوم ناشرون غير مسؤولتين عن آراء وأفكار المؤلف. وتعتبر الآراء الواردة في هذا الكتاب عن آراء المؤلف وليس بالضرورة أن تعبر عن آراء المؤسسة والدار.

التتضيد وفرز الألوان: أبجد غرافيكس، بيروت - هاتف 785107 (9611+)

الطباعة: مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت - هاتف 786233 (9611+)

المحتويات

7	مقدمة: بريتوريا، حزيران من العام 2008.....
11	الفصل الأول: بصمات.....
27	الفصل الثاني: صنع على القياس.....
45	الفصل الثالث: الأميرة والملاك.....
61	الفصل الرابع: عش ساعتك.....
75	الفصل الخامس: الصيف الأكثر برودة.....
85	الفصل السادس: المرة الأولى.....
105	الفصل السابع: فريد من نوعه؟ الطبيعي في مواجهة المتميز.....
121	الفصل الثامن: الفتى الذهبي.....
135	الفصل التاسع: السباحة عكس التيار.....
147	الفصل العاشر: خط النهاية.....
163	الفصل الحادي عشر: بكين.....
	الرسالة الأولى: كارل بيستوريوس إلى أوسكار بيستوريوس،
175	بريتوريا، 4 أيار 2008.....
	الرسالة الثانية: هينك بيستوريوس إلى أوسكار بيستوريوس،
185	كيب تاون 6 حزيران 2008.....

مُقَدِّمَةٌ

بريتوريا، حزيران من العام 2008

"الخاسر الحقيقي ليس هو مطلقاً آخر شخص يعبر خط النهاية، بل هو ذاك الذي يجلس جانباً. إنه الشخص الذي لم يُقدِّم حتى علي محاولة التنافس". تلك كلمات خطتها لي والدتي حين كنت طفلاً رضيعاً، وقبل أن يجري لي الجراحون عملية البتر الثنائية بقرابة خمسة أشهر. وقد احتفظت لي بها كي أقرأها عندما أصبح راشداً.

لطالما أردت المشاركة والتنافس، لقد رغبت بالركض والسباحة ولعب الكريكت والركبي. أردت أن أقود سيارة، وبالطبع، دراجة نارية. لطالما تاقت نفسي إلى أن أحيا الحياة بصورة طبيعية. سأصدقكم القول، إنني لا أنظر إلى نفسي على أنني معوق. لديّ حدود، إنما من منا ليس لديه حدود. وأنا بدوري شأن كثيرين غيري، أملك الكثير من المواهب.

إن هذا الموقف يتكامل مع طريقة مقاربة أفراد أسرتي للحياة. وفلسفتهم هذه هي التي جعلتني الشخص الذي أنا عليه اليوم: "ذاك هو أوسكار بيستوريوس، تماماً كما يجب أن يكون. إنه متصالح مع نفسه". لقد تمت تنشيتي، مع كل من أختي وأخي، على قاعدة صارمة واحدة مفادها أنه ما من أحد يُسَمَّح له بأن يتلفظ بعبارة: "لا أستطيع".

لعل هذا ما حدا بجياني لأن تكون على هذه الدرجة من التميز. على مر الأعوام، أتحت لي الفرصة لأن أتحدث مع الكثير من الناس (كما وقرأت رسائلهم الموجهة إليّ)، وقد توصلت إلى فهم الطريقة التي يمكن من خلالها لتلي أن يكون مصدر إلهام لأولئك الذين قد عانوا مشاكل بدنية وكافحوا نتائجها مثلي، إنما لم يفت ذلك في عضدهم، ولم يجعلهم يركنون إلى المرتبة الثانية في الحياة. ويمكن لهذا أن ينطبق أيضاً على الآخرين الذين توجب عليهم أن يتغلبوا على عقبات ذات طبيعة مختلفة في حياتهم.

لأجل هذا السبب قررت أن أروي قصتي: عن صبي كالأته أسرته. بمحبتها، ومؤازرتها، وتشجيعها. وعن شاب خبير الأسى الأعمق في حياته بفقدانه لوالدته الأحب إليه، وعن رجل يطارد حلمه بأن يصبح رياضياً. ليس رياضياً معوقاً، بل ببساطة مجرد رياضي.

أوسكار



الفصل الأول

بصمات

اسمي هو أوسكار كارل لينارد بيستوريوس. ولدت لأبوين هما شيلا وهينك بيستوريوس في 22 تشرين الثاني من العام 1986، في مستوصف ساندتون، في جوهانسبيرغ. بالنسبة إلى والديّ فقد كنت طفلاً بديعاً، وكان وزني عند الولادة 3 كيلوغرامات و300 غرام، إنمّا بدوت مجهولاً بالنسبة إليهما. لقد ولدت مع نقص في عظمتين هامّتين في كلّ من ساقيّ: إنّها القصبة الصغرى، أي العظمة الخارجية من الساق. تمتد هذه العظمة بالاشتراك مع عظمة الساق الكبرى من الكاحل إلى الركبة، وتقومان معاً بحمل ثقل الجسم بأكمله. إضافة إلى أن قدميّ كانتا مشوهتين، إذ ينقصهما الجزء الخارجي. أي لتبسيط الصورة، كانت كل قدم تحوي إصبعين فقط - الإبهام والسبابة - مع العظام الداخلية والكعب. لم يلحظ أي من الطاقم الطبي الذي كان موجوداً حين ولادتي التشوه في قدميّ الصغيرتين؛ لقد كان والدي هو أول من لحظ اختلاف شكليهما. وعليه، فقد أخذ والداي يطرحان أوائل ما سيشكل لاحقاً سلسلة طويلة من الأسئلة. وقد كان أمراً يقينياً بالنسبة إليهما أنّهما سيفعلان كل ما يتطلبه الأمر لإيجاد حل.

من حسن الحظ بالنسبة إليّ أنّي لم أضطر إلى اعتصار من حولي للحصول على الأجوبة، فمنذ البداية كان كل شيء معروفاً علناً. وإنّما

لا تحصى المرات التي سمعت فيها قصة الرحلات التي قطعها والداي إلى من برزوا في مجال الطب، لاستشارتهم في حالتي، في الأشهر التي تلت ولادتي. لم يشعر والداي بالحنج أو الإحراج يوماً من مناقشة وضعي معي وأمامي، ناهيك عن تحذيرهما فيه أمام أخي وأختي وأمام كل من قدم إلى منزلنا لأسباب متنوعة، وحتماً وجداً سبيلاً في النهاية للسؤال عن آخر مستجدات حالتي الطبية. لقد أخذ والداي وقتهم في الإجابة عن الأسئلة ببساطة ووضوح، شارحين ما يعلمانه عن الوضع، والأسباب التي دفعتهم للانطلاق في ما يشبه رحلة الحجيج لاستشارة أفضل الأطباء في هذا المجال، ولماذا كانا يلتزمان رأياً ثانياً وثالثاً عن حالتي (الآراء التي كثيراً ما كانت مختلفة كلياً عن بعضهما). كل خطوة قطعناها على ذلك الطريق كانت تفضي بهما إلى معرفة أكثر للمشكلة البدنية من جهة، ولماهية الخيارات المتاحة أمامي من جهة أخرى. لم يكن أحد قادراً على تثبيط همتهما، وإنني لأحمل لهما احتراماً عميقاً لأن الأمر حتماً لم يكن سهلاً. إنما من ناحية أخرى، فإن آل بيستوريوس أناس يتميزون بالصلابة.

لا بد من أن حالة الإرباك كانت صعبة بشكل خاص على والدي لأن وضعي لم يكن مستقيماً ومباشراً، فحالتي كانت معقدة وأيضاً نادرة. وبوجود التشوه الولادي في قصبتي ساقتي، باتت حقيقة أنني لن أمشي يوماً وأني سأضطر إلى الاعتماد على الكرسي المتحرك نتيجة محسومة عند الكثيرين. أما والداي فقد شاهدا الأمر من منظور آخر، وعليه فقد شرعا في البحث في البدائل المحتملة كافية، والتي يمكن لها أن تتيح لي الفرصة في الحياة بشكل أقرب ما يكون "طبيعياً". وفي الحين الذي توصلنا فيه إلى قرار، كانا قد التقيا بأحد عشر أخصائياً في البتر، وشقاً طريقهما مخترقين وابلأً من الأفكار.

في نهاية كل استشارة، كان والدي يطرح على الطبيب الجراح سؤالاً واحداً فقط: "لو أنه كان ولدك، ولم تكن قادراً على إجراء العملية بنفسك، فيل من كنت ستلجأ؟". بهذه الطريقة تمكن والداي من تشكيل شبكة من الجراحين الاستثنائيين والأشخاص الموثوقين؛ بالرغم من أن ذلك لم يكن ليشكل حماية مطلقة من الدجالين، إلا أنه كان ذا فعالية أكثر مما قد يعتقد المرء في البداية.

عمرور الوقت استطاع والدي أن يطور خبرة معتبرة حول الموضوع: لقد قرأ وبحث في الموضوع على نحو شمولي، وأصغى بانتباه إلى الشروحات التي كان مختلف الأخصائيين يقدمونها، لذا، فعندما كان يجد نفسه أمام جراح يوصي بإجراء ما كان برأيه عملية بتر متطرفة (كأن يكون البتر فوق الركبة عوضاً عن أسفلها، الأمر الذي لم يكن منطقياً بأي حال، بالنظر إلى أن المفصل كان سليماً بشكل ممتاز) عندها كان يرفض بثبات دفع الفاتورة. وهذا يشكل مثلاً نموذجياً للموقف الذي يتخذه آل بيستوريوس تجاه الحياة. فلم يكن والدي ليغفر للطبيب التهور الذي غلّف نصيحته، فمن وجهة نظره كان ذاك تصرفاً لا مسؤولاً من الناحية المهنية. ولا ريب في أن الطبيب كان يفهم الخطأ في طريقته عندما كان والدي يرد على فاتورته بفاتورة خاصة به، يعدد فيها نفقاته هو، فلا نعود نسمع منه بعد ذلك شيئاً.

خلال فترة الاستشارات تلك، احتفظ والداي بأرشيف احتوى على الآراء الطبية والوثائق كافة المتعلقة بحالتي. لقد استحوذ على تفكيرهما ما سأكون عليه، ومن سأكون، بالإضافة إلى كيف سيكون شعوري كشخص بالغ تجاه قرارهما. لقد أرادا التيقن من أنني إن نظرت إلى الوراء متأماً خياراً في يوم من الأيام، وكنت غير سعيد

بالمنعطفات التي اتخذتها حياتي، فسأكون قادراً على العودة إلى تلك الفترة وفهم الأسباب المنطقية التي حدثت بهما لاتخاذ هذا القرار. لقد توجب عليهما أن يحسما الأمر عوضاً عني، غير أن المدى الواسع الذي تراوحت فيه وجهات نظر مختلف الأطباء الذين استشاراهم، جعلت شعورهما مضاعفاً بخطورة خيارهما. وإنني لا يسعني سوى أن أنخيل مدى صعوبة اتخاذ قرار كهذا بالنسبة إليهما، وكم كان عظم المسؤولية شديد الوطأة عليهما.

بعض الأطباء اقترحوا بتر القدم اليمنى وحسب في محاولة لإجراء عملية إعادة بناء لليسرى التي كانت أقل تشوهاً بقليل. وبعد جولة بحث عالمية، قرر والداي اللجوء إلى الأطباء الثلاثة الذين هم الأفضل، والطلب إليهم أن يتأزروا ليتدارسوا حالتي. وكان من حسن الحظ أن أحد هؤلاء الأطباء، ويدعى غيري فيرسفيلد، كان من جنوب أفريقيا. فإذا ما قرر والداي المضي قدماً في الإجراءات، فسيكون هو الجراح المختار لأداء العملية.

كان غيري مقتنعاً بأنه في حال كان والداي مستعدين لاتخاذ قرار جريء وشجاع يتم على أساسه بتر ساقتيّ كليهما من أسفل الركبة في حين كنت طفلاً صغير السن بشكل كافٍ، فإنني سأتعلم المشي بطرفين اصطناعيين بمتاعب أقل. أساس الفكرة، أنه إن تم البتر المزدوج قبل أن أتعلم المشي فلن أعرف أصلاً كيف يكون شعور المشي على قدمي، وبذلك فلن أعاني من صدمة فقداهما. كما أخبر غيري والديّ أنه قد أجرى من قبل عمليات من هذا النوع وتكلمت بالسنجاح، وكانت نتائجها جيدة جداً. بالإضافة إلى أنه قد عرض حالتي للمناقشة في مؤتمر أميركي دولي هام لعمليات البتر، يشارك فيه نخبة الأخصائيين في هذا المجال من أنحاء العالم، وذلك كي يجمع

المزيد من المعلومات ويولد المزيد من الآراء عن الحالة: لقد حصل على اتفاق بالإجماع على رأي البتر الثنائي.

إن ما شكّل عامل الحسم بالنسبة إلى والديّ كان حين طلبا مقابلة أطفال ممن قد سبق إجراء العملية لهم، ليشاهدوا طريقة مشيهم، وكى يكوننا فكرة عما يمكن أن يتوقعاه لمستقبلي. وعند وصولهما إلى مركز الأطراف الاصطناعية في بريتوريا، أخذتهما الدهشة حين أدركا أن الفتى الذي كانا يراقبانه وهو يركض حول الحديقة قبل دقائق، كان هو الفتى نفسه الذي ينتظر ليقابلهما. لم يتخيلا البتة أنه يمكن لأحد قد خضع لعملية بتر ثنائية أن يكون بهذه الرشاقة، وكانا شديدي الإعجاب والتأثر بثقة الفتى الهادئة بنفسه بينما كان يروي لهما قصته.

لقد حوت قصته عناصر مطابقة تماماً لما كان بعض الأطباء قد اقترحوه على والديّ. فقد خضع هذا الفتى، الذي كان في الثانية عشرة من عمره عند لقائه والديّ، لعمليات ترميم وإعادة بناء متعددة وهو طفل رضيع. وبطريقة ما، استلزمت جهداً عظيماً من جانبه، استطاع تعلم المشي، فكان يتحرك بكثير من الإرباك والافتقار إلى التناسق الحركي لدرجة جعلت من عاميه الأولين في المدرسة أشبه بالكابوس، بسبب سخرية الأولاد منه التي لم تنقطع. فقد واظب الصغار على مضايقته واستبعده من ألعابهم لأنه كان مختلفاً عنهم، وافترضوا أن طريقة عدوه غير المتوازنة تعني أنه ناقص عقلياً. لقد كان طفلاً وحيداً وكتيباً. ومن ثم التقى والداه بالدكتور غيري فيرسفيلد، وقرروا معاً التخلّي عن مشروع عمليات إعادة الترميم، والانتقال إلى بتر الساقين كليهما. وبعد العملية، وبمساعدة الطرفين الاصطناعيين، تعلم أن يمشي بسهولة وحتى أن يمارس الرياضة. لقد قررت عائلته أن تغير مدرسته

لتمنحه بداية جديدة "كطفل عادي"، وهو الآن في غاية السعادة، ويشعر أنه وذويه قد اتخذوا القرار الصائب.

لقاء والديّ مع ذاك الفتى كان له عظيم الأثر في نفسيهما. فهذا هو ذا أمامهما فتى مراهق سعيد، موفور الصحة، رياضي، ومعتمد على ذاته، إنه المثال الأكمل لما تمنى والداي أن أصبح عليه في المستقبل. فالفرص المتاحة أمامه، والاستقلالية التي يتمتع بها هي تماماً ما كانا نطمح به لأجله.

هكذا، وبعد مضي أشهر من محادثات الطاولة المستديرة الأولية تلك، أُتخذ قرار الخضوع لعملية البتر. فأجرى لي الدكتور غيري فيرسفيلد العملية وأنا في الشهر الحادي عشر من عمري. إن هذا الطبيب لإنسان رائع، وشخص عالي الخلق بحق؛ فعلى مدى الأعوام العشرين الماضية كان بحق صديقاً مقرباً لي ولأسرتي. إننا نتمتع بعلاقة في غاية الخصوصية، فقد لعب غيري دوراً حيوياً في حياتي بوصفه طبيباً من جهة وصديقاً من جهة أخرى. وقد كنت أقل ما يقال مبتهجاً حين سافر إلى أثينا لحضور الألعاب البارالمبية^(*) التي شاركت فيها في العام 2004.

تتعلق واحدة من القصص الأحب إلى والدي عن حياتنا في تلك الفترة، باليوم المحدد لإجراء عمليتي. لقد كان حينها في رحلة عمل خارج المدينة، وفي غمرة اجتماع بالغ الأهمية، أضحي التوتر أكبر من قدرته على الاحتمال. فنهض واقفاً، واستأذن من الحضور شارحاً أنه يتوجب عليه المغادرة لأن ابنه يخضع لعملية بتر ثنائية لساقيه. لقد ركب أول رحلة بالطائرة توفرت له، إنما وصل إلى المستشفى مساءً، أي بعد

(*) الألعاب البارالمبية: المنافسات الرياضية العالمية للمعوقين جسدياً.

ساعات من انتهاء العملية. وبينما كان يسير عبر العنبر متوجهاً إلى الغرفة التي وُضعت فيها سمعني أنتحب من الألم. فسارع لسؤال الممرضات عما إذا كنتُ قد أُعطيت الجرعة الكافية أو الصحيحة من مسكنات الألم، وحين لم تبدُ أيُّ من الممرضات قادرةً على إعطائه إجابة شافية، دفعه عزم آل بيستوريوس المعهود لأن يضع يده بطريقة ما على ملفي الطبي. لقد اكتشف ما كان أمراً مرعباً بالنسبة إليه، وهو أن الممرضات حين لم يستطعن العثور على مسكن الألم المناسب لحالي فقد اكتفين بإعطائي مسكناً أكثر اعتدالاً بكثير.

على الفور سارع والدي للاتصال بغيري هاتفياً، والذي هرع بدوره إلى المستشفى وهو لا يزال في رداء نومه وأثار عاصفة هناك. ومنذ تلك اللحظة، عوملت كأمرٍ صغير.

بعدها بستة أشهر، عندما كنت في الشهر السابع عشر من عمري وحسب، تلقيت أول زوجين من ساقّي الاصطناعيتين. كانتا مصنوعتين من الجص والشباك، مع طبقة من "الجلد" المصنوع من الليكرا، والملون حتى بلون البشرة. لقد صُنعتا على مقاسي تحديداً وكانتا مريحتين بشكل مدهش. لقد أحببتهما؛ ومنذ ذلك اليوم بتّ لا أقهر. لقد أضحي مغزى وجودي العثور على الأماكن الأكثر ارتفاعاً وغير المتوقعة لأتسلفها، فأنجح ثم أبدأ من جديد. لقد كانت طاقتي لا تعرف حداً، ولم أرَ أي سبب يمنع ساقّي الجديديتين من أخذني إلى أي مكان أحتاج أو أرغب بالذهاب إليه.

إنني لعلى يقين أن شخصيتي قد تكونت في تلك المرحلة من حياتي، وأن أسرتي كانت ذات عون كبير في إرساء حجر الأساس لطبيعتي التنافسية وللرجل الذي أنا عليه اليوم. كان أخي كارل يبلغ من العمر ثمانية عشر شهراً عند ولادتي، وقد كان واضحاً منذ البداية أنني

سأتبعه إلى أي مكان يقودني إليه، وحتماً لنخوض غمار أي مغامرة عابثة. كان يدفعني إلى الحدود القصوى لإمكاناتي، وما بعدها. لقد كنا تماماً مثل باز ووودي في فيلم قصة لعبة *Toy Story*.

أينما ذهب كارل كنت إلى جانبه، أما والدانا فعوضاً عن محاولة إيقافنا أو التخفيف من اندفاعنا - ففي النهاية، لقد كنت الطفل الذي يصنفه الناس بكلمة "معوق" - كانا بدلاً من ذلك يدفعاني إلى الأمام، ويشجعانني على محاولة كل شيء، وبشكل خاص كل أنواع النشاط البدني. ومع إدراكي المتأخر لطبيعة الموقف، بدأت أفقد كم كان حتماً أمراً صعباً بالنسبة إليهما أن يمنحاني مساحة الحرية كلها تلك، مقاومين طبيعتهما الغريزية كأبوين في أن يقياي من أي أذى محتمل.

بإتاحتهم لي هذا المقدار من الحرية، استطاع والداي أن يعلماني الاعتماد على ذاتي، والدفاع عن نفسي، والاعتناء بها أياً كانت الظروف، ومهما عظمت التحديات.

بحلول العام الثاني من عمري، أصبحت طفلاً مثيراً للمشاكل بحق، بشعر أشقر تمتد خصلاته حتى الكتفين (إنني لا أزال أشعر حتى اليوم بالخزي في كل مرة أرى فيها صوري مع سمك البوري)؛ وحوالي هذا الوقت تلقيت أول ساقين مع قدمين خشبيتين مغطاتين بالمطاط. في الثمانينيات لم تكن شركة نايكي Nike قد بدأت بعد بإنتاج نايكي توتال التسعينيات Nike Total 90s للأطفال، ولكنني أحببت حذاءي الصغيرين وصور ميكي ماوس تزين أطرافهما. لقد كانا ظريفين للغاية، وأتاحا لي أن أبدأ بوضع فاصل بيني وبين الأحذية الرياضية التقليدية، والتي تعرف في جنوب أفريقيا باسم تاكيز.

في حوالي الثالثة من عمري بدأت أعني بشكل كامل أن قدمي كانتا مختلفتين. لم يكن لدي أي اهتمام في معرفة ما إذا كانتا أفضل أو

أسوأ من الأقدام الأخرى، بل أنهما كانتا مختلفتين وحسب. في كل صباح بينما كان كارل ينتعل حذاءه، كنت بدوري أنزلق في طرفي الاصطناعيين؛ كان الأمر ذاته تماماً بالنسبة إليّ. كان لديّ أربعة أزواج من الأحذية: أحدهما زوجا ميكى ماوس للاستعمال اليومي، وزوجان آخران أكثر أناقة ليوم الأحد والمناسبات. فإن تغييت لسبب ما عن الذهاب إلى دار العبادة يوم الأحد، كان بإمكانى انتعال الحذاء نفسه لمدة أسبوعين كاملين. إنني أدرك أن الفكرة قد تصدم القارئ على أنها غريبة نوعاً ما، غير أنني لا أزال أجد أن انتعال الحذاء عينه لثة يوم على التوالي وبقائه جديداً، هي فكرة لا أزال حتى الآن أجد لها طريفة ومضحكة. إنني أعتبرها إحدى ميزات عدم امتلاك قدمين.

في شباط من العام 1989، ولدت لأسرتنا أختنا إيمي. اعتادت والدي أن تخبرني أننا خلال فترة حملها بها لم نغادر أنا وكارل جانبها، وكنا دائمياً الرغبة بملامسة بطنها بلطف. وكنا نتشاجر من دون توقف صائحين: "إنها أختي!"، "لا، بل هي أختي أنا!".

منذ ولادتها كنت مسحوراً بقدميها، وكنت أقبلهما باستمرار. بوصفي طفلاً صغيراً لم أكن قادراً على نطق اسمها لذا دعوتها "غوغو". وعندما تكون نائمة في مهدها، كنت أثب إلى الأعلى، محبباً إياها بقولي: "مررحباً غوغو" أو أرتم لها لحناً لطيفاً. وطبعاً كان ينتهي الأمر بي بإيقاظها، الأمر الذي كان يطلق العنان لبكائها، فما كان من والديّ إلا أن يحاولوا إخفاءها في أماكن لا أزعجها فيها. إنني لا أذكر الكثير عن تلك الأيام فقد كنت صغيراً جداً، إنما من الواضح أننا كنا على الدوام أسرة شديدة التواؤم، وقد عقدت المحبة أو اصرها في ما بيننا. من ثم كانت الكلاب، فكل واحد منا كان لديه كلبه الخاص به، وأكثر من ذلك أنه قد سُمح لنا باختيارها بأنفسنا. لقد انتقى كارل

كلباً من فصيلة دوبرمان، وإيمي كلباً من فصيلة باسيت، أما أنا فوقع اختياري على كلبة أميركية من فصيلة بيتول والتي كانت تدعى فيفيان، وبالرغم من الصورة النمطية الشائعة عن هذه الكلاب، لم تكن كلبتي عدوانية بأي شكل من الأشكال. بل في الحقيقة كانت فيفيان عديمة السنفع، وكثيبة، وتنام طيلة النهار. كما كانت فيفيان تشخر، وبصوت عال جداً أيضاً. في إحدى المرات، قام والدي بتسجيل شخيره، ثم ذهب إلى والدي لسمعها الشريط المسجل، ليخدها بأن تظن أنها كانت تستمع إلى شخيره هي. وفعلاً انطلت الحيلة على والدي، فوقعت في الشرك، شاعرة بإحراج شديد دفعها لأن تسارع بالخروج لابتغاء أدوية تعالج "كل شيء". لقد شاركت الأسرة برمتها في التمثيلية، وأعتقد أن أحداً منا لم يخبرها يوماً أنها كانت مجرد دعابة. أما ما كان والدي يجهمه، فهو أن والدي قد ابتاعت على حسابه الخاص، الوسادة السحرية الشافية للشخير، باهظة الثمن بشكل مخيف (لقد كلفت ما يفوق الأربعمئة جنيهه بعملة اليوم). ولكن للأسف، بعد فترة قصيرة من الزمن، تبدل سلوك فيفيان، وشاهدناها وهي تهاجم إحدى السلاحف التي نحتفظ بها في الحديقة. بعدها تنامي قلق والدي من أن تقوم فيفيان بإيذاء أحد منا، نحن الصغار، ثم في النهاية اصطحبها إلى عيادة بيطرية، ولم نرها بعدها على الإطلاق.

في كل عام خلال عطلات شهر كانون الأول/ديسمبر كانت عائلتي تنتقل إلى منزل العطلات في خليج بليتبيريغ؛ وقد كانت الرحلة بالسيارة ملحمية الطول. إن ذكرياتي عن تلك الرحلات اللامتناهية تحمل في طياتها شيئاً من العذوبة إلى جانب بعض المرارة أيضاً. فوالدي، وبعد حقيقي لا يضاهي في أسرتنا، كان يجعل من مسألة اجتياز مسافة 1200 كيلومتر كاملة في رحلة واحدة مسألة

كسرياء. وليزيد الطين بلة، كنت أعاني بشكل رهيب من دوار السفر براً، لذا، فقد كانت الكيلومترات تمر عليّ وأنا تحت وطأة الغثيان الذي يغشاني. ويمكن للمرء أن يتوقع بشكل مؤكد أن علب الغداء التي كان يحضرها والدي لكل منا - والتي كانت تحوي أطيب الأطعمة كحليب الموز ولفائف السمك، ومأكولاته المفضلة - لم تكن ذات عون في تخفيف شعوري بالغثيان.

قبل أن نصل بليتينبرغ بحوالى 300 كيلومتر، كانت رتابة الرحلة المخيمة ترتفع عنا نوعاً ما، حيث كان والدي يأخذ الطريق القصير الخاص به. لقد كان مجرد طريق ترابي يمر بين هضبتين منحدرتين، لكن كونه يبلغ 80 كيلومتراً طويلاً فقد بدا بالتواتر بمثابة مسار سباق الرالي الذي كنا نخوضه لدى سلو كنا هذا الطريق.

حين يشارف السباق على نهايته كنا نعلم أننا على وشك رؤية المحيط. وكان أول شخص تقع عليه عيناه يفوز بقطعة الشوكولا الكبرى المتبقية. وكانت إيمي صغيرة جداً في السن عندما أضحت الحاكمة البطلة في تحديد المواقع. في الحقيقة، كانت إيمي تصرخ "إنني أرى المحيط!" في كل زاوية، وبالرغم من احتجاجاتي أنا وكارل أن ما من شيء هناك بعد، كان والدي يعلنها بطلة، ويسلمها الشوكولا. وفي ما إذا كان مرد ذلك إلى بصر إيمي الثاقب كالصقر أو إلى مجرد أنها كانت ببساطة دائمة التهذيب والطاعة، فإن هذا يبقى تساؤلاً مطروحاً. لكن ما كان مؤكداً على أي حال، هو أن إيمي كانت قرة عين والدها. كانت بقية أسرتنا تحشنا على الدوام على اتخاذ موقف معين من إيمي. فقد دأب والدي على إعطائنا توجيهات بمعاملتها كسيدة راقية "ليدي".

فعندما نكون معاً جميعاً في السيارة، كان يتوجب علينا أن نفتح لها الباب؛ كانت تجلس في الأمام مع والدي، ونجلس نحن في الخلف.

لقد كانت مدللة للغاية. في كل مرة كنا نتجادل فيها، كان والدي يسألنا على الفور: "هل عاملتماها كسيدة؟" وكصبيان (بالمنطق الخاص بصبيين في السابعة أو الثامنة من العمر) كنا ننخدع بسهولة بإغراء التصرف كسيدتين حقيقيين. وحتماً كانت هناك زلات لا مفر منها، ففي إحدى المرات أذكر أنني قد دفعت إيمي فهرعت مباشرة إلى والدي والدموع تفيض من مقلتيها، فبررت له فعليتي بأن شرحت أن تصرفها لم يكن يليق بسيدة راقية أبداً.

في نفسي ذكرى حية عن إحدى العطلات في خليج بلتينبيرغ. كنت أركض جيئةً وذهاباً على الشاطئ عندما اقترب مني طفلان يكرانني سنأً بقليل. وعندما سألاني عن سبب أن قدميَّ كانتا تتركان في الرمل حفراً عوضاً عن آثار، فسرت لهما الأمر ببساطة قائلاً إن هذه الحفرة هي آثار قدمي! فصدرت عنهما آهة تعجب، وراحا يركضان بعدها خلفي على كعبيهما، آملين أن يتركا النمط ذاته من آثار الأقدام. وبالرغم من أنني كنت يافعاً لدرجة لم أتمكن معها من إدراك المفهوم برؤية واضحة، إلا أنني أدركت في ذلك اليوم أن الناس ينظرون إليك تماماً كما تنظر أنت إلى نفسك، وقد كنت مسترخياً ومرتعاً بالثقة بالنفس.

بالإضافة إلى رحلتنا السنوية إلى الخليج، كنا معتادين على الذهاب بعيداً في عطلات نهاية الأسبوع. وكنا مولعين بشكل خاص بالذهاب في نزهة على الأقدام ليومين أو ثلاثة، نسير فيها أحياناً مسافة 20 كيلومتراً يومياً. وفي هذه المناسبات، كانت القوانين ذاتها تطبق على كل فرد منا. فكل منا كان يحمل حقيبة للظهر خاصة به، وكان يُسمح لنا أن نختار نوعية وكمية الأطعمة التي سنحملها في حقائبنا، مع اتفاق مسبق مع والدينا اللذين كانا صارمين بخصوص أن يحمل كل منا

الأشياء التي جلبها، وبأفهما سيرغماننا على الجلوس وتناول الطعام إذا ما باتت الحقيبة ثقيلة جداً.

الشخص الوحيد الذي كانا يثيران ضجة حوله هي يمي، حرصاً منهما على أن تتمكن من متابعتنا وألا تتوانى بسبب التعب. أما أنا فلم أكن مصدر قلق أبداً: إن كان هناك من صعوبة يواجهها معي فهي ذات طبيعة معاكسة تماماً. وذلك لكوني أحب نزوات المشي على الأقدام، وكثيراً ما كنت أنطلق في المقدمة مخلفاً الجميع ورائي، ثم أسقط حقيبة ظهري أرضاً في مكان الاستراحة المحدد التالي، وأعود إليهم راكضاً. لقد كنت أحب الركض.

من بين ذكرياتي الأكثر غبطة عن هذه العطلات الهادئة - ذكريات ظلت ملازمة لي منذ ذلك الحين - كانت تلك اللحظة المميزة التي كنا نتشاركها في السيارة. لطالما شعرت بالبهجة عندما كان والدي يسابق بسيارته، فقد ولدت بعاطفة نامية إلى الحد الأكمل تجاه السيارات والدراجات النارية. لا سبيل لي إلى الجزم طبعاً، لكنني لن أتفاجأ إذا ما كانت كلمتي الأولى هي "سيارة"...

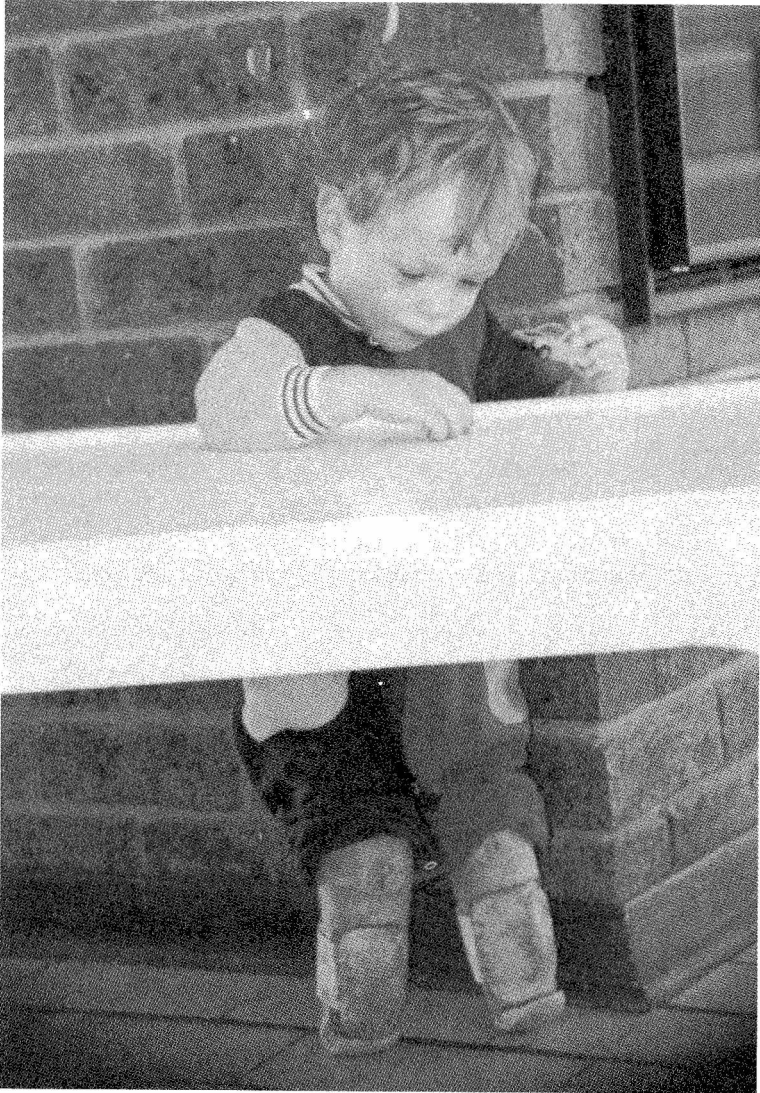
عندما كنت في الثالثة من عمري، كانت والدي تقود سيارة حمراء اللون من نوع فورد ليدر. كنت أعتبر أنها السيارة الأكثر روعة بإطارها الأربعة الجذابة. فحتى وأنا في تلك السن كنت أتبحر وأتأهني بها أمام الجميع من دون استثناء أو تمييز. صديقة والدي، جيل، تذكرني بوضوح وأنا أخبر الناس أن والدي تقود ما كنت أدعوه بسيارة: "فورد ليدر؛ والوا!".

ولعل والدي هو من أثار في شغفي بالسيارات. فعندما كنت فتية، كان والدي يقود سيارة رياضية خميرية اللون ذات بايين من نوع مرسيدس، وبفرش جلدي. لقد كنت ببساطة أعشق الذهاب معه في

جولة وفتحة السقف مفتوحة. فما إن يقف على إشارة ضوئية حتى أقفز على المقاعد باذلاً أفضل ما لديّ من مجهود، ومخرجاً رأسي من فتحة السقف، ومقلداً على الأقل حسب اعتقادي، نجوم الأفلام وهم يجوبون شوارع هوليوود في سيارات الليموزين الخاصة بهم. لقد كان ذلك بمثابة فسحة أسبوعية، فوالدي كان كثير الأسفار في عمله، مما جعل مثل هذه المناسبة مناسبة خاصة لقضاء بعض الوقت معه.

عندما كنت في الرابعة من عمري، ابتاع والدي لي ولكارل سيارة زرقاء 60cc. وما كان شيء ليوقفنا عند حدّ. أي سفح منحدر كان مكاناً مناسباً للعب، وكلما كان أكثر انحداراً، كان ذلك أفضل. كنت واقعاً في غرام تلك السيارة؛ إنني لوائق من أنه لو كان الأمر متاحاً، لركنتها قرب سريري كل ليلة ونمت بجانبها. وخلال الأعوام الثلاثة التالية بتنا أنا وكارل مدمنين على الاندفاع بسيارتنا الغالية.

ثم واجهت أسرتنا ضربة جديّة مفاجئة. لقد كنت في السابعة من عمري عندما أعلن والداي أنهما سيتطلقان، وأنه يتوجب علينا بيع منزلنا. لقد أقمنا مع والدي وانتقلنا إلى منزل أصغر، كان أقرب إلى البلدة، وعليه كان لا بد لمغامراتنا من أن تصل إلى نهايتها. لقد حاولت والديّ جهدها أن نحصل على نزهتين في الشهر نخوض خلالهما قيادة حرة خلف مقود سيارتنا، لكن الأمر لم يكن يوماً كما في السابق.



الفصل الثاني

صنع على القياس

إن ما فصل طفولتي عن طفولة إخوتي، وما أضفى عليها مسحة متعّبة بالنسبة إليّ، تمثل في حقيقة أن ساقّي بحاجة إلى انتباه دائم. فقد بدا أنه ما إن أحصل على زوجين جديدين من الأطراف الاصطناعية، إلا ويحتاج شيء ما فيهما إلى التعديل حتماً. أدركت أنه عليّ الاستفادة إلى الحد الأقصى من تلك اللحظات الأولية التي كانت ساقاي فيها مناسبتين لي تماماً، لأنه لن يطول بي الأمر أكثر من أسبوعين قبل أن أبدأ بالنمو خارجهما. عندها كان الطرفان الاصطناعيان يؤلمان الجزءين المتبقيين من ساقّي بعد البتر، فيتوجب علينا البدء بالإجراءات من البداية.

لقد تناول والداي هذه المشكلة بجديّة بالغة فعلاً، فقد شرح لهما غيري فيرسفيلد الأخطار المحتملة التي قد يتعرض لها من أجرى لهم عمليات بتر، في حال استخدامهم أطرافاً غير مناسبة المقاس. إذ تتشكل بثور وقروح في نقطة التماس، تفضي في حال ازدادت سوءاً إلى عملية بتر جديدة لا بديل عنها في الغالب. ويتعاطم حجم الخطر بشكل خاص لدى الأشخاص الذين أجروا عمليات بتر ثنائية كما في حالتي، لأننا، وبالعكس أولئك الذين بُترت لهم ذراع مثلاً، مجبرون على الارتكاز بثقل جسمنا بأكمله على الأطراف الاصطناعية.

إن التعامل بتعقل مع هذا الموضوع ظل مرافقاً لي بشكل خاص في ما يتعلق بتدريبي. فإن أنا عانيت من تقرح أو نزيف نتيجة

لأنكشاط جلدي من الاحتكاك، فإنني أوقف التدريب وأريح ساقِي. وهذا كان أحد الأسباب التي جعلت غيري يرغب ببتنر أقل ما يمكن من الساق في العملية الأصلية، إذ بهذه الطريقة تظل العملية خياراً متاحاً بالنسبة إليّ في ما إذا واجهت مشكلات من هذا النوع مستقبلاً.

كان العمر الوسطي لطرفي الاصطناعيين، في أفضل الحالات، حوالى الشهرين. والحصول على زوجين جديدين كان ينطوي حتماً على فترات انتظار لا تنتهي حيث يأخذ الفنيون مقاساتي ومن ثم يعدلوها، ويعدلوها ثانية حتى تصل إلى التطابق الأمثل. في تلك الأيام كانت التقنية تشكل خيرة مختلفة عن مقاييس اليوم. فالأطراف الاصطناعية كانت تصنع من الجص الصلب وألياف الزجاج، مع قدم خشبية ونعل مطاطي جميعها متصلة ببعضها. لقد كانت جد ثقيلة بالنسبة إلى صبي صغير، إذ تزن 3 كيلوغرامات.

لقد كنت في حوالى الرابعة من عمري عندما اتضح لي للمرة الأولى أن الأرجل الاصطناعية تحمل مزايا تفوق تلك الحقيقية. وفي تلك الفترة أيضاً أخذت أعني الفرق بين رجليّ وبين تلك الأرجل الأخرى عتيقة الطراز. في إحدى المرات كنت أمضي وقتي بعد الظهر أمام شاشة الحاسوب بينما كان أخي كارل يلعب بسيارة السباق المكشوفة المفضلة لديه، والتي صنعها له عمنا، عرابه، خلال عطلات الميلاد. لقد كانت تلك السيارة مصدر بهجته واعتزازه، وما كان يسمح لأحد بلمسها، ناهيك عن الخروج بها في دورة لعب. كانت مصنوعة من إطار فولاذي وعلب من الألمنيوم تقوم مقام المقاعد. أما العجلات فقد ثبتت على الهيكل ومن ثم اتصلت بجبل مربوط مع المحور، مما أتاح الإمكانية للقيادة.

في ذلك الحين كنا نعيش في جوهانسبيرغ في منزل يقع على قمة التلة ويتباهى بإطلالة بديعة على المدينة، إنما وهو الأهم، كان له طريق منحدر مستقيم يصله بالضواحي الموجودة في الأسفل.

في عصر ذلك اليوم، كنت منشغلاً بأموري بسرور عندما دخل كارل الغرفة. لقد وقف صامتاً إلى جانبي محمداً فيّ قبل أن يتقدم نحوي، ويمسك بيدي ليقودني خارجاً إلى الدرب، حيث كانت سيارته الحمراء والزرقاء بانتظارنا. في أشد أحلامي تطرفاً لم أكن أتوقع أن يسمح لي بركوبها، ولكن لدهشتي الشديدة دعاني كارل للجلوس خلفه. أمسك بالمقود وبدفعة خفيفة وجذبة للجبل على الجانب الأيمن بدأنا بالنزول أسفل المنحدر.

كانت عربة السباق تلك من دون مكابح طبعاً. لكن في الحالات العادية كان كارل يقودها بطريقة السقوط الحر لحوالي 50 إلى 60 متراً، ثم ينعطف بها عند الجسر قرب الطريق مخففاً بذلك من سرعته حتى يتوقف. غير أننا في ذلك اليوم اجتزنا بسرعة النقطة التي يتوقف عندها عادة، وأذكر بكل وضوح أنني ظننت حينئذ أنه قد قرر تحدي قوانين الفيزياء. وكثيراً ما كنت قد راقبته وهو يقود سيارته أسفل المنحدر وقد بدت وكأنها تطير لشدة سرعتها، لكنني لم أسمع العجلات وهي تصدر جلبة بهذه الطريقة من قبل. واستمرنا في النزول: 100، 150، 200 متر...

لقد كنا نقترب بسرعة فائقة من الجدار الموجود أسفل الدرب، ويجب أن أعترف أنه إن كانت هناك لحظة قد مرت عليّ وشعرت فيها أن كل شيء قد انتهى، فهذه هي. كنا على وشك أن نصطدم بعنف وبأقصى سرعة بالجدار عندما أمسك كارل فجأة بساقي الاصطناعية وفي تلوحة جنوبية من ذراع ابن السادسة استطاع أن يقحم ساقي بين

العجلة والإسفلت، لتتوقف العربة بين صرخاتنا المذعورة على بُعد 20 متراً من الجدار. لسوء الحظ أدى فعل الكبح هذا إلى مسح ميكى ماوس عن حذائي، إلا أنها كانت طريقة مبهجة لأكتشف من خلالها أن الأطراف الاصطناعية، التي كثيراً ما كانت مصدر ألم بالنسبة إليّ، يمكن أن تكون أيضاً ذات فوائد جمة لا تضاهى.

لقد حصلت على كفايتي من الخبرات المرحّة والغريبة أيضاً، بشكل خاص عند الاحتلاط مع أطفال يجهلون أي شيء عن الأرجل الاصطناعية كرجليّ. في إحدى المرات كنت أنا وكارل جالسين نلعب في ملعب الرمل الجميل الذي شيّده لنا والدي. كنا نحب اللعب هناك؛ فنستغرق كلياً بالسيارات وشقّ الطرقات والأنفاق والجسور والسدود. لقد أحببت كل ما له صلة بالماء. وفي أحد الأيام بينما كنا نلعب خارجاً، انضم إلينا طفلان آخران (وهما ابنا سكرتيرة والدي) ليمضيا النهار معنا، وكنا بالكاد نعرف بعضنا. بغتة، ومن دون أي سابق إنذار تناول أحد الطفلين سارية خشبية كانت ملقاة جانباً وضربني بكل قوة على ساقيّ. كان قد أدرك أن ساقيّ مختلفتان عن المألوف، وقد حاولنا جهدنا أن نشرح له ماهية الأطراف الاصطناعية إلا أن الفكرة لم تجد إلى رأسه سبيلاً. وبسبب عزم الضربة، تحطمت ساقاي الجصيتان ذاتا الألياف الزجاجية إلى مئات القطع الصغيرة، تاركتين قدميّ الخشبيتين الصغيرتين تحومان في الهواء قبل أن تسقطا أرضاً.

عند رؤية نتيجة ما اقتُرف يدها، انفجر الطفل في بكاء هستيري. فقد أصابه الرعب لاقتناعه بأن ضربته تلك قد أحدثت أذىً جسيماً لقدميّ. سمعت والديّ بكاء الطفل الخارج عن السيطرة، فخرجت إلينا وقد أعدت العدة لتؤنّبنا تأنيباً قاسياً، لكنها عندما شاهدت نتيجة فعلته اهتمت بشدة.

في البداية، كنت أنا كذلك منزعجاً جداً من الصبي، لكنني حين أدركت أن قلقه كان حقيقياً، أخذت أخفف عنه وأواسيه. آخرته بالأ يقلق، فهو لم يسبب لي أي أذى؛ فقد كانتا مجرد ساقين اصطناعيتين.

حين أتأمل الموقف الآن أدرك السبب وراء رد فعل أمي، فقد كانت الأطراف الاصطناعية باهظة الثمن، وكنت أكسر الواحد تلو الآخر.

والدي كان مختلفاً في طبيعته، ففي أمور حياتنا التي كان يعتبرها مهمة، كان يطالبنا بالتزام مطلق. أما بالنسبة إلى البقية، فقد كان راضياً بأن يتركنا وشأننا ليتيح لنا الفرصة لاتباع حدسنا، وازعاً فينا ثقته في الوقت الذي كان يتوجب عليه أن يكون أكثر خبرة من أن يفعل ذلك. في إحدى المرات، انتهى بي المطاف في المستشفى في وحدة العناية المركزة. لا بد من أنني كنت في السابعة أو الثامنة من العمر، وقد قررنا أنا وأخي وأختي أن نخبز كعكة في الفرن. لم تكن والدتنا في المنزل، فسألنا والدي، الذي كان مشغولاً بعمله، السماح لنا أن نفعل، فوافق بمرح. وبإله من تصرف نمطي من والدي: ففي اعتقاده أن الأطفال بإمكانهم أن يصنعوا كل ما يضعونه نصب أعينهم، وقد كانت ثقته بقدرات أولاده لا تمارى. تريدون أن تخبزوا كعكة؟ حسناً، هيا حاولوا. ما من شيء يثير القلق لديه.

قد لا يفاجئك أننا لم نكن نملك وصفة محددة لتبعتها. بل كنا ننوي أن نقلد كل ما سبق لنا أن شاهدنا أمي تفعله؛ شيء من هذا وذاك. كانت خططنا تقضي بأن نحضّر كعكتنا في إحدى أواني الطبخ. كان كارل بوصفه الأكبر بيننا قد أشعل الموقد، ثم طلب إليّ بوصفي مساعده أن أحضر الطحين. كنت أجلس على سطح طاولة

العمل، ولم يكن لديّ الرغبة بأن أنزل من هناك ومن ثمّ أصدع ثانية إلى الناحية الأخرى. لذا فقد قررت أن أعتلي الغطاء الزجاجي الموجود فوق الفرن؛ وأذكر هنا أنني قد أحرقت جدعيّ على نحو سيئ جداً.

على مدى السنين، وحتى من دون إسهاماتي النشطة والتي غالباً ما كانت تتسم باللامسؤولية، واجهتني الكثير من المتاعب مع جدعيّ. فقد سبب لي طرفاي الاصطناعيان قروحاً وأوراماً ليفية عصبية متعددة؛ وهو اعتلال يصيب الجهاز العصبي ويسبب أوراماً حميدة. لقد كانت نهاياتي العصبية تنمو إنما لا تجد لها مكاناً يحتوي تطورها مما يؤدي إلى ظهور كتل ورمية ليفية. لقد كانت مصدراً لآلام لا تطاق وبسببها يصبح جدعاي حساسين لأقصى درجة بصورة تجعل من أي حركة وبشكل خاص المشي، نشاطاً مستحيلاً بالنسبة إليّ.

لقد مرت بمراحل ترميم لم أستطع معها مغادرة المنزل على مدى ثلاثة إلى أربعة أشهر، ولا حتى كي أذهب إلى المدرسة. كان يتوجب عليّ حينها البقاء في المنزل لأدرس بمفردي، لقد افتقدت المدرسة إلى حدّ كبير.

بعد مضي عامين على انفصال والديّ، وفي الوقت الذي وصلت فيه مغامراتنا الطائشة إلى نهاية مؤقتة، انتقل والدي إلى موقع لأراضٍ حرة التملك في هونديو، تماماً خارج جوهانسبيرغ. لقد كنا مبتهجين إذ أتاحت لنا الفرصة ثانية للتمتع بمساحة تحت تصرفنا أكبر من قدرتنا على استهلاكها. لقد كانت هناك مساحة مخصصة للعب كرة القدم، متربة ومملوءة بالأعشاب والحجارة. في بعض الأحيان كنا نلعب أنا وكارل كرة القدم مع أبناء المنطقة المحليين، فنعدو بين الماعز والدجاج السبي كانت تجول بحرية. لم نكن على الدوام قادرين على فهم كل ما

كانوا يقولونه لنا: ففي منزلنا كنا نتحدث الإنكليزية مع عائلة والدي، واللغة الأفريقية مع عائلة والدي (ففي جنوب أفريقيا هناك إحدى عشرة لغة رسمية)، لكن هذا الأمر لم يكن بذي بال حقاً. فالحماسة المشتركة التي كانت تلهب نفوسنا للعب كرة القدم والجري وراء تلك الكرة كانت أكثر من كافية لتردم أي فجوة ناجمة عن اختلاف اللغة. وفي أوقات الاستراحة بين الأشواط، كنت أنا وكارل نصحب أصدقاءنا الجدد في جولات مرعبة على الدراجات، نشبُ فيها فوق الأجمات ونضع العجلات في حالة دوران سريع، كل ذلك كجزء من المغامرة. كانت الرقعة المخصصة للعب كرة القدم غير مطروقة، وكانت هناك مساحة مجاورة صغيرة بالإضافة إلى الحشائش العالية والتي لم تشدّب وأكواخ الصفيح الصغيرة. بمواقدها الخارجية. إنه لمكان هادئ وجميل، لم يطل بنا الوقت أنا وكارل لنذكر أنه ضالتنا المنشودة لتطير فيه طائرتنا الورقية، التي كنا قد اشترينا بعضها، وصنعنا بعضها الآخر بأيدينا. وفي نهاية كل يوم نمضيه في اللعب، كنا نتوجه إلى المنزل في سيارتنا اللاندروفر الصغيرة. فإن كان كارل هو وراء المقود كانت الرحلة أسرع بكثير، إلا أننا كنا نصل المنزل وقد غطتنا الجروح الصغيرة والكشوط بفضل الطرقات المختصرة التي كان يسلكها عبر الشجيرات. لم يكن بالإمكان إيقافنا عند حدّ.

عند وصولك المزرعة، تجد في استقبالك بوابة حديدية صغيرة متراجعة عن الطريق، ومفتوحة على ممر يوصل إلى المنزل. كان ذلك الممر في الواقع عبارة عن طريق ترابي طويل تحفّه من الجانبين أشجار الليلك الضخمة، التي تمتاز بأزهارها الأرجوانية. أما المنزل الصغير الأبيض والأخضر فقد بدا مجرد منزل ريفي. فكان المسرح الأمثل لمغامراتنا.

لقد عشقت المكان بشدة. لقد حصلنا فيه على كل الحرية والمساحة التي أمكننا فيها التعبير عن أنفسنا، سواء أكان ذلك من خلال قيادة سيارتنا اللاندروفر حول المكان، أو الجري، أو ضرب كرات الغولف بقوة نحو كل زاوية في الحديقة.

كنا نمضي عطلة نهاية الأسبوع مرة كل أسبوعين لدى والدنا، وغالباً ما كنا نحضر أصدقاءنا معنا. أذكر أنني في أحد أيام الصيف، قررت مع صديقي كريغ بناء بيت الشجرة الأمثل. أخبرته أنه يجب أن يكون البيت الأكبر والأفضل على الإطلاق. لقد كان أمراً لازماً وجود حبل جر طويل، يعمل بمبدأ الرافعة، مما يتيح لنا الدخول إلى المنزل والخروج منه بسرعة من دون الاضطرار إلى التوقف في كل من طوابقه المتعددة. لقد فصلت لكريغ مرثياتي وكأنا كانت الفكرة الأبسط في العالم. وبدوره شاطرنِي كريغ سذاجتي وحماسي للفكرة، وردّ بأنه يجب علينا أن نعشر على الشجرة الأكبر في الملكية، ومن ثم أن نجعل منها مضييفة قلعتنا.

سرعان ما وقع اختيارنا على شجرة ليلك ضخمة تموضعت بين الممر والسياسج الخارجي. وبعد أن حققنا هذا الإنجاز، جلسنا لنعده لائحة بالمعدات التي نحتاج إليها:

- مطرقة (أداة كان لها فاعلية كبيرة في تحويل أصابعنا إلى عجينة في أثناء عملنا في البناء).
- مسامير (ذات مفعول مساوٍ في الأذية لأصابعنا).
- ألواح خشبية.
- سلّم (والذي كان أمراً محققاً أننا سنتشقلب عنه).
- كبل فولاذي بطول 50 متراً (والذي سرعان ما تعلمنا أنه كان من المفروض أن يكون أكثر سماكة ومقاومة معاً).

● بكرة، كيما تتمكن من التثبيت بشيء ما في أثناء ترحلقنا إلى أسفل الكبل.

● سلّم من الجبال نستطيع سحبه إلى الأعلى وإخفائه داخل البيت.

● أخيراً، وليس آخراً، لافتة تفرض قانوننا: ممنوع دخول الفتيات.

لقد استغرقتنا يومين في تأمين المعدات الضرورية (مما استلزم غزوات على باحات البنائين للحصول على الألواح الخشبية اللازمة). ومسلحين بخططنا المعمارية المحتكة، وبتناج عقولنا ذات الأعوام العشرة، بدأنا باجتراح الأعجوبة الثامنة في العالم. أسهل من السهولة! لقد كان البناء يسير بسلاسة إلى أن اصطدمنا بالعقبة الأولى.

لقد انتهى سريعاً صنع المنصة الأولى بالبعدين مترين بمترو نصف. لقد كنا فخورين بنفسينا للغاية. كانت ترتفع أربعة أمتار عن الأرض، وبالرغم من أننا هنا بعضنا على كمالها، إلا أنها لم تكن موازية للأرض. لكن أحداً منا، لا أنا ولا كريغ، لم يكن لديه الاستعداد للاعتراف بذلك مطلقاً ولا حتى إن واجه آلام الموت. حسب رأينا، مع انتهاء الطابق الأول أضحى الآن يتوجب على بنائنا أن يستمر في الارتفاع. فبدأنا بتثبيت الألواح بالمسامير على الأجزاء الأكثر ثخانة من الأغصان، ومن ثم قمنا ببناء الدرج الذي سيوصل إلى الطابق الثاني. لقد صُمم هذا الطابق ليكون أعلى وأوسع من سابقه. وكنا نصعد ونهبط السلّم باستمرار لنجمع المزيد من المسامير والألواح، وقد مررنا بلحظات أوشكنا فيها حقيقة على أن ندق أعناقنا، أو أن نفقد ما نملك بانزلاقنا على السلام أو على منصتنا المائلة. لقد كان عملاً خطراً.

بحلول مساء اليوم الثالث، أكملنا الطابق الثاني، والذي بفضل الخبرة التي جمعناها من بناء الأول كان بحق تحفة فنية. كان بعده تقريباً 2.5 متر و3 أمتار، ويرتفع عن الأرض على الأقل 6 أمتار (مع انحراف

يقبل عن 5 درجات). لقد كنا في غاية السرور بمهاراتنا في البناء ومتفوقين بكرم في كيل المدائح لبعضنا. وأفضينا إلى الإدراك بأننا عندما نصبح بالغين سنكون مهندسين، وسنطلق لبناء أضخم ناطحات السحاب والجسور التي لم يشهد العالم لها مثيلاً، وكل ما علينا هو الانتظار.

صباح اليوم الرابع، خلصنا إلى أنه بينما نكافح مع تصميم نظام مصعدنا (والذي يتكون بشكل رئيس من عربة بدائية معلقة على سلك معدني متين) سيتوجب علينا تأجيل العمل على الطابق الثالث. تسلقنا إلى الطابق الثاني، وتمكنا بمساعدة الكماشة من أن نلف أحد طرفي السلك المعدني الذي يبلغ طوله 50 متراً حول جذع الشجرة، بأعلى وأمتن ما أمكننا لئلا ينزلق ويسبب وقوعنا شاقولياً على الأرض. ومن ثم تركنا بقية السلك تسقط إلى الأرض. حططنا كانت تتلخص في أن نعقد السلك حول شجرة أخرى تكون موجودة ضمن 40 متراً من الشجرة التي تحمل بيتنا، إلا أننا لم نوفق بالعثور على أي شجرة هناك. لقد أخطأنا في حساب المسافة بين موقع بيت الشجرة والمكان الذي سنجعل منه نقطة الانطلاق والوصول لسلك العربة بحوالي المترين. لم نحسب حساباً إلى أن السلك يجب أن يكون مشدوداً بإحكام شديد، وأنه مع أكثر النوايا الحسنة في العالم، وبالرغم من أذرعنا الشديدة العتيدة، فما من سبيل إلى تحقيق ذلك. في البداية انكمشنا من الخيبة، ولكنني فجأة توصلت إلى حل بارع.

كل ما كنا بحاجة إلى فعله هو أن نقود سيارة والدي اللاندروفر القديمة إلى أسفل الشجرة، ثم نوصل كبلنا الفولاذي بإحكام إلى قضيب القطر، نقودها قرابة الأربعين متراً حتى يصبح الكبل مشدوداً بشكل مثالي، ثم نوقف السيارة. وبما أننا قررنا بناء بيت شجرتنا على شجرة

ليلك تقع على رأس منحدر، فقد كنا مقتنعين أنه بمساعدة الانحدار سيكون تنفيذ مخططنا سهلاً كلعبة أطفال. لقد تراءى لنا أننا مثل قدماء المصريين وهم بصدد بناء الأهرامات.

لقد بدا كل شيء رائعاً من الأرض. ثم قال لي كريغ بشكل عرضي: "هيه أوز، أعتقد أنها اللحظة المناسبة لتجربة عربة الكبل لنرى ما إذا كانت تعمل. لمَ لا تجربها أولاً؟".

فأجته بهدوء: "شكراً يا صديقي، إلا أن الأمر سيان بالنسبة إليّ، فلمَ لا تذهب أنت أولاً؟".

وساد الصمت.

من ثم انفجرنا معاً قائلين: "إنها حتماً عالية جداً! أتظن أن الكبل سيصمد بنا؟". لم يرغب أي منا بأن يكون أول من يجرب الكبل: فقد كان على ارتفاع 6.5 أمتار على الأقل عن الأرض، وقد بدأت علامات الصدأ تظهر على البكرة.

خلال فترة البناء، كانت إيمي تبلغ حوالى الثامنة من عمرها، تُشاحتنا لنسمح لها بالمشاركة. وبينما كنا واقفين نتفكر في ما شيدناه، أصبح واضحاً بالنسبة إلينا أنه ما من التزام حقيقي يدفعنا للمحافظة على بيت الشجرة ملكية حصريّة للذكور. في الواقع، كنا قد عثرنا على الدور الأملل لإيمي، إنه منصب يتيح لها الانضمام إلى المرحلة الختامية المهمة. وهي بدورها ببساطة ابتهجت لسماحنا لها بالانضمام إلينا، فلم يخطر لها البتة أننا كنا خائفين من تجربة اختراعنا، وأن ذلك هو دافعنا الوحيد من إشراكها.

فعدنا جميعاً إلى الشجرة، وتسلقنا الطابق الثاني ومن ثم وجهنا إيمي إلى المطلوب منها. كان عليها أن تتمسك بإحكام، وإحكام شديد، بينما هي هناك في الأعلى. ثارت المخاوف في نفس إيمي من أن تصبح

قبضة يدها زلقة، فقررنا عقد حبل حول معصمها، ومن ثم عقده حول المقبض. لقد حان الوقت كي نتخذ "وثبة كبيرة للإنسانية" ونخرج من أحضان أزهار الليلك، وعن المنصة، باتجاه سيارة اللاندروفر. وفي اللحظة الأخيرة، قررنا أن نعقد حبلًا آخر إلى المقبض نستطيع شدّه من الأرض، كيما نتمكن من إعادة البكرة إلى بيت الشجرة بعد كل هبوط.

كانت إيمي جاهزة، أو على أكبر حالة من الجهوزية ستكونها يوماً، وبقليل من مساعدتنا (إذا كانت هذه هي الكلمة المناسبة)، قفزت. كنا نتوهج إثارة، لقد بدت وكأنها تطير!

لسوء الحظ كان مقدراً لعملنا الشاق أن يفشل. فبعد حوالي العشرة أمتار (وكانت المسافة التي تفصلها عن الأرض حوالي 5 أمتار) انحشرت البكرة الصدئة، وفقدت إيمي سيطرتها على المقبض، لتجد نفسها متدلّية بشكل خطير ومتقلقل في الجو.

تدحرجنا أنا وكريغ على الأرض من شدة الضحك، فيما أخذت إيمي تصيح بيأس وهي نادمة على اللحظة التي وثقت فيها بنا. وسرعان ما نزلنا إلى الأسفل وسحبناها إلى بر الأمان. بعد أن بقيت لدقيقتين معلقة في الهواء بهذا الشكل. بالتأكيد، امتقع وجه إيمي وبات أزرق اللون. ولم تكذ فتاتنا تطأ الأرض بقدميها، حتى كان كريغ قد زيت البكرة وفي غضون خمس دقائق أصبحنا جاهزين للانطلاق ثانية. لقد أمضينا بعد الظهر ذاك بطوله ونحن نترج جيئةً وذهاباً حتى نال منا التعب. في الصباح التالي، تابعنا نشاطنا حيث توقفنا في الليلة الفائتة، وفجأة وخلال أحد الانزلاقات الجميلة تحديداً لكريغ، وعندما كان في منتصف الطريق انقطع الكبل في حركة خاطفة فوق أرضاً. لقد سقط بشكل قاسٍ على حجر وأذى قدمه وخسر عدداً من أظافر قدميه

في الحادثة. وبالرغم من أنه قد لطخته الدماء، إلا أن ذلك كان أصغر مشاكلنا. فسيارة اللاندروفر كانت قديمة جداً لدرجة أن مكبح اليد قد انفلت وأضحت السيارة الآن في طريقها إلى أسفل التلة.

تحامل كريغ على نفسه لينهض وبدأنا بالركض خلف السيارة، لقد كان مشهداً سخيفاً وكريغ يعرج بقدمه الدامية، وأنا أركض بساقيّ الاصطناعيتين الثقيلتين؛ لم يكن هناك أي فرصة لنا في اللحاق بالسيارة، وبشكل خاص كونها أخذت تتسارع وهي تكرر أسفل التلة. وفي النهاية، توقفت بمساعدة أجمة من الشجيرات بمواجهة السياج.

بدافع من العلامة المميزة في شخصيتي ألا وهي الثقة الجارحة بالنفس، استقر عزمي على محاولة تخليص السيارة وقيادتها بنفسي إلى المنزل، وقد كان الأجدد بي أن أطلب المعونة من والدي. إنما فكرت حينها، وما حاجتي إلى المساعدة؟! وعلى أي حال، لقد تبين لي أن تخليص السيارة من بين الشجيرات هو عمل أكثر تعقيداً بقليل مما قد تخيلت. بالرغم من أنني كنت أحسب نفسي سائقاً متمرساً، وأنني كنت أفود سيارتنا اللاندروفر الصغيرة الخاصة بالأولاد منذ قرابة الشهرين حتى ذلك الحين، إلا أن مهاراتي الآن باتت خاضعة للاختبار. لقد كافحنا مع السيارة، في الوقت الذي كانت أصابع قدم كريغ تأخذ ظللاً أشد قتامة من اللون الأحمر. بمرور الوقت، إلا أننا في النهاية كوفئنا على تماسكنا، وتمكنت من قيادة السيارة إلى المنزل، ركنتها، ثم ذهبت إلى والدي لأطلب منه المساعدة للعناية بقدم كريغ. لقد أخبرناه أن كريغ قد تعثر بحجر في الحديقة، وهي رواية لم تكن في الواقع بعيدة تماماً عن الحقيقة.

لقد دعئنا تلك التجربة لتأجيل خططنا المعمارية لنأخذ وقتنا في التفكير وجمع بعض المال الإضافي لشراء سلك كبل لائق لأجل عربتنا الزلافة.

تلك السيارة اللاندروفر التي حلت محل الرفاعة بكل جدارة (أعني إلى أن انفلتت مكابح اليد فيها) أصبحت المصدر الرئيسي لإمتاعنا. لقد كانت بيضاء اللون وطرزها من السبعينيات، وقد أعارها عمي ليو لوالدي، واستخدمتها أنا في التدرّب على القيادة عندما كنت في التاسعة من عمري. للحق، منذ اللحظة التي وقعت أعيننا عليها مركونة في الممشى حتى عقدنا العزم أنا وكارل على الوصول خلف مقودها. لقد استغرق منا الأمر وقتاً ريثما عثرنا على المفاتيح، إنما وقتاً أقل بكثير للإحاطة تماماً بكيفية قيادتها. وهكذا، وقبل أن تتمكن من الرؤية بشكل جيد فوق لوحة العدادات فيها، كنت نجدنا نقودها حول الحديقة.

بالرغم من أن داخل السيارة كان عتيقاً ومهترئاً إلا أن محركها كان في حالة ممتازة، وإني لا أزال أستطيع سماع الصوت الذي كان يصدره في أذني حتى الآن. لقد دفعت كارل للحنون حتماً إلى أن وافق على تعليمي القيادة.

بادئ ذي بدء أعطاني كارل لمحة موجزة وأساسية عن كيفية عمل الميكانيك الواقع خلف دواسات جهاز تعشيق التروس، القابض. باختصار شرح لي أن القابض يفصل المحرك عن التروس، وأن دفعه يتيح الإمكانية لاختيار الترس الأضعف إنما الأسرع كذلك. فكلما كان الترس أدنى، كانت السيطرة أكبر، والعكس بالعكس. لم يأت بشيء جديد فقد شرح والدي كيفية عمل السيارة عدداً لا يحصى من المرات وفي مناسبات مختلفة. ومن ثم حان دوري. في البداية كنت أصغر بكثير من أن أرى فوق لوحة العدادات، لذا، فقد قدتها بسرعة قصوى متجاوزاً مسافة المئة متر التي تفصلنا عن المنزل ذهاباً وإياباً في أقل من عشر ثوانٍ! كما أنني استخدمت وسادة، فعلى الأقل تمكنت عبر

وضعتها تحتي من أن أرى أمامي، وإن أنا جلست على حافة المقعد يضحني بإمكانني أن ألمس في الوقت عينه الدواسات بقدمي الاصطناعيتين.

لقد كان القابض صلباً حقاً، والمقود ثقيلًا وقاسياً. لقد وجدت صعوبة في تولي القابض والتغيير بين نواقل الحركة معاً. لقد كان ذلك كثيراً بالنسبة إليّ لأتقنه دفعة واحدة. وأخيراً أدرت السيارة، دفعت ناقل الحركة ثم رفعت قدمي عن القابض بشكل تدريجي؛ وببطء اندفعت السيارة متحركة إلى الأمام وها أنا ذا أقود. لقد تصلبت من الإثارة والخوف لكوني لا أعلم سوى النزر اليسير عما يتوجب عليّ فعله لاحقاً. فتفكيري لم يصل بي إلى ذاك الحد بعد، وكنت أحاول تجنب الأشجار وكثبان الرمل. في تلك الأثناء كان أخي في قمة الاسترخاء، مستمتعاً بنسمات الهواء العليل التي تداعب خصلات شعره وهو يتمتع بالمشهد الطبيعي الجميل، والذي كان يتسبب بزيادة توترتي. وبشكل متواتر كان يسخر قائلاً: "تفقد مرأتك الخلفية"، فأصده عني بقولي إنني قد سبق وفعلت للتو. ولم تكد الكلمات تخرج من فمي حتى سمعنا بانغ. لقد تحركت في الاتجاه العكسي لأصطدم بجدار قرميدي.

لقد استمتعت بنجاح أكبر في مجال قيادة الدراجة البخارية، والتي بدأت بركوبها عندما كنت في الرابعة من عمري. لقد كانت دراجة تعمل بالدواسات، إنما بالنسبة إليّ كانت بمثابة صاروخ. كنا حينها لا نزال نقطن في منزلنا في جوهانسبيرغ على قمة التلة، حيث يوجد نوع من الانحماص بين الطابق الأول والقبو؛ فتم بالتالي وصل المنطقتين بدرج شديد الانحدار (لا بد من أن الزاوية كانت قرابة الثلاثين درجة). فكانت الحيلة المفضلة لدي هي أن ألقى بنفسي على الدراجة، وعملياً

أدفع نفسي سريعاً إلى أسفل السلم، وأنا أصرخ مبتهجاً. بالرغم من أن والدتي قد منعتني عن القيام بذلك، إلا أن ذلك لم يُجد معي نفعاً، لذا، وبدافع من اليأس، باتت تتظاهر بأنها لا تراني. هناك أمور ببساطة لم توجد لتشهدا الأمهات.



الأميرة والملاكم

عندما حان الوقت لدخولي المدرسة آثر والداي انضمامي إلى نظام التعليم السائد عوضاً عن التعليم الخاص بدوي الاحتياجات الخاصة، فأرسلاني إلى مدرسة كونستانتيا كلووف للتعليم الأساسي برفقة كارل.

لقد منحني كل من النضج المتنامي والسفر إلى مختلف الدول نفاذ بصيرة حيال حظي الطيب لنشأتي في جنوب أفريقيا، حيث تضع مناهج التدريس الوطنية النشاطات الرياضية الخارجية على قدم المساواة مع الإنجاز الأكاديمي، وتخصص وقتاً متساوياً كما ينبغي لكلا الطرفين. ولكوني أمتع بطبيعة رياضية بالفطرة، فقد انخرطت في الرياضات المتاحة كلها بدافع من حماسي المعهودة، بالرغم من أن نتائجي كانت متباينة فيها.

لقد شجعنا كل من والدي ووالدي على ممارسة النشاطات الرياضية، وعلى الانخراط في التزامات لا تنتمي إلى المنهج المدرسي في ذلك المضمار. لقد اعتبرتها والدي أولوية أن يجرب كل منا رياضات مختلفة حتى نعثر على مجال معين، نتقنه، وبمكنا أن نتابع فيه بعد المدرسة.

لقد بدت رياضة التنس الخيار الأمثل بالنسبة إليّ، لذا، فقد بدأت بأخذ دروس خاصة فيها. من ناحية أخرى، كان والدي مهووساً

بالجمباز، فجعل منها "هواية إلزامية" لدى كل منا. كان يعطينا مصروفاً للجيب كل أسبوع مقابل تأديتنا لبعض الأعمال، كأن نطعم الكلاب ونصحبها في نزهة، إنما أيضاً مقابل لعبنا الجمباز. وعليه، فلطالما كان للتمارين البدنية وجود متمم في حياتنا، فمنذ حوالى سن الرابعة، كان لدى كل منا أثقال خاصة به. مجموعتي الأولى كانت ترن نصف الكيلوغرام، وأخذت تزداد ثقلاً مع تقدّمي في العمر. أما والدي فكان يستخدم الأوزان، وبمرور الوقت بتنا نمارس ذلك النشاط كلنا معاً. وعلاوة على ذلك، كانت لدينا حوافز تشجعنا، فكلما قمنا بالقفز أو بتمارين الضغط أو تمارين العضلات الباطنية أكثر، كلما كسبنا مصروفاً أكبر.

إن جدي لوالدي لا يزال يقوم بالتمارين الرياضية بشكل منتظم وهو في حالة جسدية وصحية لائقة للغاية. إنه في الحادية والتسعين من عمره وقد عاد مؤخراً من رحلة جاب أوروبا، خلالها. وهو يملك صالة رياضية خاصة به في منزله، ويهمه أن يتدرب فيها يومياً.

لم تكن لعبة الكريكت بأقل من موحية. فعلى غرار معظم الأطفال الجنوب أفريقيين، كنت أحب لعبة الكريكت وقد كنت بارعاً في جميع جوانبها. كنت أجد أحد مصادر البهجة فيها لا سيما أنني كنت معفىً من وضع تلك الأغذية البشعة على الساق. وقد كنت بشكل خاص مغرماً بالضرب بالمضرب، وشعرت بسرور في سري لأنه بهذه الطريقة* لا يمكن معاقبتي بقاعدة اللعبة "ليغ بيفور ويكيت" (*).

(* ليغ بيفور ويكيت Leg before the Wicket: قاعدة في لعبة الكريكت تقضي بإلغاء دور اللاعب حامل المضرب نتيجة لإعاقة مرور كرة كان يمكن لها أن تصيب عصا الكريكت. (المترجمة العربية)

في الحين الذي كنت أمارس فيه الكثير من التنس وكرة القدم، كانت إسهاماتي في الألعاب الرياضية أقل حماسةً. لم أكن من أشد المعجبين بها، وكنت قد حاولت رياضتين: القفز العالي والقفز الطويل وقد استحسننت الثانية أكثر. إذ وجدت القفز العالي شاقاً بشكل خاص، فمع طرفي الاصطناعيين ثقيلي الوزن يضحني الارتفاع عن الأرض أمراً يستلزم جهداً كبيراً. أما كارل فقد كان سباحاً، غير أنني على خلافه وجدت السباحة نشاطاً مملأً.

الرياضة التنافسية التي كنت ألعبها بمستوى عال هي المصارعة. لقد انتسب والدي إلى جمعية الملاكمين الهواة مما أتاح لي فرصة التنافس بطرفي الاصطناعيين، وهو أمر كانوا قد سمحوا به منذ ذلك الحين، وعلى العكس من بقية المصارعين الذين يستخدمون أجسادهم بحملها، سُمح لنا باستخدام الجزء العلوي من أجسادنا فقط. لقد كانت البداية عندما كان عمري ستة أعوام فقط، وقد كان استمتاعي شديداً بها ولا ريب، ولعل ذلك يعود لكونها بالنسبة إليّ استمراراً طبيعياً للطريقة التي كنا أنا وكارل نلعب بها، لقد كان كارل مثلاً للإصرار، وأنا كنت مصمماً على نيل ثقته وأن أعمل على قدم المساواة معه.

لقد ربحت ميداليتي الأولى في المصارعة. إنها لحظة لا تنسى، فحين تربح جائزة للمرة الأولى، تغلفك أحاسيس مختلفة من المشاعر الدافئة من الفخر والسعادة، كما يأتيك شعور بالاعتراف مع تصفيق المحبين لك من حولك. إنه أمر يدعو للإدمان، كما لو أنه إدمان على المخدرات ولكن بصورة إيجابية، يدفعك للاستمرار إلى الأمام لتصل إلى نجاح أكبر. وأعتقد أنه إن كان لطرفي الاصطناعيين أي دور في دفعي إلى الأمام في هوايتي كمصارع، فهو أن الوزن الكبير الذي تتطلبه هذه

بالجمباز، فجعل منها "هواية إلزامية" لدى كل منا. كان يعطينا مصروفاً للجيب كل أسبوع مقابل تأديتنا لبعض الأعمال، كأن نطعم الكلاب ونصحبها في نزهة، إنما أيضاً مقابل لعبنا الجمباز. وعليه، فلطالما كان للتمارين البدنية وجود متمم في حياتنا، فمنذ حوالي سن الرابعة، كان لدى كل منا أثقال خاصة به. مجموعتي الأولى كانت تزن نصف الكيلوغرام، وأخذت تزداد ثقلاً مع تقدّمي في العمر. أما والدي فكان يستخدم الأوزان، وبمرور الوقت بتنا نمارس ذلك النشاط كلنا معاً. وعلاوة على ذلك، كانت لدينا حوافز تشجعنا، فكلما قمنا بالقفز أو بتمارين الضغط أو تمارين العضلات الباطنية أكثر، كلما كسبنا مصروفاً أكبر.

إن جدي لوالدي لا يزال يقوم بالتمارين الرياضية بشكل منتظم وهو في حالة جسدية وصحية لائقة للغاية. إنه في الحادية والتسعين من عمره وقد عاد مؤخراً من رحلة جاب أوروبا خلالها. وهو يملك صالة رياضية خاصة به في منزله، ويهمه أن يتدرب فيها يومياً.

لم تكن لعبة الكريكت بأقل من موحية. فعلى غرار معظم الأطفال الجنوب أفريقيين، كنت أحب لعبة الكريكت وقد كنت بارعاً في جميع جوانبها. كنت أجد أحد مصادر البهجة فيها لا سيما أنني كنت معفىً من وضع تلك الأغذية البشعة على الساق. وقد كنت بشكل خاص مغرماً بالضرب بالمضرب، وشعرت بسرور في سري لأنه بهذه الطريقة لا يمكن معاقبتي بقاعدة اللعبة "ليغ بيفور ويكيت" (*).

(*) ليغ بيفور ويكيت Leg before the Wicket: قاعدة في لعبة الكريكت تقضي بإلغاء دور اللاعب حامل المضرب نتيجة لإعاقة مرور كرة كان يمكن لها أن تصيب عصا الكريكت. (المترجمة العربية)

في الحين الذي كنت أمارس فيه الكثير من التنس وكرة القدم، كانت إسهاماتي في الألعاب الرياضية أقل حماسةً. لم أكن من أشد المعجبين بها، وكنت قد حاولت رياضتين: القفز العالي والقفز الطويل وقد استحسننت الثانية أكثر. إذ وجدت القفز العالي شاقاً بشكل خاص، فمع طرفي الاصطناعيين ثقيلي الوزن يضحني الارتفاع عن الأرض أمراً يستلزم جهداً كبيراً. أما كارل فقد كان سباحاً، غير أنني على خلافه وجدت السباحة نشاطاً مملأً.

الرياضة التنافسية التي كنت ألعبها بمستوى عال هي المصارعة. لقد انتسب والدي إلى جمعية الملاكمين الهواة مما أتاح لي فرصة التنافس بطرفي الاصطناعيين، وهو أمر كانوا قد سمحوا به منذ ذلك الحين، وعلى العكس من بقية المصارعين الذين يستخدمون أحسادهم بمحملها، سُمح لنا باستخدام الجزء العلوي من أحسادنا فقط. لقد كانت البداية عندما كان عمري ستة أعوام فقط، وقد كان استمتاعي شديداً بها ولا ريب، ولعل ذلك يعود لكونها بالنسبة إليّ استمراراً طبيعياً للطريقة التي كنا أنا وكارل نلعب بها، لقد كان كارل مثلاً للإصرار، وأنا كنت مصمماً على نيل ثقته وأن أعمل على قدم المساواة معه.

لقد ربحت ميداليتي الأولى في المصارعة. إنها لحظة لا تنسى، فحين تربح جائزة للمرة الأولى، تغلفك أحاسيس مختلفة من المشاعر الدافئة من الفخر والسعادة، كما يأتيك شعور بالاعتراف مع تصفيق المحبين لك من حولك. إنه أمر يدعو للإدمان، كما لو أنه إدمان على المخدرات ولكن بصورة إيجابية، يدفعك للاستمرار إلى الأمام لتصل إلى نجاح أكبر. وأعتقد أنه إن كان لطرفي الاصطناعيين أي دور في دفعي إلى الأمام في هوايتي كمصارع، فهو أن الوزن الكبير الذي تتطلبه هذه

الرياضة كان يعني أنني مثبت إلى الأرض وربما أكثر ثباتاً من بقية المنافسين.

إنه يبدو لي أمراً غريباً الآن عندما أستعيد تلك الأحداث الماضية وأتفكر فيها كيف أن العدو في ذلك الحين كان في مؤخر الرياضات المفضلة عندي. في أحد الأعوام نظمت مدرستنا يوماً رياضياً كان لزاماً على الجميع المشاركة فيه. لقد كنت أتمتيز من المشاركة فيه لأن ساقبي الاصطناعيتين جعلتا من السباقات مهمة صعبة بشكل لا يصدق، بل ومؤلمة غالباً. وعليه، ففي كل عام كلما اقترب اليوم الرياضي المقيت الموعد كنت آخذ باختبار مهاراتي التزويرية فأرسل ملاحظة إلى المدرسة المسؤولة. لقد كانت المدرسة تتغير عاماً تلو عام بالرغم من أن حجتي كانت بالإجمال تحمل الخطوط العريضة ذاتها:

سيدتي المحترمة:

لم يكن أوسكار بحالة حسنة لإصابته بالإنفلونزا مؤخراً. وفي هذا الصباح كان يشعر بدوار. لقد أرسلته إلى المدرسة على أي حال لكنني أعتقد أنه سيكون من الأفضل عدم مشاركته في مسابقات اليوم الرياضية. يا للطفل المسكين!

أشكرك على تفهمك،

مع أطيب تحية،

شيلا بيستوريوس

ومن ثم أقوم بأفضل ما لدي محاولاً تقليد توقعها، ولكن من دون جدوى. فالنهاية الحتمية كانت أن تتصل المدرسة بأمي، فينتهي الأمر لا بمشاركتي مجبراً في الألعاب وحسب، بل وأيضاً كنت أنال نصيبي من العقوبة في المنزل على سوء تصرفي.

عندما كنت في المدرسة الابتدائية شاركت في العديد من المسابقات الرياضية الثلاثية والتي كانت تتألف من 600 متر سباحة،

5 كيلومترات جري، و20 كيلومتراً على الدراجات. ولأجل هذه المسابقات كونت فريقاً مع كيلم وديون، وهما صديقان قديمان كنت قد التقيتهما في أثناء رحلات الصيد. كل منا كان يختار جانباً محددًا، ويلزم نفسه بالفوز المؤكد بمرحلته الفردية. لقد اخترت ركوب الدراجة، وفي العام الأخير لنا انتصرنا وربحنا اللقب على فئة الناشئة.

كان فريق الفتيات يضم أميرة اسمها فارين مارتن، والتي كانت تسكن في شارعنا نفسه وكان ذوونا على معرفة ببعضهم بعضاً. فهي شقراء الشعر، زرقاء العينين، ورياضية للغاية. لقد كانت متشبهة بالصبيان وتلعب كرة القدم معهم في فريقهم، وهي الآن جزء من الفريق الوطني للهوكي في جنوب أفريقيا.

ما إن شاهدت فارين حتى وقعت في حبها حتى أذنيّ. حتى إنني منحتها وردتي الأولى في ذكرى العشاق في سني عمري الثماني الغضة، بالرغم من أنه يتوجب عليّ الاعتراف بأن الأمر قد استغرق مني وقتاً أطول بكثير كي أستجمع شجاعتي لأتحدث معها فعلاً. لقد دام افتتاحنا بها ولم يخمد على الأقل حتى أصبحت في الثالثة عشرة من عمري.

لقد أمضينا الكثير من أوقاتنا معاً، نلعب سوية، نشاهد الأفلام معاً، أو نترج على الجليد، وعلى الدوام كنا متشابكي الأيدي. وقد بقينا على اتصال حتى بعد انتقالنا إلى بريتوريا وتغيير مدرستي، وفي الحقيقة، لقد بقينا مقربين من بعضنا كراشدين. وفي تشرين الأول الماضي، شعرت بسعادة كبيرة حين تزوجت بشاب رائع صادف أنه أيضاً لاعب ركبي متميز.

لقد تركت فارين أثراً لدي مدى الحياة، وبالعنى الحرفي للكلمة. فعندما كنت في العاشرة تقريباً، كنا نلعب كرة القدم في

المدرسة عندما أمسكت بي من الخلف ملقياً بثقل وزنها كله على ظهري. فانتهى بي المطاف عند السور في نهاية الملعب، وتضرر جذعي خلال تلك العملية. ما زال بإمكانني رؤية الندبة التي خلفها الجرح حتى اليوم، وإنني لأعتبرها هدية فارين لي كيلا أنساها على مر الأيام.

أيضاً لأجل خاطرها شاركت للمرة الأولى في عمر التاسعة بعراك بالأيدي مع أحد المنافسين. ولم يطل بي الأمر إلى حين اشتركت بعراك آخر أكثر جدية مع ولدين كانا يحاولان التنمر عليّ في إحدى الوظائف المدرسية. لم يتدخل والدي في أثناء الشجار، إلا أنه اصطحبني ذلك المساء إلى منزل جدي الذي كان بطلاً في الملاكمة. وقاماً معاً بوضعي أمام كيس الملاكمة وأخذنا يعملان على تحسين لكماتي. فقد آن الأوان كي أتعلم الدفاع عن نفسي.

والدتي كذلك ضلعت بمهمة تعليمي كيفية الدفاع عن نفسي من الفضوليين غير المرحب بهم إنما باستخدام طرائق أكثر تطوراً وأقل عدوانية. لقد علمتني كيف أتعامل مع فضولهم وكيف أجيب عن أسئلتهم باسترخاء، وغالباً بروح من الدعابة أيضاً. في بعض الأحيان كنت أخبر الأطفال أنني قد حزت على ساقّي كهديّة خاصة من متجر تويز آر أس Toys R Us وأنه إن عمل ذووهم بجد كاف وكسبوا كماً كافياً من المال، فقد يتمكنون من شراء زوجين لكل منهم. إحدى أكذوباتي البيضاء المفضلة كانت أنني قد فقدت ساقّي في صراع مع سمك القرش.

حكاية هجوم سمك القرش تلك لم تكن شيئاً غير مسبوق أو مسموع به في خليج بليتينبيرغ، وعليه، فقد كانت قصتي المرعبة تلك تلقى الإعجاب والتصفيق الحاد. حين كنت أتواجد على الشاطئ،

كثيراً ما كان الأطفال ينتظرون أن أهني ببناء قلعتي الرملية وأغادر، ومن ثم كانوا يتوسلون إلى كارل ليخبرهم تفاصيل قصة هجوم القرش كاملة. أعتقد أن وجودي كان يشعرهم بالإرباك، فلم يكن أحد منهم راغباً بإيذاء مشاعري.

كان كارل هو بطلي ومثلي الذي أحتذيه، لقد كان دائماً بقربي كملاكي الحارس. أذكر أنه في إحدى الأمسيات التي كنا فيها في عطلة، لا بد من أنني كنت في العاشرة من عمري حينها، عثر عليّ في مشرب أرقص عاري الصدر على المنصة ويدي سيجارة. بالرغم من أنه في ذلك الوقت كان يدخن كالمدخنة، إلا أن ذلك لم يمنعه من أن يشدني عن المنصة ويعتفني على تدخينني وأمام الجميع. لقد كان تقريره يتسم بغضب عارم، وأرسلني بعده إلى المنزل على نحو حاد وفظ.

لقد شعر أن موقعه كأخ أكبر بالنسبة إليّ يخوله بأن يتصرف على هذا النحو، أياً كانت شدة اعتراضني. حين أفكر الآن في تلك الحادثة لا يسعني إلا التساؤل عما كان هو يفعله في المشرب... قد أكون في العاشرة وقتها فقط، لكنه كان في الثانية عشرة، أي أنه يكبرني بسنتين فقط.

إن واحدة من الميزات الكثيرة التي رافقت عاطفته نحو هي أنه كان على الدوام على استعداد لمرافقتي، حتى خلال أوقات بعد الظهر اللامتناهية التي كنت أمضيها بعد المدرسة في عيادات أخصائي الأطراف الاصطناعية. فكثيراً ما كنا نغضي حتى الثلاث ساعات في ضبط ساقّي الاصطناعيتين، وصنع القوالب للجزئين العلويين اللذين سيحتضنان جدعيّ، ثم القياس والتأكد والتجريب وتعديل كل ساق على حدة حتى تصبح على أكمل حال.

كارل، على غرار آل بيستوريوس حقاً، كان يراقب الإجراءات عن كثب. وعمرور الوقت أضحي خبيراً في تقصي مواطن الخطأ. لقد كان قادراً على تحديد الأخطاء التقنية أو الأداء غير الدقيق الذي سيفضي إلى تشكل القروح وما شابه. مجرد مشاهدته طريقة تحريك لساقتي ومراقبة مشيتي. كنا لا نفترق، وكان أول إنسان أثبتة شكواي أو أستودعه أسراري. لقد كان منهمكاً تماماً في شؤوي الروتينية، وكثيراً ما كان يذكرني أن أغسل جوربي (وأحياناً يغسلها هو لي) وأن أضع البودرة على جدعي. وكم أثار جنوبي بالمحاضرات التي كان يلقها علي في كيفية العناية بجدعي.

بين الحين والآخر في يوم الجمعة كانت والدتنا تأتي لتقلنا من المدرسة. ومن ثم، وعضاً عن أن تتجه إلى المنزل، كانت تأخذ الطريق السريع. وفي هذه اللحظة كنا ندرك أنها كانت على وشك مفاجأتنا بعطلة نهاية أسبوع خارج البلدة كمكافأة مميزة للجميع. أذكر أنني كنت أهييم بسكون جبال دراكينبيرغ المغطاة بالثلوج، إنها في غاية الفخامة والمسألة. كنا نعلم أنها ما كانت لتقدر على تكاليف رحلات المتعة هذه، لولا أنها كانت تدخر المال جانباً خصيصاً لأجل هذا الغرض.

على مر الأعوام تباينت الحالة المالية لأسرتنا على نحو كبير. إنني لأعتقد أن في هذا نعمة كبرى، لأنه بالرغم من أن والدنا سعياً دأهما أن يجنبانا وطأة ذلك، إلا أننا جميعاً كبرنا ونحن نتمتع بحس عال من المسؤولية المالية وتقدير لقيمة المال. عندما كنا أطفالاً عشنا في منزل مهيب وكنا مترعين دلالة، لذلك عندما انفصل والدانا وأجبرنا على تقليص مستوى معيشتنا لم يكن لدينا أي إدراك لمعنى شظف العيش. من وجهة نظرنا التي كانت تنطلق من البساطة الساذجة، كان أولئك

القاطنون في شقق معدمين، ومنزلنا عادي الحجم بدا لنا صغيراً جداً. لحسن الحظ أن هناك دائماً درساً بنّاءً يمكن استخلاصه من هذه التجارب.

مع الوقت تعلمنا أن نحصر على بنساتنا وأن نكون مراعيين للظروف. فإن أمي أحدنا المدرسة قبل الآخرين فسينتظر البقية كي نتجنب الرحلات المتعددة بالسيارة وبالتالي استهلاك البنزين بلا طائل. لم تألُ والدي جهداً في دعم والدي بينما كانت أعماله تمر بوقت صعب، لذا، فقد شددنا الحزام واستطعنا تسديد فواتيرنا كل شهر. لحسن الحظ كانت جدتي لوالدي أيضاً تسهم في رفاها المادي.

خلال المراحل الأولى لطفولتنا لم تكن والدي تعمل؛ لقد ساعدت والدي في أعماله، لكنها عدا عن ذلك كرست نفسها لنا. غير أن إفلاس والدي وطلاق والدي وضع نهايةً لتلك الأنشطة القصصية الرقيقة، ولفترة ظلت أحوالنا المادية متقلقلة في أحسن الحالات. لقد عملت بدوام جزئي في عمل كان يستلزم بالرغم من ذلك التزاماً كاملاً طيلة الوقت. غير أنها في حين كانت تبدأ عملها عند الساعة السابعة صباحاً، فقد كانت تنتهي عند الثانية بعد الظهر، ما أعطاها وقتاً حراً بعد عملها. لقد حاولت تخفيض النفقات حيث كان ذلك ممكناً، ولكنها مع ذلك حرصت على أن أنال الرعاية الطبية التخصصية الفضلى لأجل ساقبي الاصطناعيتين، والإفادة حيث أمكن من آخر ما وصل إليه التقدم التقني. إنني لأذكر أنها قد خبزت كعكة خاصة على شرف حصولي على أول مجموعة أصابع قدمين لي! كنا نحتفل بأول زوجين من طرفي الاصطناعيين الذي يحمل كلّ منهما قدماً مقولبة معه.

أمي، امرأة ذات شخصية مرحة وحيوية، وحس رائع بالدعابة، وموهبة في تحويل كل شيء إلى أمر ممتع. لقد استطاعت والدتي أن تعلمنا جميعاً الدروس المهمة في الحياة بابتسامة على وجهها. لقد حرصت على أن تجعلنا ندرك أن ارتداء المرء للملابس ذات علامات تجارية شهيرة من رأسه إلى أخمص قدميه ليس بالأمر المهم؛ بمعنى أن المرء عليه ألا يعلق قط الكثير من الأهمية على اعتبارات سطحية كهذه. فليس المهم علامة الملابس التجارية، أو مقدار ما تنفقه عليها من نقود، ما هو جدير بالاعتبار هو كيف ترتديها. قد تبدو هذه الدروس اعتيادية إلى حدٍ بعيد، إلا أنها بقيت معي وجعلت مني إنساناً أفضل.

لقد كانت مبدعة بشكل لا يصدق، وقد استطاعت على الدوام أن تجرح ما بدا أنه من المعجزات:

بالإضافة إلى السفرات الممتعة والعطلات التي كنا نحصل عليها، كان كل منا يحظى بحفلة متميزة لذكرى ميلاده، والتي بطريقة ما كانت تبقى ضمن حدود ميزانيتنا على الدوام. لقد كانت والدتنا معنية بشكل فاعل بجوانب حياتنا كافة، والمدرسة لم تكن استثناء من تلك القاعدة، حيث كانت عضواً فاعلاً في جمعية الأهالي والأساتذة. لقد نجحت في الإحاطة بكل شيء بخفة ومن دون أي جهد (أو هكذا بدا لنا الأمر على الأقل). لقد كانت ديناميكية وذات شخصية ساحرة، وبقيت مصدر إلهام لكل واحد منا.

بالرغم من أنها لم تعد معنا، وأنني أشتاق إليها بشدة، إلا أنني لا أزال أشعر بوجودها في حياتي. وكثيراً ما أقرأ الملاحظات التي تركتها لي، فقد كانت تحب أن تخبئ لنا الرسائل في علب غداثنا كي نحصل على مفاجأة منها خلال النهار. أشياء من مثل: "أنتم أبنائي

المميزون، وأنا أحبكم. ماما". لقد كانت على الدوام عبارة عن كلمات جميلة تبثنا تشجيعها، أو مقتطفات شعرية، ولقد احتفظت بالعديد منها. لقد كانت والدي ملتزمة دينياً وممارسة لشعائرها الدينية، والواقع أننا بدورنا قد استفدنا من دعم الأبرشية لنا في مسيرة حياتنا.

خلال فترة طلاقهما، وضع والداي السكينة وصالح الأسرة في المقدمة، وحافظا على علاقتهما ودية ومبينة على الاحترام المتبادل. لقد حاولا حمايتنا من أي متاعب مالية إلا أنه كما هي الحال عموماً، كنا كأطفال نعرف أكثر بكثير مما نظهر.

لقد عشنا مع والدتنا إنما من دون قوانين صارمة أو حقوق مفروضة لأجل الزيارة. كنا نرى والدنا بقدر ما نريد وبقدر ما يكون الظرف متاحاً. بل إن والدي قد حثتنا على التواصل مع والدنا، وحتى كانت تسمح لنا بمهاجته عند الثالثة بعد منتصف الليل في الأوقات التي كنا نشعر بها بوطأة غيابه تشتد علينا، وأنا بحاجة إلى استعادة الشعور بالطمأنينة بالتكلم معه. فالنوايا والأهداف كافة كانت تصب في سياق واحد وهو أننا لا نزال أسرة، وكل ما تبدل هو أننا نقيم بشكل رئيسي مع والدتنا.

التلميح الوحيد الذي فهمنا منه أن الأمور لم تكن بالبساطة التي كانت تبدو عليها، هو حين سمعنا مصادفة القيل والقال بين أفراد العائلة، والذي لم يكن في محله، حيال من هو الملام في شأن الانفصال. وإننا لم نلقِ بالاً يوماً إلى تلك الثروة، فكل من كان مسؤولاً عن نشرها، كان يُؤنَّب سرياً ويُوَجَّه إلى الاهتمام بشؤونه الخاصة.

لقد جعل والداي أولوية بالنسبة إليهما ألا نحتاج إلى شيء واستمرا في تدليلنا. حتى إن والدي قد ابتاع لنا قارباً صغيراً كي تتمكن

من التزلج على الماء. لقد طرنا به فرحاً لأنه كان يعني بالنسبة إلينا أنا وكارل نشاطاً جديداً تماماً نتحدى فيه بعضنا: من الأقدر على إدارة القارب لولبياً بسرعة أكبر، ومن يقوده المسافة الأبعد أو يجعله يشب على سطح الماء إلى المسافة الأطول. وفي إحدى المرات استطعنا بشق الأنفس تجنب حادث خطير. إذ كنا منطلقين بسرعة كبيرة ودونما انتباه إلى ما يدور حولنا، وبالكاد نجبننا أن نعلق بين سفيتين ضخمتين جداً وحدود مرساتيهما. كنا لنترجّ وينقلب بنا القارب ملقياً بنا في الماء.

لقد كانت والدي امرأة منفتحة، وتحب المرح والضحك وتمضية الوقت مع الأصدقاء أكثر من أي شيء آخر، ولطالما شجعتنا على أن نكون منطلقين وودودين. وإن صداقتنا مع نيل ستيفسون هي أفضل مثال على طبيعتها العفوية مع الناس. فقد كان نيل بطلاً في ركوب الأمواج، وكان مصنفاً في ذلك الوقت في المرتبة الثالثة على مستوى العالم. كأولاد كنا نقدره، فما كان من والدي إلا أن استخدمت حاذيبتها الأسرة المعهودة وأقنعته بأن يصطحبني معه على لوح تزلجه. كنا نراه كل عام وأضحينا نمثل نادي معجبيه المنتظم. ثم في العام 1998 وقع ضحية هجوم لسمك القرش اجثت على إثره ساقاه الاثنان بوحشية. لقد استطاع أن يخلص نفسه بأعجوبة وأن يسبح مسافة 200 متر نحو الشاطئ مع ما تبقى من ساقه. إنه لمحظوظ أن يكون على قيد الحياة ليروي قصته، إذ كان الوقت أواخر الأصيل حينها وما من أحد كان موجوداً على الشاطئ ليسمع استنجاهه. لقد كان في حالة صدمة وينزف الكثير من دمه، لكنه تمكن بالرغم من ذلك بطريقة ما من أن يتماسك ويستجمع قوة كافية ليسبح. وفي اللحظة التي سحب فيها نفسه على الشاطئ أدرك خطورة وضعه وكم كان الموت على قاب قوسين منه أو أدنى. لقد اضطر أطباؤه إلى بتر إحدى ساقه من فوق

الركبة حيث إن الغارغارينا قد بدأت تفعل فعلها فيها غير أنهم استطاعوا إنقاذ الساق الثانية. لقد حافظنا على صداقتنا، وإنه لطيب لي أن أفكر في أن صداقته معي قد شددت من أزره ومنحته الشجاعة، لا ليتخطى الألم والمعاناة وحسب، بل أيضاً ليستمر في المشاركة الفاعلة في العالم الرياضي. اليوم بات نيل من أبطال جنوب أفريقيا في ركوب الأمواج. إنني أعتقد أننا كلينا إثبات على صحة درس آخر من دروس والدي: لا تقل يوماً عن شيء إنه مستحيل، وإياك أن تستسلم. بل حاول وحاول مرة أخرى.

لقد طبعنا والدانا بالقناعة بأنه إن كان أمر ما يستحق القيام به، فيجب تأديته على أحسن وجه. تعلمنا روح التنافس الحقيقية، حيث الهدف فيها ليس الفوز وحسب، بل ما يهم هو أن نقدّم أقصى ما لدينا.

عندما كنا أولاداً، كان والدي كثيراً ما يسطحننا للسباق في السيارات المكشوفة. لقد كان يعشق السباقات، ولأنه كان أثقل وزناً منا، فإن سيارته كانت تسيطر على المسار بأفضل مما كانت تفعل سيارتنا؛ إنما ومن ناحية أخرى، فقد كان يضطر إلى النضال عند الالتفافات. لقد استغرقني الأمر أعواماً لأفهم أنه كي أتمكّن من هزيمته عليّ أن أستفيد من نقطة ضعفه عند المنعطفات وأن أتخطاه هناك. لقد حرص بدوره على أن أربح بجدارة كل نصر كنت أحققه. كما شجعني على التنافس مع أقراني، فكثيراً ما كان يدعو حتى الخمسة أو الستة أصدقاء وينظم لنا السباقات. لقد كان السباق المفضل لديه هو أن يجعلنا نجري إلى الحائط ثم نعود، حيث يكافأ الراح بأكبر قطعة من الحلوى أو شيء من هذا النوع. حتى عمر الثانية عشرة كنت أتمتع برشاقة وسرعة مدهشتين حتى عندما كنت أعدو على جدعيّ (كنت

في حينها أخف وزناً بكثير مما أنا عليه الآن بالطبع. فوزن جسدي الآن أثقل بكثير من أن يتحملة الجلد على جدعيّ، بالرغم من أنني خضعت لعملية زرع للبشرة عند قاعدتيهما). ففي الكثير من المرات كنت أنزلق خارجاً من طريقيّ الاضطناعيين وأعدو المسافة متغلباً بسهولة على أي منافسة.



الفصل الرابع

عِشْ سَاعَتِكَ

عندما حان الوقت بالنسبة إليّ لأبدأ الدراسة الثانوية، كعهد والديّ أبداً أعطيتني حرية كاملة. كان بإمكانني الانتساب إلى المدرسة التي أُرغب بها، وعليه، فقد اخترت ثانوية بريتوريا للبنين، وهي مدرسة داخلية تدرّس باللغة الإنكليزية وذات سمعة حسنة. (كان والدي من خريجي المدرسة المنافسة المجاورة ذات اللغة الأفريقانية) وقد قرر كارل الانضمام إليّ. حتى ذلك الحين كنا قد عشنا في جوهانسبيرغ دائماً، لذا، فقد كنت متحمساً لأجرب العيش في مكان جديد ومختلف بعض الشيء. لقد كانت بريتوريا في نظري المكان المثالي، فهي ليست جوهانسبيرغ، ولكنها أيضاً تبعد عنها نصف ساعة فقط. وبذلك أصبحت طالباً في ثانوية بريتوريا للبنين من العام 2001 وحتى العام 2005، أي ما بين عمر الرابعة عشرة والثامنة عشرة.

أسست ثانوية بريتوريا للبنين في العام 1901، وهي مثال رائع عن المدرسة الداخلية الأنكلو - ساكسونية. تحفّ أشجار الصنوبر الضخمة الباسقة المشى الذي يفضي إلى الأبنية الرئيسية للمدرسة. أسلوب البناء في المدرسة مهيب وكبير، وقد ثمنت المدرسة عالياً التميز في المجالات الرياضية، وعليه، فقد ضمّت ستة ملاعب لرياضة الركبي، وملعباً ضخماً وآخرين أصغر حجماً للعبة الكريكت، ومساراً للنشاطات الرياضية البدنية يحيط بملعب للهوكي مغطى بعشب أخضر من نوع

الآسترتورف ومجهز بأنوار ضخمة لأجل المباريات المسائية، بالإضافة إلى مسبحين أحدهما للسباحة والآخر للعبة كرة الماء. كما تضم عشر قاعات للعب التنس وستاً للسكواش. حتى إنها تحوي مضماراً للرماية. يحيط بالمدرسة ريف أخضر وجبال مثيرة سرعان ما أصبحت منتجعي الفعلي. كانت تضم 1500 طالب، 400 منهم داخلين.

لقد دخلت المكان كما تدخل السمكة الماء. إنني اعتقد أن الناس يرونك بالطريقة التي ترى بها نفسك، وبما أنني كنت بالفعل فتى مملوءاً بالحبور وذا قدرة على التأقلم، فتلك هي تماماً الصورة التي تقبّلي الآخرون بها.

في يومي الأول في المدرسة وقعت حادثة جديدة بأن يحمل المرء ذكراها. فقد طلب إلينا أن نصطف في القاعة عند المدخل. وبجانبي كان يقف فتى جديد آخر كان هو أيضاً في تلك اللحظة لا يعرف أحداً، فقدم إليّ نفسه بأدب على أنه كريس وبدوري عرفته إلى نفسي. وبما أن زي المدرسة الصيفي الموحد كان عبارة عن سراويل قصيرة مع جوارب طويلة فإن ساقّي الاصطناعيتين كانتا ظاهرتين للعيان أمام الجميع. فاستفهم كريس مني مباشرة عما حدث لي، فأخبرته بقصتي. طلب إلينا بعد ذلك أن نخرج إلى الملاعب الرياضية، وفي الوقت ذاته سألني كريس عما إذا كنت بحاجة إلى أي مساعدة، ومن ثم عرض عليّ أن يحمل حقيبة كتبتي. في الحقيقة، كانت فعلاً ثقيلة كأنها ترن طناً، والمسافة التي يتوجب قطعها بين صفوفنا لم تكن بقصيرة. عقدت الدهشة لساني، إذ ما من أحد في المنزل قد أظهر تساهلاً معي بهذه الطريقة، ولم أجد اهتمامه مفيداً فحسب، بل أيضاً مؤثراً. قبلت عرضه، وأمضينا ثلاثة أسابيع بعدها وهو يحمل لي حقيبتني. إنما في أحد الأيام حدث أن شاهدني متأخراً عن الصف وبالتالي أجري بسرعة عبر الحقل

حاملاً حقيبتِي الثقيلة على كنفِي! لقد ثار غضباً عليّ لاستغلالِي لطفه معي، غير أنّها كانت البداية لصداقة متينة لا تزال حتى اليوم أثيرة لديّ.

مع ذلك فقد تعلمت درسي. وبدلاً من أن أقوم أنا بالخدع كان الأولاد الآخرون هم من يخدعونني. لقد تشارك أولاد السنة الأولى جميعاً في مهاجع على النسق العسكري، حيث يسكن المهجع الواحد ستة وعشرون طالباً، بأسرتها وخزائنها المعدنية وقد كانت مصفوفة إلى جانب بعضها بعضاً. تسند المسؤولية إلى فتى واحد، وفقاً لنظام توزيع المهام على لوائح بالأسماء، وكانت تلك المسؤولية تتضمن المحافظة على الترتيب والنظام وإيقاظ الجميع في الصباح.

في كل مساء، وقبل أن أخلد إلى النوم، كنت أفضل ساقِيّ البديلتين عنيّ وأوقفهما أسفل سريري، لتكونا جاهزتين لأبدأ يومي في الصباح التالي. وفي إحدى المرات أيقظني من نومي صوت صيحات اهتياج، ومن خلال عيني اللتين أنقلهما النعاس شاهدت ألسنة اللهب في كل مكان. كان عريف المهجع يصرخ بالجميع أن يخلوا المكان لاندلاع حريق، فترنحت محاولاً الوصول إلى ساقِيّ الاصطناعيتين غير أنني لم أجدهما حيث تركتهما. بحثت في كل مكان وسرعان ما أصبت بالدعر، وكادت عيناَي تغرورقان بالدموع خوفاً من أن أترك لأموت عندما اختفت النيران بقدرة قادر وعاد الأولاد جرياً إلى الداخل وهم مغرقون في الضحك، ليخبروني حينها أن الأمر كله لم يعد كونه دعابة. مزحتهم كانت قائمة على رش وقود الولاعات على الخزائن المعدنية ومن ثم إشعال النار فيه. وبما أن المعدن لا يحترق فإن أثرها الأولي سيكون مريعاً، إنّما سيستهلك الوقود نفسه سريعاً وبالتالي ستخمد النار من تلقاء نفسها. لقد ظن الأولاد في مهجعنا مأثرهم في غاية المرح، وأخبروني أنّها طريقتهم الخاصة في الترحيب الدافئ بي.

الحيلة الأخرى التي أفضلها هي في جعلني أقع في عقوبة الحجز بسبب التأخر على الصفوف. فقد كونت سمعة عن نفسي بأنني أنام حتى وقت متأخر، إذ كنت أتجاهل على نحو مدرّوس النداء الأول والثاني للنهوض من النوم كل صباح، مما كان يعني أنه عندما يحين النداء الثالث كان يتوجب عليّ أن أثب من فراشي وأكون عملياً مرتدياً ثيابي مسبقاً.

فكانت الدعابة أن يخفي رفاقي ساقّي الاصطناعيتين، وبالتالي سيؤدي الوقت الذي أستغرقه في العثور عليهما إلى وقوعي في عقوبة الحجز بسبب تأخيري. لم تعرف تلك الحيل نهاية، ولكن بما أنني كنت المتكرر والضحية بشكل متساو، فقد كنت أجد متعة بالغة فيها. إنني أعتقد بشدة أن هذه الألعاب هي نتيجة وضع 150 صبياً معاً في مكان واحد مغلق قريباً من بعضهم. لقد لعبت هذه الخبرات دوراً مركزياً في عقد وشائج الصداقة بيننا وربطنا كمجموعة، وبالنسبة إليّ، فقد كانت ذات أثر هام في جعلني أشعر بأنني مقبول بينهم على درجة مساوية لأي صبي آخر. لقد كنت طالباً داخلياً سعيداً.

تحمل الأسابيع القليلة الأولى تحديداً في العام الدراسي بالنسبة إلى التلميذ الجديد الكثير من الضغوط والمطالب. فعليه أن يمر بعملية تلقيته المبادئ الأولية وأن يتألف مع روتين المدرسة وتقاليدها. أضف إلى أنه على التلاميذ أن يحفظوا جغرافية المدرسة وأسماء المباني والملاعب جميعها، وأسماء المدرسين، وأخيراً وليس آخراً أسماء رفاقهم الجدد في الصف. برأيي الشخصي، إن هذه الجهود كلها تستحق أن تبذل لأن المدرسة الداخلية في غاية المتعة، فهناك خبرات جديدة لا تنتهي إضافة إلى البهجة التي يستمدّها المرء من التواجد في كل لحظة من لحظات نشاطه برفقة أصدقائه.

في بعض الأحيان (أيام الجمعة عادة) كنا نتسلل خارج المهجع ليلاً ونجلس قرب حوض السباحة لندردش أو نسمح متجردين من ثيابنا ونلعب كرة الماء، جميع هذه النشاطات كانت تمثل لنا ذكريات للحظات ممتعة لا تنسى. حتى إننا كنا نهرب ريفقاتنا الفتيات إلى داخل المهجع، فلك أن تحدّث ولا حرج عن فوائد العمل الجماعي! إذ توجب على بعض الأولاد شغل المدرسين المناوبين فيما كان الآخرون يساعدون الفتيات على الدخول. أمسيات يوم السبت كانت هي الأكثر لهواً: فقد كنا نجس أنفسنا في غرفة واحدة ونستمع إلى الموسيقى، وتبادل الأحاديث، ونشرب، وندخن قليلاً.

ألوان المدرسة كانت الأخضر والأحمر والأبيض. وثانوية بريوريا للبنين كانت تضم قاعة للشرف تعرض فيها التذكارات والجوائز جميعها التي ربحها مختلف الأبطال الذين عبروا بواباتها. تلك الجوائز كانت على نوعين - أكاديمية ورياضية - ومن ثم كانت تصنف في مراتب وفق اللون، فالتصنيفات بنصف الألوان تذهب إلى أولئك الذين لعبوا في فريق المدرسة الأول طيلة عام دراسي كامل، والتصنيف وفقاً لألوان كاملة إن كنت جزءاً من الفريق الأول لمدة عامين، أما التكريم فيكون إن أنت لعبت رياضتك المختارة على مستوى وطني وارتديت ألوان سبرينغبوك (*). كما كانت الجوائز في الزبي المدرسي: فمثلاً، الألوان الكاملة تحوّلك الحصول على سترة مدرسية بخطوط عريضة حمراء وخضراء. لقد كوفئت بألوان رياضية كاملة في العام 2004، وبتكريم في العام 2005.

على قمة الكتلة الطلابية في المدرسة ترعب المتميزون. لقد كانوا هم النخبة بيننا ويتألفون من أفضل ثلاثين طالباً أو نحوهم في العام الأخير

(*) سبرينغبوك Springbok: تعبير يطلق على كل رياضي يمثل جنوب أفريقيا في أي من المنافسات التي تقام في المحافل الدولية. (الترجمة العربية)

من المدرسة. وكانوا مسؤولين عن قيادة المدرسة بالإضافة إلى النشاطات المختلفة، كجمع التبرعات وتنظيم مناسبات معينة. أضف إلى أن كل طالب متميز يوكل بمهجع (وسطياً ثلاثة لكل واحد). وكحافز لهم، فقد حُوِّل المتميزون بالحصول على محصصات وامتيازات استثنائية؛ في بادرة عُدَّت كمكافأة لهم على انغماسهم في المدرسة وبرهنتهم على التزامهم باتباع أخلاقيات المدرسة ونظامها.

لقد غرست ثانوية بريتوريا للبنين في نفوس طلابها احترام بعضهم بعضاً، واحترام تقاليد المدرسة. لقد منحتنا تعليماً أصيلاً، وعززت لدينا شعور الفخر بمدربتنا والتقدير لأننا محظوظون لانتمائنا لهذه الأسرة اللامعة، وكنتيجة لذلك فقد تعلمنا كيفية الاهتمام بمظهرنا الخارجي والحفاظ على نظافة لباسنا وترتيبه. لقد أدركنا أننا واجهة المدرسة، وأن سلوكنا ومظهرنا مرآة لها. لقد كان من المهم أن تحمي المدرسة سمعتها الطيبة، وبالتالي أن تؤثر في الناس بشكل ملائم.

رفع العلم كان علامة بداية كل يوم، في حين أنه في بعد الظهر من كل يوم عند الساعة الخامسة والنصف يصعد أحد التلاميذ إلى أعلى برج المدرسة لينزل العلم ويعزف موسيقى "ذا لاس ت بوست"؛ المعلم الأخير، إنه تقليد قديم وأقرب إلى الأسلوب العسكري في التعليم. في تلك اللحظة، حيثما كنت في أنحاء المدرسة، أياً كان ما يصادف أنك تفعله، فإنك مجبر على أن تقف بانتباه وتضع يديك على قلبك في دقيقتي صمت. واحترام هذه القاعدة كان سارياً على الجميع، حتى على منافسينا الرياضيين. فأياً ما كنت تفعله، سواء أكنت في مباراة ركبي حامية، أو في لعبة بكرة الماء، كل شيء سيتوقف فوراً.

شأنها شأن بقية المدارس ذات الطبقة نفسها، كان لثانوية بريتوريا للبنين أنشودتها الخاصة، والتي كانت تستخدم كصبيحة حرب تطلق في

المناسبات الرياضية لتشجيع أفراد فرقتها ودعمهم. لقد تعلمنا أن نحترم أنفسنا وبعضنا بعضاً وأن نتحلى بالانضباط. فقد كان بإمكاننا أن نلعب بأقصى طاقتنا، إنما كان علينا أن نعمل بجد أيضاً. فقد كان هدف المدرسة هو تخريج شبان يافعين يتمتعون بالعلم الرفيع، والبنية القوية.

لقد كانت ثانوية بريتوريا للبنين تستخدم أسلوب التعليم بالقدوة، لتظهر لك أنك لم تعد طفلاً بعد الآن بل فتى يافعاً، وأن تلك الفرصة قد تلازمت مع نوع محدد من المسؤولية. تُعد العقوبة الجسدية غير قانونية في مدارس جنوب أفريقيا، إنما في بعض المناسبات كان الناس يغضون الطرف عنها. في مدرستنا، كان الطلاب المتميزون هم المسؤولون عن الانضباط، وأفراد الجهاز التدريسي يثقون بهم ثقة مطلقة، راكبين إلى علمهم أنهم هم أيضاً قد مروا تحت جناح نظام المدرسة، وأنهم فتيان فاضلون لن يسيئوا استخدام السلطة الممنوحة لهم.

عندما تكون في المستوى السادس، فإن بداية حياتك المدرسية والفترة التي ستمضيها كطالب داخلي في ثانوية بريتوريا للبنين يسودها شعاران مهمان للمرور فيها. ففي الأسابيع الثلاثة الأولى لا يسمح لأحد من الطلاب بمغادرة مبنى المدرسة وملحقاته قاصداً المنزل. إنه وقت خاص مكرس للتعرف إلى المدرسة وإلى الأصدقاء الجدد فيها، والتميزين، والأساتذة. لقد كنا مرغمين على حفظ أسماء الطلاب والتميزين جميعاً، وأي خطأ في هذا المجال كان صاحبه يتلقى عليه عقوبة فورية. وذلك في الواقع يشكل حافزاً كافياً، إذ هناك نوعان رئيسيان من العقوبات يطلق عليها اسم *أوبشتان*، والتي تعني باللغة الأفريقانية "استيقظ": لقد أطلقت تلك التسمية على هذه العقوبات لكونها منفصلة عن المدرسة، وكنت مجبراً على تأديتها خارج ساعات

السدوام الدراسي. أي بمعنى آخر، إنها أول ما ستقوم به عند استيقاظك صباحاً وقبل ذهابك إلى المدرسة. يتألف العقاب الأول ذو الصبغة الأكثر تقليدية من كتابة ألف كلمة حول موضوع يحدّد لك. فيما كان الآخر بلا ريب جسدياً. عندها سيوظفك المتميز المسؤول قبل شروق الشمس - أي تقريباً حوالى الرابعة والنصف فجراً - ويجعلك تركض لساعتين ونصف. كنت مجبراً على أن تعدو 50 متراً، تشرب بعدها شيئاً، ثم تتدحرج على الأرض، وتكرر العملية منذ البداية، وهكذا دواليك. إنني لأحريك من منطلق خبير أنهما عقوبة شنيعة.

عقوبة أخرى كانت أثيرة أيضاً، هي في جعلك تركض مسافة 50 متراً وأنت تحمل فتى آخر على كتفك، ومن ثم تتبادلان الأدوار، وهكذا. وفي النهاية يأخذ منك التعب كل مأخذ حتى لتكاد لا تقوى على الوقوف. وأخرى، وهي الأحب بين العقوبات، تنطوي على جعلك تجري مسافة 400 متر وأنت تحمل على رأسك قطعتين من الطوب، وذلك في فترة زمنية أقل من دقيقتين و15 ثانية، وإلا سيتوجب عليك أن تبدأ مجدداً من البداية.

بالطبع كان ذلك مطلباً مستحيلاً: فكلما ازددت تعباً كلما ازداد احتمال إيقاعك للطوب وكلما قلّت سرعتك. العبقريّة الكامنة في هذه العقوبة تتجلى في ضبط الوقت وفقاً للفتى الأبطأ. فإن لم يستطع الفتى الأبطأ النجاة، فسيتوجّب على الجميع البدء من جديد. لقد كانت تلك طريقة سرية تدفع الفئيان للاهتمام ببعضهم بعضاً، وتحثهم بشكل خاص على العمل معاً ومساعدة الحلقة الأضعف بينهم. في نهاية تلك الجلسات كنا جميعاً نشعر بأننا محطمون وتواقون إلى العودة إلى السرير، ولكن هيهات إذ إن وقت المدرسة يكون قد حان. إننا من حسن الحظ أن قوة المرء تعاوده سريعاً في ذلك العمر.

لقد وجدت العقاب الكتابي أشد وطأة من العقاب الجسدي. يتولى فيه المتميز المسؤول كتابة الموضوع على السبورة، ولكننا كنا ممنوعين عن تسمية الموضوع في الكلمات الألف التي سنستغرقها في كتابته. وكلما كان الموضوع أشد سخافة كلما كان ذلك أفضل، فمثلاً موضوع بعنوان "الحيوات الست لكرة البينغ بونغ" أو "قصة الفأر المنغولي والسلاحفة". وقد كان ذلك العقاب يكتسب أبعاداً إضافية لدى المتميزين الذين ثبت أنه العقاب المفضل لديهم حين كانوا يرغمونا على كتابة كل سطر خامس باللغة الصينية؛ لمسة لطيفة، لكنها عسيرة على معظمنا. أسوأ عقاب حصلت عليه على الإطلاق كان حين طُلب إليّ وصف شيء لا لون له ولا شكل ولا رائحة، ومن دون أن أستخدم أيّاً من هذه الأوصاف. ولزيادة الأمور تعقيداً، كان المتميزون في الواقع يقرأون تلك المقالات فعلاً، وعليه فإن كنا قد ارتكبنا خطأ ما، أو انحرفنا عن الموضوع أو حاولنا التذაკي، فسُنمَح عندها في اليوم التالي واجباً من ألفي كلمة يتم الموضوع الأول. لقد كان وضعاً يستحيل الخروج منه فائزاً.

في بعض الأحيان، كان المتميزون يعاقبوننا بما يوازي أعمال الخدمة الاجتماعية. فيطلب إلينا البقاء داخل بناء المدرسة لطلبي الأبواب، وتنظيف الطاولات بالرمل، أو أن ننجز أيّاً من المهام المتخلف إنجازها. بالنسبة إليّ، لقد كنت أفضل إلى حدٍ بعيد العقوبة الجسدية بالنسبة إلى الأنواع الأخرى.

في كل عام كانت الليلة الأولى في العام الدراسي تُحفظ لأجل "مسيرة المائدة" للمستوى السادس. تقام تلك المناسبة في قاعة الشرف، والتي كانت صالة الطعام سابقاً، ولا تزال تضم طاولات طويلة، ومقاعد إلى جانبها. يحتشد الصبية جميعاً في الغرفة ومن ثم يصفون

الطاولات الكبيرة على أحد الجانبين. ومن ثم يدخل الصبية واحداً تلو الآخر، ويرغمون على المسير بمفردهم بأقدام حافية على طول الطاولة. إنها لحظة مخيفة بالنسبة إلى المرء لكونه وافداً جديداً ولا يعرف أحداً هنا. وما إن تبلغ نهاية الطاولة حتى تؤمر بأن تروي نكتة، إلا أن هذا، كما يتبين في ما بعد، يهدف فقط إلى إطالة مدة السخريّة منك. فلا أحد يضحك لنكتتك، وما إن يجبروك حينها أن نكاتك رديئة، فسيطلبون إليك أن تبذل جهداً أكبر وأن ترفع قميصك لتكشف عن عضلاتك. فإن أنت رفضت، فسيثب بقية الصبية على الطاولة وحوها ليخيفوك ويهددوك (إنني متأكد أنه بإمكانك تخيل الضحيج الذي سيولده 150 صبياً وهم يتراحمون حول الطاولة). لقد وجدتها تجربة مرعبة، إنما بعدها يرحب بك الجميع كواحد منهم يشاركونهم حياة المهجع.

يفتح أولاد المستوى السادس ووصولهم إلى المدرسة العليا بذهائم في رحلة تخييم في عطلة نهاية الأسبوع عند بداية العام الدراسي. إنها عملية استطلاع للطرائق السائدة في المدرسة. حيث يتمتع الطلاب المتميزون بسلطة مطلقة يستخدمونها حتماً لجعلنا نمر بتجارب عسيرة. فقد كنا نستيقظ عند منتصف الليل على صراخهم ودلاء الماء المتجمد التي يسفحونها فوق رؤوسنا. إنني لأذكر أحد الصبية الذي كان ذا ساق مكسورة ذات جبيرة عندما ألقى به في بركة السباحة لخلطه بين الكلمات في أثناء أداء ترانيم المدرسة. لقد كان ذاك عملاً متطرفاً.

لقد كنا جميعاً نبكي وناشدهم لنعود إلى منازلنا. لا تزال أصوات الصبية الأكبر سناً ترن في أذني وهم يصرخون بنا ويسألوننا من نعتقد أنفسنا. أكننا نظن أننا راشدون؟ أم كنا نظن أننا شبان يافعون؟ كانوا يقولون لنا: "ضعوا نصب أعينكم أن تراقبوا خطواتكم. إن الأمر جدي

هنا أيها الصبية، فاحترموا القوانين لأنكم إن لم تفعلوا، فستعاقبون!". كانوا يخضعوننا لمختلف أنواع الاختبارات: أحدها كان مضمار العقبات الذي يستخدم لتدريب الجنود، فيما تضمن آخر أن يلقي المرء وسط حقل يبدو ظاهرياً كمكان مجهول، مجهزاً ببوصلة وحسب، وواجبه أن يستخدم تلك البوصلة ليهتدي بها إلى طريق العودة إلى المخيم ضمن الوقت المحدد. لقد كان أمراً صعباً جداً، إنما في رأيي، إن التجربة تسهم في عملية بناء الشخصية أيضاً.

في ذلك العمر كنت من ذوي الوزن الخفيف، وكنت أجد الأولاد الأكبر سنّاً يبعثون على الرهبة. لغتهم الخشنة وأسلوبهم العدواني كانا مخيفين بحق. بعضهم كانوا لاعبي ركبي ضخام الجثة، تصل أوزانهم حتى المئة كيلوغرام؛ بالنسبة إلينا كانوا يبدون بشراً خارقين.

في عامي الأخير في المهجع، أصبحت مسؤولاً عن طلاب السنة الأولى. كانوا ينامون في مهاجع يبلغ عدد الفتيان في واحدتها العشرين فئتي، مع غرفة صغيرة مجاورة ذات خزانة ومكتب للشخص المسؤول عن مراقبتهم. تُطفأ الأنوار عند الساعة التاسعة، إنما يُسمح لهم بتبادل الأحاديث حتى العاشرة، حيث يخيم الصمت حينها لزاماً. بصورة عامة، كان الفتيان جميعهم حسني السلوك، ويحترمون القواعد، وكانوا على الدوام يشاركونني بكل كرم ومؤونتهم التي لا تنتهي من أطياب المأكولات التي ترسلها أمهاتهم. يا للأمهات كيف يحملن ميلاً إلى تدليل أبنائهم إلى أقصى درجة عندما يغادرون المنزل للمرة الأولى.

بالإضافة إلى رعاية المهجع، يُنتظر من الأولاد الأكبر سنّاً أن يكونوا ناصحين مخلصين للأولاد الأصغر سنّاً وأن يعتنوا بهم بشكل عام. فمن حيث المبدأ، على الطالب الأكبر سنّاً أن يسدي النصح للطالب السيفاع ويدعمه ويكون إلى جانبه ليقدم له العون في حال

واجهته أي مصاعب أو مشاكل في المدرسة. يعود هذا النظام، الذي يعرف أيضاً باسم الكدح أو الخدمة، بالكثير من النفع على الطالب الأكبر كذلك، فأنا أذكر بكثير من التأثير صبيماً صغيراً يدعى آلان بورنيت كان بمثابة خادمي. لقد اعتاد أن ينام على مسافة هي الأقرب إلى بابي؛ فإن شعرت بالجوع خلال المساء، أو عندما كنت أدرس إلى وقت متأخر، كل ما عليّ فعله هو أن أنادي باسمه لينهض ويحضر لي كوباً من القهوة مع الكعك. وعندما كنت بحاجة إلى أن أبقى صاحبياً لوقت متأخر ليلاً ومع ذلك أجد أن النعاس يغلبني، كنت تراني أوقظه، فنجلس نتحدث قليلاً لأحصل على فسحة قصيرة ووجبة خفيفة، وبعدها يعود هو إلى سريره وأعود أنا إلى دراستي. وبالمقابل، فقد كنت بدوري مسؤولاً عن آلان؛ أساعده على كتابة وظائفه ما أمكن، وأذهب لتشجيعه في مبارياته الرياضية. في حين أن الكثير من المدارس لم تعد تستخدم نظام الكدح، فإنني أعتقد أنه طريقة رائعة لإرشاد الأطفال، وبما يكفل حصولهم على الدعم ممن مروا بهذه الخبرة ذاتها. إنها بطريقة ما شبيهة بالحصول على أخ أكبر. وبالتأكيد، يجب على المرء أن يتأكد من ألا يساء استخدام هذا النظام، لأنه عندما يُطبق بصورة صحيحة ويتناول بدقة أظن أنه سيحمل الكثير من المزايا والمنفعة لجميع الأطراف.



الصيف الأكثر برودة

في عامي الأول في ثانوية بريتوريا للبنين لعبت الكريكت. كنت تواقاً إلى تجريب لعبة الركبي إنما كنت متوجساً قليلاً لأنه لم يسبق لي أن لعبتها قط من قبل (فمدرستي الإعدادية لم تكن تحوي ملعباً للركبي). وبحلول العام الثاني تنامت ثقتي بنفسي، لذا، فقد قررت الاستعاضة بالركبي وكرة الماء عن الكريكت والتنس ولم أندم على قراري يوماً. صحيح أنني لم أمارس الألعاب الرياضية البدنية غير أنني كنت أحب رياضة الجري لمسافات طويلة، وكانت المسافة المفضلة لدي هي 10 كيلومترات، وقد ساعدتني حقيقة كوني أستخدم أطرافاً بديلة أخف وزناً بكثير. لقد قام كريس هاتينغ، وهو صديق والدي، بتصميم تلك الأطراف، فهو مهندس في علوم الطيران ولديه هوس بالتصميم، وقد بدأ بإنتاج الأطراف الاصطناعية في أواخر العام 2001. وقد كانت صناعة يدوية، قصيرة نسبياً وشكلها كالخطاف؛ ولكونها لا تزال في مراحلها الأولى من التحديث، فكثيراً ما كانت تنكسر، إلا أنني مضيت باستخدامها حتى حزيران من العام 2004 على الأقل.

تقيم مدرسة بريتوريا للبنين عدداً من سباقات التحمل؛ أحدها يدعى "سباق العشرة كيلومترات"، وآخر يدعى "ملك الجبال". لقد كنت منافساً قوياً فيها، وبشكل عام، كنت أحرز نتيجة نهائية من بين العشرة أو الخمسة عشر الأوائل على المدرسة. كنت قد أصبحت في

حالة لياقة عالية جداً كوني كنت أركب الدراجة كثيراً، فحين كنت أقيم لدى والدي كنت أستخدم الدراجة ذهاباً وإياباً إلى المدرسة، قاطعاً مسافة تبلغ 24 كيلومتراً. لم أكن يوماً في فريق المدرسة لسباقات الضاحية، والسبب الوحيد وراء ذلك هو الأهمية الكبيرة التي كان المسؤولون الرياضيون في المدرسة يعلقونها على التركيز والتدريب؛ لقد كانوا يعتقدون أنه من الأجدى أن يتفوق المرء في رياضة يختارها أو اثنتين من أن يكون في مستوى جيد وحسب في خمس أو ست رياضات. التميز كان أولوية لديهم، وبالفعل في العام ما قبل الأخير لي في المدرسة، تأهل ثلاثة صبية للمشاركة في الألعاب الرياضية الوطنية، وخمسة يلعبون في فريق الركبي سبرينغبوك لمن هم دون التاسعة عشرة من العمر، والكثيرون غيرهم كانوا يلعبون في مستويات إقليمية. لقد كنا رياضيين شبه محترفين، لا رياضيين متنوعي المهارات والرياضات وحسب. بالنسبة إليّ، فقد كنت أبرع في رياضي الركبي وكرة الماء اللتين كنت مكرساً نفسي لهما تماماً. وكنت طيلة الوقت أناضل لأحسن من إنجازاتي.

لقد عشقت رياضة الركبي واستمتعت باللعب بها كلياً، ولم أخجل قط من استغلال حقيقة أن بعض الصبية كانوا ينجشون أو يتوترون من ساقّي الاصطناعيتين. أذكر أنني لعبت مرة مباراة في جوهانسبيرغ، حيث كنت أركض بالكرة فيما كان خصمي متوتراً من الإمساك بي، إنما في النهاية دفعني إلى الأمام فوقعت وانفلتت إحدى ساقّي البديلتين. غير أنني تابعت لكوني مصراً على المضى بالكرة، لذا فقد قفزت فوق الخط، لكن ذلك الشاب استمر في دفعي. وفي هذه المرة لكمته مما أثار عاصفة من التصفيق من أصدقائي، ثم أعدت ساقّي الاصطناعية إلى مكائها، وبهدوء، حاولت التسجيل ثانية. لقد استمتعت

فعالاً بطعم انتصاري في تلك اللحظة، وكنت مسروراً حين أتت المدرب خصمي على تصرفه.

لقد كان الجري جزءاً من تدريبي على الركبي. وبالإضافة إلى برنامج التدريب على الرياضات التي تختارها، فقد كانت المدرسة تفرض أربعة سباقات إلزامية أسبوعياً. فعلى الدوام كنت ترى أولاداً يتحركون هنا وهناك بين المهاجع وقد أمهوا فترة تدريبهم في ذلك اليوم، أو أنه ليس لديهم نشاط رياضي في ذلك اليوم. عندها كنا نُحشد في المسارات لتندرب على الجري. كان برنامج المدرسة الرياضي مكثفاً، غير أنه بلا شك قد أفرز رياضيين ممتازين. كمثال، كان فريقي في الركبي يتألف كله من الطلاب الداخليين، ولعل هذا مرده إلى أن التدريب كان قاسياً ومركزاً للغاية، فكان من الأسهل العيش على أرض المدرسة؛ أضف إلى أن السكن الداخلي يتيح للطلاب الاستفادة من جميع المواد المفيدة والداعمة لنشاطهم.

في تشرين الثاني من العام 2001 تزوجت أمي مجدداً.

في البداية ولّد قرار والدتي صدمة كبيرة في نفس كارل. فلطالما عاهدتنا على ألا تتزوج إلا في حال أنها التقت بالرجل الكامل في نظرها، وحتى عندها، فإنها لن تفعل من دون موافقتنا. ولأعوام طويلة حافظت على كلمتها بالرغم من السيل دائم التدفق للمعجبين عبر الباب. لقد كانت سيدة بحق، وآراؤها كانت تقليدية في كل مجال تقريباً، فما كانت قط لتقبل مشاركة السكن عند أحد، أو أن يقيم هو عندنا، فمن وجهة نظرها، كان من الضروري القيام بالأشياء على الوجه المناسب، وهو جانب لديها لطالما احترمته. لقد كنا نعيش في مدرسة داخلية في تلك الأثناء، لذا، فقد أخذت مني الدهشة كل مأخذ عندما أخذتنا جانباً وأخبرتنا بمخططاتها. لقد شعر

كارل بالخيانة، ورد فعله الأول تمثل باستشاشة غضبه تاركاً أمي حزينة باكية.

أنا وإيمي شعرنا بالإرباك بداية حيال الموقف، لكننا سرعان ما تصالحنا مع فكرة زواجها ثانية، وشعرنا بسعادة أن هناك شخصاً قادراً على إسعادها. أما كارل فقد كان يرى الأمر من وجهة نظر مختلفة، فبالنسبة إليه عندما وقع الطلاق بين والدنا أضحى هو رجل المنزل ومسؤولاً عن راحتنا ورفاهنا؛ وواقع أن والدتي لم تجعل منه طرفاً في هذا التغيير الحاسم في حياتها جعله يشعر بالإهمال. إنما من حسن حظنا جميعاً، بالرغم من أن كارل بإمكانه أن يكون متصلباً وصریحاً في التعبير عن آرائه، إلا أنه لم يكن بالرجل الذي يعمن التفكير في مشاكل الحياة، ولذلك فحين أزرع موعد زفاف والدتي كان قد تنازل عن موقفه الحاد وتفهم قرارها. في الواقع، لقد اتخذ كارل زوج أمي الجديد الذي كان يعمل طياراً شخصاً قريباً إلى نفسه، وقد بقيا حتى هذا اليوم صديقين مقربين.

في الصيف الذي تلا زواجهما، ومجدداً من دون سابق إنذار، وقعت والدتي فريسة المرض وأدخلت المستشفى. لقد كان مرضها خبيثاً وازداد تعقيداً بسبب التشخيص الأولي غير الدقيق له. لقد تدهورت صحتها بشكل حاد وسريع جداً، فتوفيت بعد شهر واحد فقط. لقد أعطى الأطباء تشخيصاً أولياً لحالتها على أنها التهاب الكبد، فقد كان كارل مريضاً به في فترة ليست ببعيدة، وكانت أعراضه ذاتها تظهر عليها. وعندما لم تعد عليها المعالجة بأي نفع، بات واضحاً أنه يتوجب عليهم إجراء المزيد من التحاليل والفحوصات. على أي حال، في الحين الذي ظهر فيه التشخيص الصحيح كان الأوان قد فات.

خلال إقامتها في المستشفى كثيراً ما كان الأصدقاء والأقارب يستدعوننا قائلين إن حالتها قد اتخذت منحى سيئاً وإنه علينا أن نحضر إلى المستشفى، غير أنه في كل مرة كان يحصل هذا الأمر كانت والدي تنحو منه وتبدأ حالتها بالتحسن. لقد حدثت هذه الإنذارات غير الصحيحة لعدد كثير من المرات لدرجة أننا اعتدنا عليها في النهاية؛ لم يطرأ على بالنا قط أنه يمكن لها ألا تستعيد عافيتها.

لا زال يوم وفاة والدي محفوراً في ذاكرتي وأذكره بكل وضوح. كان ذلك في السادس من آذار من العام 2002، تاريخٌ وشمته على ذراعسي إلى جانب تاريخ ميلادها، وهما الوشمان الوحيدان اللذان أمهلهما. في ذلك اليوم كنت أحضر درساً في التاريخ في المدرسة عندما قاطع المدير الدرس ليخبرني أنه لديّ عشر دقائق لأجمع فيها أغراضي؛ حيث سينتظري والدي عند بوابة المدرسة. وصلنا أنا وكارل إلى البوابة في الوقت المناسب لنشهد والدي وهو يندفع بسرعة خطيرة بسيارته المرسيدس الضخمة. كان واضحاً أن أمراً ما لم يكن على ما يرام، فقد صاح بنا أن نقفز إلى السيارة سريعاً، وكان على وشك البكاء. بالرغم من أن والديّ قد مضى على طلاقهما أعوام عديدة إلا أنهما طيلة هذه الأعوام ظلّا يكتنان الكثير من المشاعر والود لبعضهما. كان الأقارب والأصدقاء المقربون جميعهم في المستشفى، وقد بات أكثر وضوحاً بشكل متزايد أن الوضع مختلف هذا اليوم، وأن أمي على شفير الموت. لقد اندفعنا إلى غرفتها، وبعدها بعشر دقائق فقط، غادرتنا أمي.

لقد كانت لحظة مؤلمة جداً. حين دخلت في غيبوبة ولم تعد قادرة على تمييزنا، وقد وضعوا لها الكثير من الأنابيب بسبب تعطلّ أجهزة جسمها عن العمل. لقد انفطر قلبي لرؤيتها بهذا الشكل، بدت أمي مختلفة عن عهدي بها.

في بداية الأمر، كنت أظن أنني قد تناولت حادثة وفاتها على نحو جيد. لقد كنت الوحيد الذي لم يذرف الدموع وقد أخذت أواسي أخي وأختي. وبعد الجنازة قررت العودة إلى المدرسة. أبحرت الجميع أنني كنت على ما يرام، لكن الذي لم أدركه حينها أنني كنت يائساً للعودة إلى روتيني وإلى عالم يضع أيامي في هيكليّة محددة. لم يعلم بخسارتي لوالدي سوى عدد قليل من رفاقي في الصف؛ وقد ناسبني هذا تماماً لأنه جعل الأسئلة في حدها الأدنى. لقد بدا كل شيء تحت السيطرة، غير أنني استيقظت صباح اليوم التالي في طوفان من الدموع.

لقد فقدت تماماً كل قدرة على الاحتمال. فذهبت لتمضية يومين لدى صديق لي لأنني فقدت كل اهتمام ببيئة مدرستي. كنت أستعيد تماسكي لأرجع إلى المدرسة، إنما فقط لأعود وأبتلي بأحزاني من جديد فأضطر إلى الذهاب للإقامة لدى صديق آخر. لقد كان الوضع مريعاً.

لقد وجدت في الرياضة خلاصي، إذ ساعدتني على تخطي محنتي في ذلك الوقت الصعب. لقد كانت والديّ امرأة صلبة وهي مركز حياتي، فما كان لشيء سوى الرياضة أن يلهيني عن خسارتي الفادحة لها.

بعد وفاة والدتنا أخذنا نمضي عطلات نهاية الأسبوع في منزل خالتي دايان، أخت والديّ. لقد عاشت إليّ لديها ريثما تنهي مدرستها في جوهانسبيرغ. على مدى عامين، كنا أنا وكارل وكقارب بلا دفة - متشردين بشكل فعلي - ننتقل بين المدرسة ومنزل خالتنا دايان ومنازل المقربين من أصدقائنا.

لقد اعتدنا أنا وكارل على الركض سوياً. لقد كان أسرع مني، ولكنه دأب على تشجيعي وحثّي من دون انقطاع. لطالما كان كارل يحمل في نفسه شغفاً للرياضات الشاقة، وحتّى عندما كنا صغاراً كان يسخر من لعبتي للكريكت، ويسألني دوماً عما كان يقيني على رقعة

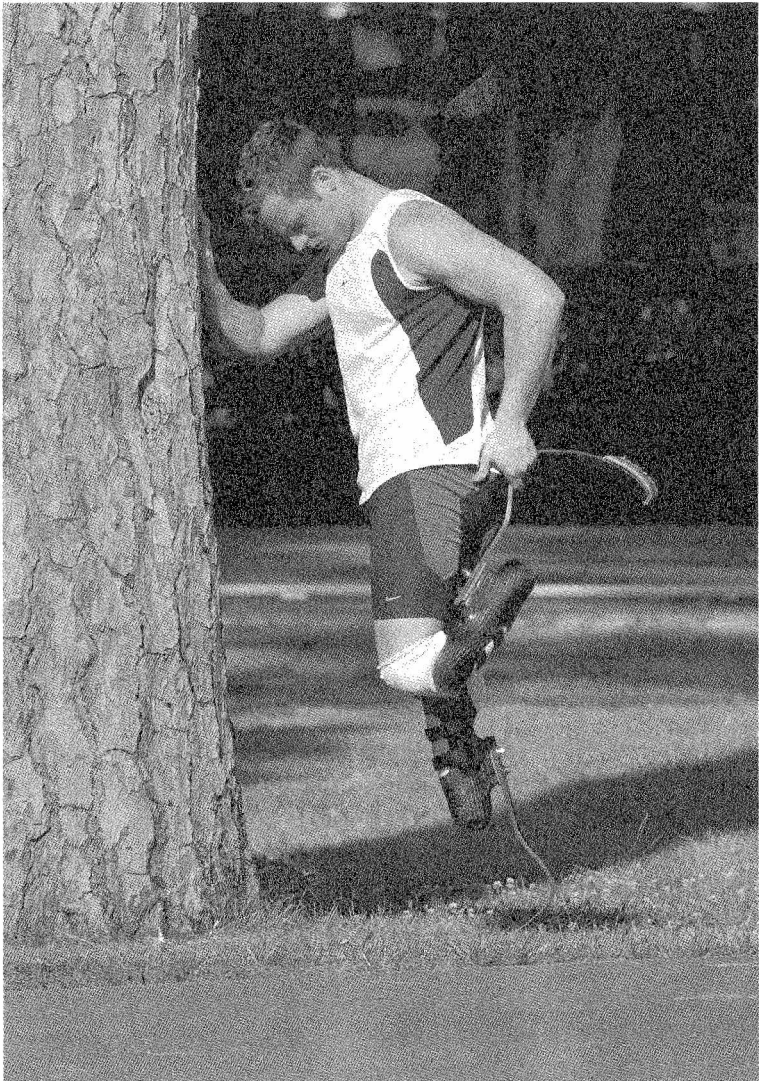
أرض رياضية في الحين الذي يمكن لي أن أمارس رياضة التجديف بقارب صغير أنزل به إلى أسفل النهر، أو أترج على الماء. حبه الأول كان وما زال حتى اليوم، سباق الدراجات النارية.

في الأشهر التي تلت وفاة والدتي، أصبحنا أنا وكارل حريصين على التأكيد على استقلاليتنا. وبناء عليه فقد اشترى كارل سيارته الأولى وهو لا يزال في السابعة عشرة من عمره. لقد وجدتها سيارة جميلة؛ كانت سيارة غولف بيضاء صغيرة، وقد ركّب فيها نظاماً صوتياً رائعاً. لقد شعرنا بالابتهاج لحصولنا على حريتنا (تقريباً على الأقل، إذ في جنوب أفريقيا سن الثامنة عشرة هي السن القانونية للقيادة). كنت في الخامسة عشرة من عمري وحسب، وبين الحين والآخر كان كارل، بوصفه أخصاً أكبر رائعاً، يتيح لي الفرصة لأن أقود في شوارع بريوريا والموسيقى تصدح عالياً من السيارة.

ما من شيء كان يمكن له أن يحضّرني للحادثة المؤلمة التالية التي تعرّضت لها، والتي من شأنها تغيير نهج حياتي كله. ففي 21 حزيران من العام 2003 كنت ألعّب الركبي عندما تعرّضت لما يعرف باسم "إجازة المستشفى". لم أكن لأتوقع حدوث ذلك قط. إجازة المستشفى هي إجازة قد اكتسبت اسمها المميز من الاحتمال الكبير الوارد بأنك ستنتهي في قالب جصي أو حتى في سرير في المستشفى. كنت يومها ألعّب في الجناح، حين رُميت كرة عالية نحوي، وعندما توقفت ومن ثم وثبت لألتقطها، دفعني لاعبان ضخما الجثة من جانبيّ الاثنيّن. لقد اصطدما بي ببساطة، واحد من الجهة اليمنى وآخر من الجهة اليسرى. لقد شعرت لحظتها بألم حاد، وعندما صدم جسدي الأرض أخيراً، شاهدت ساقَي اليسرى وقد برزت جانباً بانحراف شديد. لم أبدأ بحال جيدة على الإطلاق، لكنني افترضت (أو على الأصح أملت) أن

تكون المشكلة مقتصرة على ساقّي الاصطناعيتين، كونه من السهل نسبياً إصلاحهما.

لعلكم تعلمون أن رياضة الركبي في جنوب أفريقيا أقرب إلى كونها معتقد منها إلى مجرد كونها رياضة. يورث الآباء فرقتهم لأبنائهم ويتم تناول هذا الأمر بمحمله بجدية بالغة. غالبية الآباء يحضرون لمشاهدة مباريات أبنائهم، لذا، ترى خيمة لشراب الشعير منتصبة قرب الملعب، ليتمكنوا من الشرب وحثّ أبنائهم على الفوز في وقت واحد، ولا مناص من أن يضحوا مشاكسين وصاحبين مع مرور الوقت. في ذلك اليوم، أخذ أحد المتفرجين ينخزني بكلامه طالباً إليّ أن أقف على قدمي وأن أكف عن "التصرف كفتاة". ولأنني لم أكن أرغب بأن يراي الآخرون محنتاً وضعيفاً، استجمعت قواي لأهض مع أنني كنت أشعر بالآلام مبرحة. لقد استطعت بطريقة ما أن أنهى المباراة، وأن أقود دراجتي مسافة الكيلومترات الستة لأصل إلى المنزل. وفي اليوم التالي، أصبحت ركبي متورمة جداً وتغطيها الكدمات. بالكاد كنت أستطيع الحركة، وسرعان ما وجدت نفسي في عهدة رعاية غيري فيرسفيلد. لقد بدا أن أيامي في الرياضة تلفظ أنفاسها الأخيرة. كنت حينها في السادسة عشرة من عمري.



المرّة الأولى

وها أنا ذا، قد عدت إلى عيادة غيري فيرسفيلد. صحيح أننا لم نفقد الاتصال ببعضنا يوماً، إلا أنه كان قد مضى زمن منذ لقائنا الأخير، ولم يكن على اطلاع بنجاحاتي الرياضية. وعندما أخبرته أنني قد آذيت نفسي وأنا ألعب الركبي ذهل وانفجر ضاحكاً. أما أنا فقد كانت معنوياتي في الحضيض، ولم أستطع حقاً فهم مكنم التسلية في الموقف.

لقد كان غيري قادراً على معالجاتي وتيسير سبل الشفاء لي من دون الحاجة إلى أي تدخل جراحي، كما أنه أكد لي أنني إذا اتبعت التعليمات، وتقيدت بمتطلبات عملية إعادة تأهيلي من تمارين مخففة في الصالات الرياضية، وتمرين الأيروبيك في الماء، فعندها سأتمكن من العودة سريعاً إلى ممارسة رياضاتي. وبعد ثلاثة أشهر طويلة، أرغمت فيها على الراحة والكسل، بدأت بجلسات المعالجة الفيزيائية في معهد علوم الرياضة، الذي هو جزء من جامعة بريتوريا. لقد وُضعت في عهدة هاينريش نولته، والذي نصحني بالتركيز على العدو سريعاً، لأن ذلك على ما يبدو هو الوسيلة الفضلى لاستعادة الأداء الوظيفي السليم لمفصل الركبة. كما أنه عرفني إلى أمبسي لاو الذي كان يدرّب الرياضيين على مستوى الجامعة.

لقد كانت لديّ شكوكي حيال هذه الترتيبات لكوبي لم أشعر يوماً بالانجذاب إلى هذه الألعاب البدنية، حتى إنني حاولت

الانسحاب، إنما أخبرني نولته كما هو متوقع أنني إن كنت راغباً بأن أكون جاهزاً للعب في موسم الركبي القادم (والذي يفترض أن يبدأ في نيسان التالي)، فيتوجب عليّ أن ألتزم بالتعليمات وأن أبدأ التمرن على العدو. رأيه هذا كان موافقاً لآراء أبطالي الرياضيين جميعهم، فرضخت وبدأت التدريب مع أمبي في الأول من كانون الثاني من العام 2004.

في بداية ذلك العام كنت أستخدم الطرفين البديلين اللذين يصنعهما صديق العائلة كريس هاتينغ. لقد كانا أرخص ثمناً من موازياتهما ذات كلف الإنتاج العالية، غير أنهما كانا هشين وحساسين، وينكسران بسهولة كبيرة. الحياة في جنوب أفريقيا كانت تعني محدودية في وسائل الوصول إلى الأطراف الاصطناعية الأكثر تقدماً من الناحية التقنية والمصممة خصيصاً لأهل الرياضة، إلا أن إحدى المزايا التي برزت هنا هي أنني كنت بالنسبة إلى كريس كحقل للتجارب، وهو بدوره صمم لي طريقتي البديلين وفقاً لاحتياجاتي الخاصة. لقد كانت موهبته هائلة في هذا المجال لدرجة أنه في العام 2003 استقطبته شركة أميركية فذهب ليعمل ويعيش في أميركا. وفي حزيران من العام 2004 دعاني للسفر إلى أميركا لتجربة علامتهم التجارية الجديدة للأطراف الاصطناعية، والتي تعرف باسم تشيتاس Cheetahs. تم إنتاج التشيتاس للمرة الأولى في أواخر التسعينيات، وهي على الأرجح الأطراف الاصطناعية الأكثر شعبية في السوق. لقد تم تركيبها من نسيج كربوني مما منح مستخدميها حرية لم يسبق لها مثيل بفضل جمعها المميز بين المتانة والخفة. ومنذ تلك اللحظة التي جربتها فيها للمرة الأولى أصبحت التشيتاس ساقِي العذاءتين.

عندما بدأت التمرين لدى أمبي كان هدي الوحيد هو تأهيلي لأستعيد مكاني في فريق الركبي، غير أنه تدريجياً نما لدي ميل إلى الرياضة البدنية. وأدركت أن السبب الرئيسي لكراهي لها كطفل كان الوزن الثقيل لساقيّ البدلتين اللتين كانت كل منهما تزن ما ينوف عن الثلاثة كيلوغرامات، الأمر الذي جعل الركض بالنسبة إليّ مهمة شاقة بشكل يصعب وصفه.

لقد ساعدني ثقل تلك الأطراف على تطوير شد عضلاتي وتساغمها، إلا أنه من ناحية أخرى جعلني بطيئاً ومرهقاً، بينما مع التشيئاس التي يبلغ وزنها نصف وزن سابقتها، فقد بدت الرياضة البدنية بغتةً ممتعةً وبدأت أفكر في أنني قد أستطيع فعلاً أن أحقق فيها إنجازاً ما. في غضون ثلاثة أسابيع من برنامجي التدريسي، أي في 28 كانون الثاني، شاركت في السباق الأول لمسافة المئة متر. كانت مدرّستي المفضلة، الأنسة ميللر، قد قررت تسجيلي في السباق. لقد كانت واحدة من أشد المعجبين بي حماساً، امرأة ساحرة الشخصية، وغريبة الأطوار بعض الشيء، والتي أبدت بشكل خاص بعد وفاة والدي، اهتماماً كبيراً بحياتي. حتى إنها أخذت على عاتقها مهمة نصحي في ما يتعلق بحياتي العاطفية. ففي إحدى حفلاتنا المدرسية، وبعد شجار مع رفيقتي في ذلك الوقت، انسحبت إلى الزاوية وحيداً. فلاحظت الأنسة ميللر سلوكي الحزين فجاءت إليّ لتحدد لدي الشعور بالاطمئنان وأن الأمور ستحل نفسها بنفسها. بل إنها بلغت القمة عندما عانقتني أمام الجميع. لقد أخذني أصدقائي جانباً ليسألوني عن هذا.

بهذه المناسبة أخذت المبادرة بالاتصال بمنظمي السباق في بلومفونتان لتسأل عما إذا كانوا ليسمحوا لرياضيٍّ يجري على

طرفين بديلين بالدخول في المنافسة. لقد قوبلت بفتور غير أن ثققتها بي جعلتها مثابرة حتى استطاعت في النهاية أن تقنعهم بتغيير رأيهم. أعتقد أنهم جميعاً توقعوا أن أصل في النهاية، لكنني كما تبين لهم استطعت أن أفوز بالسباق بسهولة. لقد كانت تجربة لا تصدق بالنسبة إليّ، فالمتفرجون جميعاً - والذين كانوا يمثلون المدارس الأخرى كافة - وقفوا على أقدامهم مصفقين لي وهاتفين باسمي. لكسي تكتمل بهجتي، كنت أيضاً من فريق المدرسة لسباق التتابع، فجرئت في المسافة الأخيرة، وحسم أدائي النتيجة لتحصل مدرستي على الكأس.

كان والدي يشاهد السباق وقد جمّده أداي في مكانه من الفرع. لم يسبق لي أن رأيته مبتهجاً ومتحمساً بهذا الشكل منذ وقت طويل. كان يقفز إلى الأعلى والأسفل، مكرراً لكل من يستمع إليه: "لقد أتم أوسكار المئة متر في 11.72 ثانية! إن هذا لا يصدق، إنه توقيت جيد حقاً!".

ما إن وصلنا إلى المنزل حتى بدأ بالاتصال بأقرب أصدقائه ليخبرهم بإنجازي. في البداية تأثرت بإعجابه الشديد وأضحكني افتخاره، لكن ما إن أخذ أصدقاؤه يتصلون لتهنئتي حتى أخبرته أنه قد تخطى الحدود. لقد شعرت أن والدي كان يببالغ، إلا أنه في تلك الأمسية، وبالعدد الذي يتميز به آل بيستوريوس، أمضى وقته يبحث على الإنترنت ويجمع المعلومات عن الرياضيين المعوقين، مقارناً الزمن الذي حققته مع ذلك الذي حققه الرياضيون الآخرون في هذه الفئة. في تلك الأثناء لم نكن نعرف شيئاً عن دورة الألعاب البارالمبية. لقد اكتشف أنني سأصنف في فئة T43، وهي الفئة التي تغطي اللاعبين ذوي البتر الثنائي، ولدهشتنا المتعظمة قرأ أن الزمن الذي حققته وهو

11.72 هو في الواقع رقم عالمي جديد، فحتى تلك اللحظة كان الرقم العالمي متوقفاً عند 12.20.

منذ تلك اللحظة بدأت الأمور تتسارع بشكل كبير. فباستخدامي للأطراف الاصطناعية التي يصنعها كريس، تمكنت في ذلك الشهر من الوصول إلى الزمن 11.51 بدلاً من 11.72 محطماً بذلك رقمي العالمي الخاص. وبتشجيع من أممي قررت اتباع نصيحتته ودخول المنافسة في ألعاب جنوب أفريقيا للمعوقين. لقد كانت تلك سابقة بالنسبة إليّ. فحتى ذلك الحين لم يكن قد سبق لي الاتصال بعالم الرياضيين المعوقين، وقد جعلتني تلك التجربة أقارب مستقبلي المهني الرياضي من منظور مختلف تماماً. لقد وجدتها تجربة غريبة للغاية، إذ شعرت بغربة شديدة، لا لأنني لم أكن أعرف أحداً هناك وحسب، بل لأنني كنت مركزاً جداً على العودة إلى رياضة الركبي، لذا، فقد بذلت القليل من الجهد وحسب في المشاركة. كنت أصل المكان، أقوم بتمارين التحمية، أتسابق، وأعاد من فوري. لم أشعر بالانتماء قط إلى ذلك المكان.

لأكون صادقاً كانت هناك أمور أخرى تشغل تفكيري. كنت قد وقعت في الحب للمرة الأولى، ورفيقتي ناندي كانت كتلة مشتعلة من الحماسة، ولم أكن قادراً على مجاراة تقلبات مزاجها. ففي لحظة تكون مهتمة وراغبة بي، وفي اللحظة التالية تصبح غير متأكدة تماماً. لقد كانت مصدراً للمرح بشكل رائع، لكنني كنت بحاجة إلى ثبات أكثر في العلاقة فقررت الانفصال عنها. إنما سريعاً في أعقاب ناندي هاجمني الحب الحقيقي بحق. ففي أيار من العام 2004 قررت مع صديق لي تنظيم حفل غداء كبير، حيث يفترض بكل منا أن يدعو عشرة أشخاص لا يعرفهم الشخص الآخر، فدعا فتاة تدعى فيكي. لقد همت

بها هياماً من النظرة الأولى، كانت جميلة، عذبة، وغير اعتيادية. لقد حصل بيننا تجاذب مباشرة وأخذنا نتحدث لساعات، وفي وقت لاحق من ذلك المساء التقينا في حفل تضرم فيه النار في الهواء الطلق. لقد كنا عاشقين. وبما أن موعد الحفل الراقص السنوي في مدرستنا قد اقترب فقد دعوتها لمرافقتي، إلا أنها للأسف كانت قد سبق ووافقت على حضور الحفل مع صديق لي. ولولا أنني شعرت بخيبة كبيرة لكان الأمر ممتعاً، فقد كنا أنا وصديقي راوول ذلك نؤلف الأغاني لبعضنا عن كيف أن حبنا الجديد نحن الاثنين يحمل الاسم فيكي... ولم نكن ندرك أننا نتحدث عن الفتاة نفسها. لقد مضت الأمسية في سحابة من الإحراج ونحن نحدق طيلة الوقت إلى بعضنا بأعين وادعة، وسريعاً ما إن دق جرس منتصف الليل وانتهى الحفل حتى بدأنا أنا وفيكي بالتواعد. وبقينا مع بعضنا لعامين بعدها.

في تلك الأثناء، كان كارل قد أنهى المدرسة وانطلق إلى العمل. فبات بالنسبة إليه أمراً شبه مستحيل مجاراة مشاغلي ونقلتي جيئة وذهاباً بين التزاماتي الرياضية وجلسات التمرين، فقررت شراء سيارة. كنت قد وفرت كماً لا بأس به من المال بمشاركتي في إعلان تلفزيوني، إضافة إلى أنني كنت أتلقي منحة شهرية من شركة ماكستيل المنتجة للأطراف الاصطناعية الكربونية التي كنت أستخدمها حينها، إسهاماً منها في دعم تدريبي الرياضي. فأخذت أتصيد تجار السيارات حتى أعتز على مبتغاي، ولكن لحسن الحظ بعد مضي أسبوع من عمليات البحث هبّ صديق والدي لمساعدتي، قائلاً إنه يستطيع مساعدتي في ابتياع سيارة من خلال الشركة التي يعمل فيها.

هكذا كان أن ابتعت سيارتي الأولى في أيار من العام 2004. لقد كانت مدهشة من نوع سمات كابرولييه باللون الأسود والفضي. إنني

أذكر تماماً كل شيء فيها، وبالطريقة نفسها تقريباً التي تبقى فيها ذكريات حبك الأول أثيرة لديك، كذلك تلك السيارة ستحظى دوماً بمكانة في قلبي. لدي الكثير من الذكريات الرائعة عن تلك السيارة، لكن الشعور الطاغي الذي منحتني إياه - وهو ما أحمله في نفسي حتى هذا اليوم - كان الشعور بالحرية الذي رافق امتلاكي لسيارتي الأولى. لقد كانت تماماً كما كنت أحلم، والسعادة القصوى كانت في أن أقودها ليلاً على الطريق السريع وأستمع إلى الموسيقى بصوت عالٍ، والريح تعصف في شعري.

كنت في ذلك الحين أتدرب بجد، وبعد أدائي في ألعاب جنوب أفريقيا للمعوقين أخبرت أنني وبعد ثمانية أشهر فقط من ممارسة الألعاب البدنية، قد تم اختياري للمشاركة في الألعاب البارالمبية في أثينا لعام 2004. لقد أرعبتني فكرة التنافس مع بعض من أساطير الرياضة اليوم، مثل الأميركيين برايان فراشر ومارلون شيرلي؛ وهما رياضيان بساق مبتورة واحدة، وبالتالي من الممكن أن يكونا أكثر قوة مني. لقد كانت الرياضات البدنية جديدة عليّ (فلم أكن بعد قد تعلمت استخدام لسوحات الانطلاق بشكل صحيح) ولم أشعر بأنني جاهز للتنافس على مستوى دولي.

في الركبي عندما تركض، فإن جسدك يكون في حالة تنبه، وتكون مكيفاً لإدراك كل ما يجري على أرض الملعب. حيث تراقب اللاعبين، تعابير المسافات بينهم، وترقب بدقة أي ثغرات يمكن لها أن تغير من إيقاع اللعب. أما الرياضات البدنية فهي النظير المعاكس تماماً. ففيها عليك أن تكون مركزاً بكليتك داخل نفسك: فبالفعل لولا أنك بحاجة إلى عينيك مفتوحتين وأنت تركض كي تبقى ضمن مسارك، لكان من الأفضل لو أنك تركض بعينين مغلقتين. فالرؤية

المحيطةية تقوم فقط بتشتيتك وتقليل الطاقة والتركيز اللذين تحتاج إليهما كي تفوز.

الركبي رياضة جسدية للغاية، فأنت في حالة من الشد المستديم حذراً من خصومك و بانتظار تحركاتهم. فأنت بحاجة إلى أجزاء جسدك كافة حين تتجمع، تمسك، تقفز، تسجل الأهداف وتركض. أما في الرياضات البدنية فالاسترخاء أمر حيوي: وهذا ما وجدته أمراً صعباً للغاية، وتوجب عليّ أن أبذل الجهود الحثيثة في سبيل الوصول إليه. عندما كنت في دورة الألعاب البارالمبية في أثينا سألني أحد الصحفيين لماذا كنت أمضغ العلكة. في الحقيقة إنها تساعدني على الاسترخاء، إذ أجدها ترخي حنكي وهو أمر ذو عون كبير؛ فكسي تعدو بشكل جيد عليك أن ترخي حنكك ورقبتك لتسهل بذلك الحركة في كتفيك. وترى مدربي يذكرني من دون انقطاع: استرخ يا أوسكار. بادئ ذي بدء بدا لي مطلب الاسترخاء تناقضاً في المفاهيم، إذ كيف لك أن تسترخي في الحين الذي يتوجب عليك فيه أن تعدو بأقصى سرعة ممكنة؟ إنما أخذت رويداً رويداً أفهم الفكرة من وراء ذلك.

كذلك الوقفة تحمل أهمية عظيمة، وإني لا أزال أعمل على الوصول بوقفتي إلى المستوى الأمثل.

خذ مثلاً موريس غرين، العذاء الأميركي العظيم: عندما يبدأ السباق، فإنه يندفع منطلقاً من عتبة الانطلاق وساقاه تمتدان بعيداً عن بعضهما، ومن ثم يقوم تدريجياً بتضييق المسافة بين قدميه. ولكونه سريعاً جداً، فقد فكرت في تقليد أسلوبه، إنما بالطبع ما يحدد الطريقة التي تعدو بها هو حجمك، ووزنك، وحالتك النفسية. فبالنسبة إلى رياضي قصير القامة، يشكل الأسلوب المتقلب الذي يتبناه موريس غرين خياراً

فعالاً. أما بالنسبة إلى رياضيّ أطول قامة، فسيؤدي ذلك الأسلوب ذاته إلى هدر طاقته وبالتالي إلى فقدان سرعته. تحتاج كرياضيٍّ أن تعابير بين التقنية ورشاقة الحركة وبين الإنتاجية الفعالة للعدو كي تحصل على السرعة القصوى وبالتالي النتيجة الأعلى. فكلما كنت عدوانياً أو متوتراً أكثر، كلما فقدت من طاقتك. لذا، عليك أن تكون هادئاً ومتناغماً مع ذاتك لتشعر اللحظة التي تلمس فيها قدمك الأرض ومن ثم تحكم أي ثانية تلك التي يجب عليك فيها أن تندفع إلى الأمام من جديد.

كما توجب عليّ أن أتعلم استخدام ذراعيّ. وفي الحقيقة، إنني لا أزال حتى الساعة أكافح مع مفهوم السلسلة الحركية، والتي تعني ببساطة أن كل شيء مترابط ببعضه. بمعنى آخر، إن أنت دفعت بحوضك إلى الأمام فستبرز مؤخرتك وبالتالي ستفقد زخمك. تعرف هذه الحالة من الناحية التقنية بالقعود، وهو يمنعك من تطوير سرعتك. بل عليك أن تسحب حوضك إلى الداخل بينما يكون عمودك الفقري إلى الأمام. قد تبدو هذه تعديلات مصغرة للغاية (أحياناً تكون بضعة مليمترات إلى الداخل أو الخارج) غير أنها تسبب الكثير من الفرق.

إنني أشعر أنني أكافح في الجزء الأول من السباق، إذ إن العنصر الأضعف من عدوي هو اللحظة التي أكون جاهزاً فيها للانطلاق، منحنيّاً إلى الأمام، وقدماي على عتبة الانطلاق. فجسدك يتبع رأسك، ومما أنني بطبيعتي شخص فضولي، فإنني أحب أن أنظر حولي.

ما إن ينطلق مسدس شارة البدء ويبدأ السباق حتى أرفع نظري بسرعة أكبر من اللازم، وبالتالي، فإن ظهري يستقيم أيضاً أسرع مما

يجب. عليّ أن أركز على المحافظة على رأسي منخفضاً على الأقل لمسافة الثلاثين متراً الأولى من السباق كي أحافظ على جسمي في وضعية صحيحة، وأجعل ظهري مستوياً تدريجياً من دون أي حركات خشنة. إنني لا أزال أعمل على هذه الناحية لعلمي بوجود الكثير من التحسينات التي يمكن إجراؤها، إنما بمساعدة أمبي فلا ريب أنني سأصل إلى مبتغاي.

إن أمبي لمدرّب ممتاز، وهو يستخدم معي "منهج النطاقات"، وهي تقنية رياضية اشتهرت بفضل مايكل جونسون. فعندما أتسابق أقوم بالكثير من تمارين التمديد خلال التحمية، لأدخل بعدها في "النطاق" الأول: أسترخي بأخذ أنفاس عميقة وبتصوّر السباق في ذهني. كما لو كنت أبرمج نفسي عقلياً، بأن أجدول النقاط التي أحتاج إلى التسارع عندها، والأخرى التي يتوجب عليّ أن أصون فيها طاقتي، ومن ثم الامتداد الذي سيكون عليّ فيه أن أعطي السباق كل ما لدي. وما إن أنجز ذلك الاستعداد العقلي حتى أضعه جانباً، فقد حان الوقت للدخول في "النطاق" التالي: في هذه المرحلة أقوم بتجهيز عتبة الانطلاق الخاصة بي، فأعدل الألواح وأوازنها إلى أن أتأكد من أنها في وضع مثالي. ثم أنصرف بعيداً.

كما ذكرت سابقاً، كنت في البداية أواجه صعوبة مع عتبة الانطلاق. وليساعدني في هذا الأمر، اتفق أمبي مع الشخص معطي إشارة البدء (والذي أصبح من وقتها صديقاً لنا) أن يسمح لي أن أبدأ على قدمي لا على العتبة. ولكنني حتى حينها ناضلت لأبقى ساكناً، فقد كنت كثير التملل مما أفضى حتماً إلى انطلاقة سيئة. فإن لم تجنم على الأرض وقدمك على العتبة فستفتقر انطلاقتك الأولية إلى التناسق وبالتالي ستكون طاقتها أقل فعالية بشكل كبير. لقد عملت بدأب

وجهد كبيرين لأسيطر على عتبة الانطلاق إلا أنني أعلم أنني لم أنتصر عليها بعد، إذ إنني لم أصل بعد إلى كامل الارتياح والاسترخاء المطلوبين.

ما من رياضي يستطيع تحقيق بداية كاملة في كل سباق له. فهي عملية دائمة الاستمرارية، إلا أنني كنت أجد فيها صعوبة بشكل خاص، لا لأنني لم أكن معتاداً على تلك الوضعية وحسب، بل لأنني كذلك لا أستطيع أن أشعر بالعتبة إذ لا قدمين لدي. ولكنني على أي حال قد تعلمت الكثير بصحبة أمي، فقد علمني كيف أضع جسدي في الوضعية الصحيحة، بأن أجتثم بشكل رئيسي وإنما مع جسدي منحنيًا إلى الأمام عندما تنطلق إشارة البدء، ضامناً بذلك أن أهبّ بشكل حسن: إن هذا يمكنني من أن أكسب 40 سنتيمتراً خلال مدة السباق. وبينما أنت بانتظار إشارة البدء، فمن المهم أن تدفع قدميك داخل العتبة، لأن ذلك سيزيد من قوة الدفع ورائك بينما تنطلق في بداية السباق.

بالعودة إلى "نطاقاتي"، ما إن أتأكد من أن ألواح عتبة الانطلاق قد استقرت في مكانها جميعاً ولن تنزلق يكون عندها كل شيء جاهزاً، وقد آن الأوان لانتظار بدء السباق. تشكل هذه اللحظة برأيي اللحظة الأكثر توتراً: فأنت تعلم أنه يجب عليك أن تسترخي، ولكن ذهنك يصطخب بالمخاوف والهواجس تجاه المنافسين الآخرين. "النطاق" التالي يبدأ عندما تكون جاهزاً للسباق، عليك حينها أن تكون مركزاً وإنما هادئ. وأن تكون مفعماً بروح التنافس وإنما مركز على مسارك فقط الذي ستسابق فيه، لا على منافسيك أو على الحماسة التي تموج حولك.

إنني من الرياضيين الذين يقدمون أداء أفضل عندما يركضون من الخلف. باختصار، إنني أفضل أن أطارد على أن أتقدم، لذا، فإنني

أحاول تجنب مسار الركض الثامن حيث تكون أمام الآخرين جميعاً. بل إنني أحب المسارات الثلاثة الأولى، إذ إنني بهذه الطريقة أجد على الدوام شخصاً أمامي لأطارده. إن ذلك يحفزني فأندفع لألحق بذلك الشخص ومن ثم أتفوق عليه. وهو يساعدني على بذل أفضل ما لدي في نهاية السباق.

في اللحظة التي تسبق بدء السباق، وعندما تكون جائئاً وقدمك على العتبة، عليك أن تستنشق الهواء عميقاً بضع مرات ومن ثم تحبس أنفاسك. إنه لأمر حيوي أنك بدلاً من أن تقبع بانتظار صوت المسدس المعلن عن بدء السباق، أن تركز على حركتك. فالكثير من الرياضيين ينحصر تفكيرهم بكليته بسماع الصوت لدرجة أنهم في النهاية يقعون من دون حراك جزءاً من الثانية. كما لو أنهم كادوا ينسون ما يشير إليه صوت مسدس البدء فيهدرون بذلك ثوان ثمينه للغاية. عوضاً عن ذلك، من الأجدى افتراض شيء مماثل حالة شبه الغيبوبة، حيث تذكر نفسك بأنك جاهز لأن تركض وأن صوت المسدس هو ما يعطيك الإشارة للحظة التي بإمكانك الانطلاق فيها. وبذلك تكون قد ركزت على اللحظة التي ستدفع بنفسك فيها إلى الأمام لا على الصوت نفسه. قد يبدو هذا فارقاً بسيطاً غير أنه سيجعلك أقوى ذهنياً وأسرع على المسار.

من منظور شخصي تماماً، أراه أمراً حاسماً بالنسبة إليّ أن يكون لديّ تقنية معينة أتبعها لتساعدني على التأقلم مع الضغط النفسي الهائل المتأتي من المنافسة وبيئة السباق. فقد وجدت أن التوتر العصبي المتأصل في التمهيد للسباق أمراً يصعب التعامل معه. ففي اليوم الذي يسبق موعد السباق، كثيراً ما أكون في غاية التوتر لدرجة أنني أشعر بالغثيان. فأنا أريد أن أتسابق، إلا أن مخاوفي وشكوكي الذاتية تطفو

جميعها إلى السطح فأضحى على أثرها كتلة عصبية محطمة. ودائماً ما أعثر في يوم السباق نفسه على عشرين سبباً وجيهاً يمنعني من المشاركة - فأنا لست جاهزاً له، رقبتي متصلبة، أو أنني نمت بشكل رديء - لا شيء من هذه الأسباب ذو قيمة، إنما مع ذلك يتوجب عليّ أن أعمل ذهنياً على الوصول بنفسني إلى حالة تنافسية صحية سليمة. بالرغم من كل هذا، ما إن أقطع خط النهاية حتى يضحى جلّ ما أتمناه هو البدء بالعملية برمتها من جديد. إنني أعتقد أنه لو استطاع المرء برجة طاقة التوتر هذه فستعمل في النهاية لمصلحته. فكثير من الرياضيين يؤكدون على ان التوتر العصبي ما هو إلا دليل على طموحك.

لن أنسى يوماً سباق المئتي متر الذي خضته في دورة أثينا للألعاب البارالمبية. لقد كنت واقفاً هناك على عتبة الانطلاق، في المسار ذي الرقم سبعة، محاطاً بالرياضيين كانوا أكبر مني سنّاً بكثير وأيضاً أكثر خبرة بكثير. كان برايان فراشر، بطل العالم الحالي، يقف في المسار السادس، بينما وقف في المسار الثامن رياضي فرنسي يدعى دومينيك أندريه، والذي خلال تمارين التحمية الخاصة به بدأ ينخر ويصق. لقد وجدت تصرفه ذاك مزعجاً بل ومحطماً للأعصاب أيضاً. لم أكن قادراً على التركيز (والذي أرى الآن بعد إدراكي المتأخر للحادثة أنه كان على الأرجح الهدف تماماً من تصرفه). لقد كنت أشعر بالرهبة بشكل كامل، فقد كنت في السابعة عشرة من عمري وحسب ووافداً جديداً على ذلك المضمار. ولتزيد الأمور تعقيداً كان هناك أربع إشارات بداية زائفة، وعندما انطلق المسدس معلناً إشارة البدء الخامسة، تجمّدت. فقد كنت قد أقنعت نفسي أنها لم تكن سوى بداية زائفة أخرى، وعندما أدركت أنها لم تكن هكذا

أخذتني الدهشة لدرجة شلّت حركتي. لقد كان موقفاً مريعاً؛ ففي الوقت الذي أدركت فيه أن الطلقة القادمة لم تكن ستأتي، كنت قد تخلّفت عن الآخرين بحوالي 1.8 ثانية. عند تفكّري في ما حدث أجد أن ارتباكي ذاك هو ما جعل أدائي في ذلك السباق مميزاً بالنسبة إليّ إلى حدّ بعيد. لقد ركضت بكل ما أوتيت من قوة، واستطعت أن ألحق بالركب، ومن ثم أن أمضي لأفوز بالميدالية الذهبية. أما مارلون شيرلي وبرايان فراشر فقد حلّا على التوالي في المرتبتين الثانية والثالثة. لقد حقق زميئي (21.97) رقماً عالمياً، وهو ما عملت على تحسينه منذ ذلك الحين. وكانت مشاعري حينها لا توصف؛ لقد كان إنجازاً لا يصدق وانتصاراً عظيماً.

من المدهش العودة بالذكريات إلى تلك اللحظة من حياتي، فالكثير قد حدث منذ ذلك الحين لدرجة أنه يبدو وكأنه يفصلني عنها عمر من الزمن. فحين أطلع صوري وأنا على أعلى المنصة، والغار يكلل رأسي، والميدالية الذهبية حول عنقي يدهشني كم أبدو يافعاً.

لقد شكلت دورة الألعاب البارالمبية في أثينا تجربة رائعة بالنسبة إليّ. فقد كانت القرية الأولمبية مذهلة بعظيم اتساعها، إذ بلغت مساحتها 4000 متر مربع، وقد كانت قاعة الطعام مجهّزة لتقديم الطعام لحوالي 16000 شخص في آن واحد وفي أي وقت من النهار أو الليل. وما من حدود كانت لما يمكنك تناوله، فقد كانت الخيارات تغطي الطيف الطبخي برمته. فحتى مطعم مكدونالدز كان يملك طاولة بطول ثلاثين متراً، وكل ذلك كان يقدم مجاناً للرياضيين. في أثناء إقامتنا في اليونان كانت الفواكه تتميز بوفرةها وبطيب طعمها. في إحدى المرات أنجزت سباقاتي وتوجهت بعدها مباشرة إلى مكدونالدز، وطلبت خمس

شطائر من بيغ ماك، ثم أخذت ألتهمها الواحدة تلو الأخرى. وبالطبع، فإن شطائر البيغ ماك قبل السباق محرمة قطعياً، لكنني ما إن أنتهي حتى أترك لنفسى العنان.

كما ضمت القرية الأولمبية مساحات تسلية، جهزت كلها بشاشات تلفاز ضخمة ومراكز للعب ألعاب الفيديو تتوافر فيها الرياضات الأولمبية كافة. وبحلول نهاية الأسبوع كنت ترى الرياضيين وقد أصابت التفرحات أكفهم لتفانيهم في لعب ألعاب الفيديو، وللتنافسية حامية الوطيس التي كانوا يتناولون تلك الألعاب بها. لقد كان الأمر جاداً. كما توافرت أكشاك إلكترونية توزع ما بدا بأنه مؤونة لا تنتهي من الثلجات والمشروبات الباردة. وقد كان لدى الرياضيين بطاقات إلكترونية تتيح لهم أن يطلبوا ويستهلكوا ما طاب لهم وكله بالجمان. لقد كان أمراً مدهشاً.

ما إن انتهت دورة الألعاب حتى انطلقت في جولة سياحية في الجزر اليونانية، مثل ميكونوس، وباروس، وقد كان هناك الكثير غيرها إلا أنني بالكاد أذكرها جميعها. لقد كانت تجربة أخذة بالنسبة إليّ، افترشت فيها ليلاً رمال الشاطئ، وجبت نهاراً الجزيرة التي يقع عليها اختياري على متن دراجتي الفيسبا.

لكن لم يكن جمال الموقع، أو التسهيلات التي لا تصدق المتوافرة في القرية الأولمبية هو ما جعل تلك التجربة ذات أثر يدوم مدى الحياة. بل كونها فتحت عينيّ على عالم كنت في ما سبق مزدرياً إياه. فقد بدأت أدرك أنني باشتراكى في رياضات سليمة الجسم وحدها كنت أحرم نفسي؛ فلم يسبق لي من قبل أن تمتعت بسوية مماثلة من المودة والروح الرياضية. إن رياضة ذوي الحاجات الخاصة تنافسية بالدرجة نفسها - ففي نهاية الأمر هي منافسة بين رياضيين جديدين متفانين - إلا

أن جواً متميزاً من الاحترام العميق المتبادل يسود فيها. لقد بتّ أندم على وفودي على رياضة المعوقين متأخراً، وأعني بشكل خاص السباقات بين الرياضيين مبتوري الأطراف. في المستوى الأعلى يكون الفرق بين أوقات التأهيل وأوقات الفوز وبين كل من الرياضيين قليلاً لدرجة أن كل المنافسين عليهم أن يقدموا أقصى ما لديهم. كانت تدفعنا الرغبة بالانتصار والوصول إلى درجة التميز. ولكن ما إن ينتهي السباق فيمكننا جميعاً الخروج لتناول الغداء معاً والاستمتاع بتلك المودة والتفاهم والصدقة التي تربطنا.

بينما كنت في أثينا كنت محظياً بأن التقيت رياضيين استثنائيين غيروا من الطريقة التي أقارب بها إنجازاتي إلى الأبد. قبل يومين من أحد السباقات، قررت أن أحضر مسابقة في السباحة - أعتقد أنها كانت سباق المئتي متر في سباحة الفراشة - عندها لاحظت أحد السباحين الذي كان زمنه ضعف زمن المتبارين الآخرين. كان يتسابق بالرغم من أنه من دون ذراع وساقين، وبدا أنه غافل تماماً عن بقية السباحين. وبعد السباق توجهت إليه لأتحدث معه لأنني أردت أن أخبره أنني وجدت أدائه ملفتاً. كنت أرتدي سروالاً قصيراً وبالتالي فقد كانت ساقاي البديلتان ظاهرتين للعيان. تجاذبنا أطراف الحديث قليلاً ومن ثم سألتني عن مجالي في الرياضة فأجبتني عداً وأنها المرة الأولى التي أشارك فيها في حدث هام للمعوقين كهذا. فأخبرني أنه لا يرى أي "إعاقة" في أدائه، إذ لم يشكل الأمر لديه أي فرق لكونه لم يكن يتنافس ضد بقية الرياضيين، بل كان يتنافس مع نفسه، وهدفه هو تحسين زمنه. لقد لامس كلامه وترّاً حساساً لديّ: لقد عكس المنظور الذي يرى منه الأمور وجهة نظري تماماً، إذ كنت أشاطره هذه المقاربة لمعنى التميز الرياضي.

عندما يسألني الناس عن سبب رغبتي بالتنافس في الأولمبياد في حين أنني لست واثقاً من التأهل إلى التصنيفات شبه النهائية أو السباقات النهائية أحاول أن أشرح لهم أن المغزى الحقيقي يفوتهم هنا. مغزى ينطبق بنفس الدرجة على الألعاب البارالمبية. فالهدف الرئيسي ليس في التنافس مع المنافسين الآخرين. إذ لا ريب أنه من الرائع أن تفوز، إنما مهما كانت لحظة النصر عذبة، إلا أنه من الأفضل بكثير أن تحل في المرتبة الثانية أو الثالثة متفوقاً على رقمك الأعلى، من أن تحل أولاً إنما بوقت أبطأ من أفضل إنجاز كنت قد حققته. ما تعلمته من خلال مشاركتي في أئينا هو أن الأمر ذا القيمة الفعلية ليس الانتصار على خصومك بل الانتصار على حدودك الذاتية. وهذا برأيي هو جوهر المسعى الرياضي الحقيقي، وإن غياب وجهة النظر هذه تكمن في قلب مشاكل من مثل فضائح تناول المخدرات التي أصابت عالم الاحتراف الرياضي.

كثيراً ما يسألني الناس عن سبب رغبتي بالمشاركة في الألعاب الأولمبية، وما إذا كان مرد ذلك أنني أعتبر الألعاب البارالمبية في مرتبة أقل شأنًا. إنني أعتقد أن اللعبتين لا تتعارضان، فليس لأنني قادر على المنافسة في الألعاب الأولمبية لن أقوم بالتنافس في الألعاب البارالمبية.

بالنسبة إليّ الألعاب الأولمبية ما هي إلا سبيلاً رياضياً آخر، وشأني شأن معظم الرياضيين الآخرين، فإنني تواق إلى استكشاف كل الإمكانيات وأن أكون حاضراً ومتنافساً في الميادين الرياضية رفيعة المستوى كافة. إنني لا أعتبر الألعاب البارالمبية أدنى مستوى، بل مختلفة وحسب، ولا جدال في أن دورة الألعاب الأولمبية هي الحدث الرياضي الأهم على الإطلاق.

إنني لست رياضياً بارالمبيأ، ولا أنا رياضي أولمبي. إنني ببساطة رياضي وعذء.



فريد من نوعه؟

الطبيعي في مواجهة المتميز

من دون أن أعلم، غيّر فوزي وحصولي على الميدالية الذهبية في الألعاب البارالمبية في أثينا عام 2004 حياتي إلى الأبد. فقد أصبحت بين عشية وضحاها شخصاً مشهوراً في عالم الرياضة. إنَّ اهتمام أجهزة الإعلام ووجهة النظر التي تبنتها رفعاي إلى مستوى بطل خارق للمعوقين في أقطاب العالم.

كانت عودتي إلى جنوب أفريقيا مرهقة جداً لي. فأنا لم أدرك عملياً ماذا يعني وجود اسمي في الصحف كافة؛ فبغته بات الصحفيون مصطفين لمقابلتي. في بادئ الأمر كنت مبتهجا، ولكن بحلول تشرين الثاني أتعبني جداً الجمع بين التدريب المركز والسباق والاهتمام الصحفي، فقررت أن آخذ إجازة وتوجهت إلى الساحل مع أسرتي لمدة شهر ونصف.

كانت التغييرات في حياتي صارمة ومفاجئة لكنني تعودت تدريجياً على إحداث توازن جديد في حياتي. عندما بدأت أصعد سلم الشهرة كنت يافعاً وحتى ساذجا، ووجدت نفسي آخذ المقابلات مع الصحفيين على محمل شخصي جداً وأنزعج بخاصة عندما كانت

النتائج أقل إطرأً أو عندما كانت كلماتي تؤخذ خارج سياقها. مع الوقت توصلت إلى فهم أن لكل منا عمله ودوره الذي يجب أن ينهض به، وأن الصحفيين لا يستطيعون الكتابة من منظور واحد فقط. لذا، فقد بات هدفي الرئيسي الآن خلال المقابلات، أن أسهم في تغيير مواقف الناس من الرياضة البارالمبية وفهمهم لها.

في مؤتمر صحفي عقد في لندن في العام 2007، تناولت قضية ماهية ازدواجية المعايير (من وجهة نظري) التي يتبعها كثير من أقطاب الصحافة لدى إعداد التقارير عن الرياضات البارالمبية. في الأحداث الرياضية لسليمي الجسم، حين يقدم الرياضيون أداءً دون المستوى المقبول - وحتى إن هم فازوا - فإنهم يحاسبون من قبل الصحافة. زمنهم الأبطال يفحص بدقة، ويلقي الصحفيون تخميناتهم حول افتقارهم إلى اللياقة العامة متسائلين عما إن كان مرد ذلك إلى التدريب غير الوافي، أو إلى إصابة حديثة، أو إلى أي سبب آخر. في الألعاب البارالمبية نادراً ما يحدث هذا. فمهما كان الأداء متوسطاً، أو زمن إنجاز السباق سيئاً، فإن الصحافة تعلق فقط على روعة الروح الرياضية أو كم تمتع الرياضيون بروح من التحمل والثبات وروح التنافس الملقطة للنظر. لقد سألت نفسي في مناسبات لا تحصى، لِمَ تشعر الصحافة بأنه لا يمكن معاملة الرياضيين في الألعاب البارالمبية مثل اللاعبين الجديين وأن يحاسبوا على مستوى أدائهم، فقط وببساطة لأنهم معوقون؟ إن كان وقتك أبطأ من الأوقات التي حققتها سابقاً - حتى إن أنت انتصرت - أو كان أداؤك أقل روعة، فإن المحاسبة ستخدمك في تحفيزك كرياضي، وستشجذ همتك لتحسين أدائك في كل مناسبة جديدة. وأن يقال إنك ربحت السباق ولكنك لم تصل فعلياً إلى إظهار قدرتك كاملة بالكاد، فإن هذا لا يعد إهانة، بل إنه كلام يصب في سياق التشجيع.

بالرغم من أنه لم يمضِ زمن طويل على كوني جزءاً من عالم الرياضة البارالمبية، لكنني أشعر بأن الناس جاهزون أكثر مما ينبغي لحصر أي تعليق في الجانب الرمزي للمنافسات البارالمبية. بشكل رئيسي، نسمع فقط عن القصص المؤثرة عن الناس الذين تغلبوا على العقبات والصعاب من أجل التنافس. أنا لا أدعي للحظة واحدة بأنه من غير المهم عرض هذه الإنجازات المهمة، إنما لا يجوز مطلقاً لهذا أن ينفي ضرورة تطبيق المعايير الطبيعية للتميز وللأداء الرياضي على الرياضيين المتنافسين. يجب أن يخضع اللاعبون البارالمبيون أيضاً للمعايير الدقيقة نفسها وللتقد البناء شأنهم في ذلك شأن نظرائهم من سليمي الجسم. أظن أن هذا صحيح بخاصة لأن الرياضات البدنية هي رياضات فردية، تتنافس فيها من أجلك أنت شخصياً وضد نفسك. أداؤك هو مسؤوليتك بشكل كامل، خلافاً للألعاب الرياضية التي تضم فريقاً كاملاً، حيث يمكن للفرد دوماً أن يعمم المسؤولية على الفريق كله.

هذا بالضبط ما أشتاق إليه في ألعاب الفريق وبخاصة الركبي. إنه لشعور بديع عندما تربح مباراة مع فريقك، إذ انه يوحد بين أعضاء الفريق ويعطيك شعوراً لا يضاهى بالمكافأة. المودة، والإحساس بالمسعى وبالإنجاز الجماعيين أمران مميزان. أنا لم أعد ألعب الركبي: فأنا لا أستطيع تحمل مخاطرة التعرض للإصابة. حالياً ألعب ركبي اللمس مع مجموعة من الأصدقاء، فهو يتضمن تطاحناً جسدياً أقل بكثير، وليس فيه حركات إمساك أو دفع قاسية كما يشكل لعبة أكثر استرخاء و لعبة هواة.

كرة الماء رياضة أخرى لطالما كنت أستمتع بها دائماً، وهي ذات ميزة إضافية بالنسبة إليّ لأنها رياضة أستطيع ممارستها من دون ساقّي البديلتين، لكن الحقيقة هي أن أدائي أفضل في الرياضات ذات

النشاطات الأقصر مدّة - كالركض والرياضات التي لا تحتاج إلى الأوكسجين. قضيتي مع كرة الماء هي نفسها مع السباحة، وركوب الدراجات، وجري الماراتون، إنها رياضات تحمّل. ومن الناحية البنيوية فإنني أبرع بشكل أفضل في رياضات السرعة أكثر من رياضات التحمل. أعتقد أنها مسألة ألياف عضلية واستعداد بدني. حتى حين كنت في قمة لياقتي البدنية وأتدرب تحديداً لهذه الرياضات، كنت حين ألعب كرة الماء أصل إلى آخر الدورات الأربع التي تشكل المباراة مستنفداً كلياً. كان أدائي سواء في كرة الماء أو في الركبي متعلقاً بطاقتي المتفجرة، طاقة كانت بالتعريف غير ثابتة طوال المباراة كلها.

عندما يصبح الرياضي محترفاً يضحى مجبراً على القيام بخيارات من ليسرع في الرياضة المختارة. من منظوري اليوم، كرياضي وعداء، إن ركوب الدراجة لمسافة 20 كيلومتراً سيؤدي إلى عكس المطلوب. أنا متأكد من أنني لائق بشكل كاف، قد يحاجني البعض في أن هذه التمارين ستصب في مصلحتي ورفع مستواي العام وكل ما يتعلق بلياقتي الرياضية، ولكن بما أنني لا أرغب بتدريب جسدي على تطوير ألياف عضلات ذات انقباض بطيء، فإنني أحرص على ألا تتسنى له الفرصة لذلك. طبعاً الانقباض البطيء للألياف العضلات هو أمر مهم لأن الأوقات التي تستغرقها ردود الفعل في الرياضات البدنية هي كل شيء. إن التزامي بمهنتي وتركيزي عليها كرياضي عداء يعينان أنني مهما استمتعت بكرة الماء والركبي (والأخيرة رياضة تبقيك تجري طيلة الدقائق الثمانين التي يستغرقها كل شوط من المباراة)، فإنني لن أشارك بعد اليوم في أي شيء ضارّ باستعداداتي وفرص نجاحي. وحتى حين أتمرن في الصالة الرياضية، فإن مدة دقيقتين هي المدة الأطول لممارسة

أي تمرين، وحتى هذا قد يكون حالة استثنائية. إن كتاب أسرار مخفية للركض السريع لباري روس الذي كان مدرباً رياضياً لأكثر من ثلاثين عاماً، قد أحدث ثورة في طريقة مقاربتى للياقتي البدنية وتدريبى. كان من أوائل الذين فهموا بأنه من الحيوي أن يعكس تدريب المرء طبيعة الرياضة التي هي موضوع البحث؛ بتعبير آخر تحتاج جلسات التدريب للعدائين أن تكون قصيرة ومركزة. ومثال آخر: الاختلاف بين تمارين الضغط وتمارين السحب. بما أنه في الألعاب الرياضية يجب أن تدفع نفسك بعيداً عن الأرض، فمن الضروري أن أتدرب باستخدام تمارين الضغط، وبحسب هذه الطريقة، فأنا أدفع جسمي بعيداً عن الأرض بينما تتطلب تمارين السحب إلى الأعلى أن أسحب وزني نحو شيء ما. يجب تصميم كل تفصيل في مجمل تدريبك وفقاً للنتائج التي ترغب بالحصول عليها. أنا أركز على حركات متفجرة قصيرة: على سبيل المثال، سأقفز عن منصة وما إن ألامس الأرض حتى أثب مباشرة إلى الأمام نحو منصة أخرى، مدرباً جسدي بذلك على الاندفاع بعيداً بيسر وسرعة.

حين أتدرب أستخدم طريقتي الاصطناعيين اللذين أضعهما كل يوم، وليس صفيحتي الجري، وأتمرّن في الصباح الباكر متبعاً توجيهات سياستيان روثمان الملاكم السابق المشهور والمدرّب الشخصي الاستثنائي. تشكل التغذية سمة أخرى من حياتي، والتي تبدلت منذ التزمت بمهنتي كعداء محترف. أنا لم أعد أستهلك الكربوهيدرات كما كنت معتاداً على أن أفعل سابقاً، حيث لم أعد بحاجة إلى بناء احتياطي مهم من الطاقة، والحفاظ عليه. كي أعدو بشكل فعال أحتاج إلى الطاقة لحرقها بسرعة، لذا، فمن المنطقي أن أحتاج إلى أكل كميات كبيرة من البروتينات مثل الدجاج أو السمك.

كلاعب ركبي كانت وجبتي المفضلة هي تناول خمس قطع من الخبز المدهون بطبقة سميكة من زبدة الفستق، والتخلص منها بإحراق السرعات الحرارية خلال المباراة؛ ولكن الركض ليس على القدر نفسه من استهلاك السرعات، وبجميع الحالات يستخدم الجسم الطاقة المخزنة في عضلاته، لذا كان عليّ التنازل عن هذه المتعة الخاصة.

بداية اعتقدت أنني أستطيع ببساطة أن أستبدل الركبي بالألعاب البدنية وأن أوصل حياتي كالسابق، ولكن سرعان ما اتضح لي بأن هذا الخيار كان أكثر تعقيداً. درست الأنواع المختلفة لألياف العضلات، وتحدثت مع عدد من الناس المؤهلين في مجال العلوم الرياضية: سرعان ما بدا واضحاً أنه كي أكون عداءً ناجحاً عليّ أن أتخلى عن الركبي نهائياً، ولا بد من أن أعترف بأنني بعد ثلاثة أسابيع من تركي الركبي قد تحسنت فترات تأهيلي بشكل ملحوظ. ويمكن قول الشيء ذاته عن عاداتي الغذائية. بالرغم من أن الاستغناء عن الكربوهيدرات كان يعني بأنني بت أكثر إجهاداً في آخر الجلسة التدريبية، فقد كنت ولا أزال أكثر قوة وعضلاتي تترمم بسرعة أكبر بكثير. من الواضح أن هذه المعرفة تعمقت بتنامي خبرتي بالألعاب الرياضية البدنية، كما أنها لائمت بشكل تدريجي مسألة الانضباط لديّ.

أن تكون رياضياً محترفاً هو اختيار لأسلوب حياتك بمقدار ما هو اختيار لمهنتك، وهو يتطلب التضحيات في كل جانب من جوانب الحياة. وفي ما يبدو مثلاً بديهيّاً، ليس من الممكن أن يكون المرء رياضياً محترفاً وأن ينام خمس إلى ست ساعات ليلاً فقط. فالتدريب القاسي ليس كافياً: يحتاج المرء إلى ثماني أو تسع ساعات من الراحة ما دام لزاماً تدريب الجسم والعقل معاً. لقد تغيرت حياتي للغاية خلال الأعوام الأربعة الماضية. فمثلاً، أيام السبت مساءً، في حين يكون بإمكانني نظرياً

أن أتأخر كما أريد لأنني لا أندرب أيام الآحاد، ينتهي بي المطاف عموماً بمشاهدة DVD في البيت. عند الساعة العاشرة أكاد لا أستطيع أن أفتح عينيّ وحتى حين أذهب إلى دار السينما، فإن النعاس يسيطر عليّ غالباً وأنتهي بالنوم في منتصف العرض؛ إنه أمر محرج ولكنها الحقيقة. أنا متأكد من أن حياتي ستكون مختلفة بعد عشرة أعوام من الآن، ولكن حالياً عليّ أن أهب نفسي كلياً إلى ما أقوم به، من أجل أن أنجزه بشكل مناسب وبنجاح.

إن معظم أصدقائي من مجموعة أندادي هم طلاب في الجامعة يعيشون ويستمتعون بأسلوب حياة معاكس تماماً لأسلوب حياتي. فهم يخرجون إلى وقت متأخر ليلاً يخالطون المجتمع ويشربون ويحضرون الحفلات. أعتقد أنه يوجد في الحياة وقت لكل شيء، ولكنني في الأعوام الأربعة الماضية شُغلت بأنشطة أخرى، فتغير مفهومي للحياة ولما هو مهم فيها بدرجة كبيرة؛ وبشكل حتمي نشأت فجوة بيني وبينهم. يخبرني بعض الناس بأنني لم أعد الشخص ذاته؛ ولديهم الحق في ذلك إلى حدّ ما؛ لقد تعرضتُ إلى أشياء كثيرة جديدة، وقد فتحت عينيّ على خيارات أخرى في الحياة، وهو وضعٌ أشعر معه براحة كبرى.

مشروع "لا ألغام أرضية" الذي أشترك فيه الآن هو مثال جيد لأمر قريب جداً حالياً من قلبي وقد غيّر رؤيتي كلياً نحو العالم. لقد كنت ساذجاً ومستغرقاً في ذاتي، لكن الفرصة التي أتاحتها لي في السفر للمشاهدة الفعلية لما كان يحدث، قد غيّر ذلك. لم أعد أقوى على تجاهل أنه على بُعد 600 كيلومترٍ وحسب من موطني، في موزامبيق، فقد أناس كثيرون أطرافهم وما زالوا يفقدونها بالألغام. إضافة إلى ذلك يعيش كثيرون في فقر مدقع من دون أساسيات الراحة مثل سقف وماء جارٍ. في جنوب أفريقيا كذلك توجد مستويات عالية من الفقر والعيش

المضني (فهناك منطقة لا تبعد أكثر من 50 كيلومتراً من باب داري تعاني من شظف العيش). أنا أعلم أنني لو لم أخطأ بالشهرة والنجاح لما كنت وعيت نضال هؤلاء الناس. اليوم، وبسبب شخصيتي وشهرتي، يطلب الناس مني المساعدة ويدعونني للمشاركة ويوضحون لي كيف يمكن لمشاركتي أن تستحضر قيمة إضافية للناس وللقضية القائمة. حين نضجت بدأت أدرك مقدار ما أوتيته من حظ طيب في الحياة، وفي الوقت ذاته أخذت أتفهم إنسانية الآخرين.

اليوم، أضحي هدفي الرئيسي في الحياة، إلى جانب أهدافي الرياضية، هو مساعدة الآخرين. أرغب في إنشاء منظمة غير حكومية لمساعدة مبتوري الأطراف الأفريقيين، من ناحية مالية وما سوى ذلك، في الحصول على أطراف اصطناعية. كما أرغب بإيجاد طريقة لتصنيع أطراف اصطناعية بأسعار منخفضة. أعلم من خلال البحث الذي أجرته بالإضافة إلى خبرتي الشخصية أن التكلفة الداخلة في تصنيع الأطراف الاصطناعية ليست هائلة بحد ذاتها، لكن المصنّعين يحافظون بطبيعة الحال على هامش لأرباحهم. فإذا كنا قادرين على تصنيع الأطراف الاصطناعية مباشرة، فإن ما سيتم توفيره من مال سيتيح للناس شراء ثلاثة أزواج بدلاً من اثنين بأسعار اليوم. كنت أناقش فكري مع أحد العلماء الذين أشرفوا على اختبراتي في أثناء جلسات الاستئناف أمام محكمة التحكيم في لوزان - وهو ما سيأتي الحديث عنه أكثر لاحقاً - فأوضح لي أن التقانة الضرورية لإنتاج أطراف اصطناعية بتكلفة رخيصة، ووزن خفيف وتمتع بالمقاومة، وبالتالي قلما تحتاج إلى الصيانة، هي متوفرة سلفاً بالفعل. هذا مهم جداً في السياق الأفريقي، فما لا نملكه هو البنية التحتية الضرورية لتأمين الصيانة بسهولة على المدى الطويل وبتكاليف يستطيع تحملها كل من يحتاج إليها. وعلاوة

على ذلك، فمع المسافات الهائلة، فإن الطبيب سيلائم غالباً الأطراف الاصطناعية مع مقاس الجسم، ولكن لا توجد فرصة لمتابعة المرضى في العيادات.

اليوم، أصبح من السهل عليّ أن أستخدم اسمي لمساعدة الآخرين، وبالضبط فإني لهذا السبب أشعر بمسؤوليتي لأن أبذل كل ما في وسعي للتغيير. أعتقد أن كثيراً من المشاهير يعتبرون هذا عبئاً يستطيعون ببساطة التعامل معه بتحويل التبرعات المالية إلى المنظمات الخيرية. ما كنت لأقول أبداً إن التبرعات المالية ليست حيوية، ولكنني أشعر بقوة بأنه من المهم التدخل شخصياً لتمنح وقتك ودعمك لمبادرات أنت مقتنع بها. توجد حاجة ملحة إلى هذا سواء هنا في جنوب أفريقيا أو في الخارج.

على المستوى الشخصي، اخترت أن أنغمس بشكل فاعل في مساعدة الأشخاص في موزامبيق. فالموزامبيق كان خياراً واضحاً بالنسبة إليّ كإنسان من جنوب أفريقيا، تماماً كما هو موضوع الألغام الأرضية لكوي أبتري. لقد شعرت بطريقة يمكن مقارنتها بما شعرت به وأنا مع السباح المدهش الذي التقيته في الألعاب البارالمبية في أثينا، من حيث الأسلوب الذي يدير فيه الناس أمورهم وينجحون بما لديهم. الكثير من الموزامبيقيين الذين قابلتهم كان لديهم القليل جداً من الرفاه المادي أو المال، ومروا بالصدمات وعانوا الصعوبات، بالرغم من ذلك وبدلاً من أن يشتكوا من نصيبهم في الحياة، كانوا يواصلون حياتهم ويفعلون ما في وسعهم ليعيشوا بسعادة. حبهم للحياة ومقاربتهم الإيجابية لها كانت مُعدية: إنها تذكرني بأن أفدّر عالياً حياتي، وأن أتذكر كم كنت محظوظاً. تسبغ عليّ مساعدتي هؤلاء الناس شعوراً كبيراً بالمكافأة لأنهم يتجهجون بما تمنحهم الحياة. شخصياً أكافح إلى أبعد الحدود حين يتصل

بسي الناس وقد استبد بهم اليأس طالين مني مساعدة أحد أحبائهم الذي فقد أحد أطرافه، في حادث ربما، ولكنه غارق في الغضب والكتابة ويرفض مغادرة السرير وتعلم المشي بالطرفين الاصطناعيين.

إنه لأمر قاس لكل شخص مصاب، ولكن من شبه المستحيل مساعدة شخص إن كان لا يريد المساعدة. غالباً ما أجد نفسي أروي لهؤلاء الأشخاص قصص أولئك الذين التقيتهم في موزامبيق، على أمل أن أتمكن من التأثير فيهم وأن أساعدهم على فهم كم هم محظوظون، حتى وإن كان حادث ما قد ألقى بظلاله على حياتهم أو أصيبوا ببتير. لقد أثرت في بشكل خاص امرأة موزامبيقية في عقدها السابع، وحين أعطيناها الطرفين الاصطناعيين كانت لم تمش لثلاثين عاماً خلت. في ذلك اليوم نفسه أخذت تتعلم المشي من جديد، وبحلول نهاية اليوم كانت تتحرك في أرجاء المكان من دون مساعدة أحد. يشكل المنظور الذي نطالع الأمور من خلاله كل ما هو مطلوب من الشخص كي يفهم، بالرغم من البتر بأنه لا يزال حياً، وبخير، وقادراً على الإفادة إلى أبعد الحدود من التقدم المدهش الذي تعرضه العلوم الطبية والتقانة. بخلاف أناس كثيرين ممن يجدون أنفسهم في وضع مماثل ولكن لا يملكون المال لتأمين طعامهم، ناهيك عن شراء زوجين من الأطراف الاصطناعية، فاستعادتهم لشيء يقترب من نوعية حياتهم المعتادة سيكون سهلاً لهم. كل شيء بالطبع يعتمد على موقفك من الحياة. لديك خياران: إما أن تأخذ ما أحدث لك كإهانة من القدر، وسرقة لحقك الطبيعي في امتلاك ساقين، أو ببساطة أن تحتضن الحياة وتستمتع بالفرصة الجديدة والمعرفة اللتين يحملهما التغير معه.

إن كان الله تعالى ليسألني عما إذا كنت أريد استعادة ساقَيَّ فإني سأفكر فعلاً بروية قبل أن أجيب. فأنا لا أشعر بالضالة كما لو أن

الحياة قد سرقت مني ما كان حقاً لي. فلو أنني وُلدت بساقين عاديتين لما أصبحت الرجل الذي أنا عليه اليوم.

إن حياتي التي هي من دون المقاييس العادية قد ساعدت على صقل إمكانياتي. ولست متأكداً بأنني كنت لأملك الحافر نفسه والتصميم ذاته لأطور نفسي وأصبح رياضياً. كثيراً ما يسألني الناس كيف يشعر الإنسان بطرفين اصطناعيين، ولكنني غالباً أجد نفسي غير قادر على الإجابة عن هذا السؤال. فطرفاي الاصطناعيان هما ساقاي، ولم أعرف في حياتي غيرهما، ولذا فأنا أعكس سؤالهم وأطلب إليهم أن يشرحوا كيف يشعر المرء حين يكون له ساقان. هناك جوانب سلبية لامتلاك أطراف اصطناعية: على سبيل المثال، حين أجلس إلى مائدة الطعام مع امرأة جميلة وتبدأ بغزل القدمين تحت الطاولة فسأكون الخاسر فعلياً. قد تبدو هذه الملاحظة ثرثرة، ولكنها تخفي وراءها نقطة جديدة؛ ألا وهي توضيح كم هو نفيس احتضان تقلبات الحياة بحس الفكاهة. يجدر بالمرء أن يحاول تقدير أو على الأقل الاستمتاع بما لا يستطيع تغييره.

في تجربتي، هناك القليل مما لا يستطيع المرء علاجه بحس الفكاهة. فأنا أسخر دوماً من ساقتي. ومؤخراً سألني رجل محترم كبير في السن إن كنت أخرج بانتظام وأستمتع مع أصدقائي. أصبت بالحيرة إلى حد ما، فأنا لم أدرك الفكرة من وراء السؤال، ولكنني بالرغم من ذلك أخبرته أنني إن لم أكن لأتدرب في اليوم التالي فنعم، وأني كنت أحتفل على الأغلب مرة كل شهرين. لم يرضَ الرجل بإجابتي فسألني إن كنت أكثر من الشراب؟ أجبته، كلا. وبابتسامة عريضة على وجهه أخبرني بعد ذلك أنه كان يفهم وضعي بما أنني أصلاً لا أملك ساقين فلا حاجة بي إلى أن أكثر من الشراب. وجدت الملاحظة مسلية للغاية؛ وما

قدّرتّه منه بشكل خاص هو أنه أولائي الاحترام ذاته والمعاملة نفسها كما فعل مع الأناس الحاضرين الآخرين جميعاً. أكره أن أكون متلقي لشفقة الناس وأن أحس بالإهانة حين يعدّل الناس سلوكهم على حسابي. وكوبي من دون ساقين ليس أمراً مضحكاً بحد ذاته، ولكن هذا لا يمنع الرغبة بذلك، بل بالفعل الحاجة إلى مقاربة الموضوع بفكاهة. هناك قول أحبه هو الآتي: إعاقتنا ليست هي التي تجعلنا معوقين، ولكن قدراتنا هي التي تجعلنا قادرين.

جميعنا لدينا حدود، سواء عقلية أو جسدية، وعلى درجات متفاوتة من الأهمية، ولكننا جميعاً في الوقت ذاته مجهزون بقدرات عديدة وكثيرة، تجعل من الممكن لنا أن نتجاوز الإعاقة. يسألني الناس كثيراً كيف أستطيع مع الساقين الاصطناعيتين أن أكون مؤهلاً لأي شيء عدا أن أكون معوقاً. جوابي هو بما أنني أكثر قدرة بكثير مما هم عليه في تسعين بالمئة من الرياضات، فلم عليّ أن أتأهل كرجل رياضي معوق؟ قيل بأن استعمال الأطراف الاصطناعية هو برهان على الإعاقة، ولكنني عاجز عن إدراك السبب الذي يوجب أن تتغلب هذه السمة في شخصي على قدراتي الرياضية كلها.

يسمى أحد المشاريع الذي أدمعه نعل أفريقيا Sole of Africa، وهو منظمة غير حكومية أسسها ريتشارد برانسون، لمساعدة ضحايا الألغام الأرضية في موزامبيق. ومشروع آخر يدعى حملة تشايلي الذي انبثق نتيجة لاهتمام خمس فتيات في التاسعة من العمر وبمبادرة منهن. إحدى هؤلاء الفتيات كانت قد ولدت بشلل دماغي واعتلال عصبي انحلالي وكانت تحتاج إلى كرسي المعوقين الكهربائي، لكن أبويها كانا غير قادرين على تحمّل نفقته. فأتحدت الفتيات وبدأن يصنعن ألواح الشوكولا ثم يبعنها. خلال أسبوعين جمعن مبلغ 20.000 راند (حوالي

1.800 جنيهه في ذلك الوقت)، والذي كان أكثر من كاف لشراء الكرسي بعجلات. لكن الفتيات تابعن، وترعن بمكاسبهن لمنظمات خيرية مختلفة. تتراوح أعمار الفتيات اليوم ما بين الثالثة عشرة والخامسة عشرة وقد باشرن بمنظمتهم غير الحكومية الخاصة التي مولت شراء ما يزيد عن مئة وسبعين كرسيًا كهربائيًا للمحتاجين من أطفال جنوب أفريقيا وكذلك شراء عدد كبير من البكرات للمساعدة في رفع الأناس المشلولين من وإلى أسرهم ومن الحمامات وإليها. إنه لمثال رائع على تكاتف الناس لمساعدة بعضهم بعضاً.

مؤخراً أوجدت حملة تشايلي مطعمًا للفقراء في كيب تاون مجهزاً كلياً بعمال ذوي إعاقة ذهنية. لا يوجد فيه لائحة بالوجبات بل يأكل المحتاج ما تم إعداده في ذلك اليوم، ولا يتقاضون ثمنًا مقابل ذلك، باستثناء التبرعات. يستخدم المطبخ أناساً كانوا لولا عملهم هنا سيكافحون من أجل إيجاد عمل، كما يتيح أيضاً منتدى للناس ليتحدثوا فيه ويدعم أحدهم الآخر والأهم ليتعدوا عن المشاكل. يقسم المال الذي يستقبلونه بين العاملين، أما بقايا الطعام فتذهب إلى منظمات خيرية. لقد ساهم في إعادة احترام الناس لذواتهم واستقلاليتهم، كما أنه يعلم المجتمع المحلي الواسع أن هناك طرائق أخرى لدمج الناس في المجتمع ومنحهم الدعم الصادق. لقد أضحي المطعم ذا شعبية واسعة في دوائر العمل.

هناك مشروع أتمس جداً للانطلاق به، سيكون مكلفاً جداً إنما نافعاً على المدى الطويل. أرغب بتجهيز شاحنة يعاد تصميمها لتحتوي مختبراً مجهزاً بشكل كامل وقادر على السفر في أنحاء أفريقيا كافة ومساعدة الناس حيث يعيشون ويعملون. من الضروري في الأساس أن نكون قادرين على الوصول إلى القرية في الصباح، ورؤية المرضى،

وتزويدهم بأطراف اصطناعية متينة ورخيصة الثمن في ذلك اليوم نفسه. هناك منظمات عديدة تُحاول تنظيف الأرض من الألغام ولكن قلة قليلة جداً تُعنى بشكل خاص بأولئك الذين فقدوا أطرافهم. لقد تعلمت الكثير من الناس الذين اجتمعت بهم في موزامبيق. لقد غيرت التجربة حياتي وجعلتني إنساناً أفضل. أسفي الوحيد هو عدم قدرتي على مشاطرة أُمي التجربة. فأنا متأكد من أنها كانت لتوافق بإخلاص نابع من القلب على محاولاتي مساعدة أولئك الأقل مني حظاً في هذه اللحظة من حياتي التي أتمتع فيها بالنصر والشهرة. لقد كان ذاك بالتأكيد امتيازاً لي. كانت والدتي تعتقد أن الأشياء تحدث لسبب ما، وأن منح الوقت والدعم للآخرين هي الطريقة الوحيدة للاتحاد والتغلب على المصيبة. وأنه ليطيب لي الاعتقاد بأنها فخورة بهذا الجزء من حياتي.



الفتى الذهبي

لقد أنعم الله عليّ بحياة غنية ومرتعة بالمنح بشكل فريد لإنسان لا يزال في مقتبل العمر مثلي. فألى جانب تطوري كرياضي، عرفت بهجة التشارك بعلاقة قوية وملتزمة جداً. فيكي كانت حبي الحقيقي، وقوة علاقتنا دعمتني كثيراً. كانت علاقتنا عاطفية بشدة، وبالرغم من أن هذا الأمر كان يسهم على الغالب في افتراقنا النهائي، إلا أنه عنى أننا بينما كنا سوية كنا نقارب كل لحظة نحن فيها من بعضنا كما لو أننا كانت الأكثر أهمية أو في الواقع الأخيرة. كانت علاقتنا ملتزمة وصاخبة في أغلب الأحيان. تبرز لي حادثة وقعت مرة في الصيف تتجلى فيها حماقة التصرف وفقاً لردود فعل سريعة. كان ذلك في كانون الأول من العام 2005، وكنت قد قررت لقاء بعض أصدقائي الذين كانوا يمشون عطلاتهم في دوربان على بُعد 650 كيلومتراً من جوهانسبيرغ. فيكي كانت في جوهانسبيرغ ولكننا كنا نتكلم مع بعضنا كثيراً. في إحدى الأمسيات وبعد جسدال بغيض جداً دار بيننا قررت بأنه كان من الضروري جداً أن أعود فوراً إلى جوهانسبيرغ لتتصالح. غادرت دوربان عند الساعة الثالثة بعد منتصف الليل، متجاهلاً ما يمليه التفكير السليم. وفي حوالى منتصف طريق الرحلة حلّ بسى الإعياء. كان يجب أن أركن السيارة جانباً وأن أنام قليلاً، ولكنني بدلاً من ذلك كنت أتابع وطبعاً غفوت في أثناء القيادة. استيقظت حين اصطدمت سيارتي

بحاجز الأمان على جانب الطريق، أحد جانبي السيارة كان قد تحطم بالكامل. لقد أسعفني الحظ السعيد فعلاً بالنجاة، لكن سيارتي هُشمت نهائياً. كان سلوكي غيباً بشكل غير قابل للغفران وأنا آسفٌ له إلى هذا اليوم.

على الرغم من خلافاتنا، كنت وفيكي معاً في غاية السعادة. في صباح 14 شباط من العام 2006 استيقظت فيكي لتجد أنني، وبينما كان الجميع نائمين، كنت قد ذهبت إلى بيتها لأعلق مئتي بالون ملوّن (لقد نفخت كل واحد منها على حدة!) على الأشجار وعلى الممر وعلى السياج، وحين انتهيت من هذا أخذت علبة طلاء الرذاذ وكتبت بطريقة فنية على الطريق مقابل بوابتها الأمامية: "أحبك أيتها التمرة!". في ذلك الصباح استيقظت فيكي وهي مقتنعة بأنني قد نسيت يوم فالنتاين لتفتح الباب الأمامي وتكتشف تقديري لها. لقد لامس تصرفي شغاف قلبها وعبرت عن شكرها بدموع الفرح.

في نيسان من العام 2005 وقع لصديق عزيز عليّ اسمه رايان حادث رهيب على الدراجة النارية، وبعد أسبوع من إقامته في المستشفى رحل بعيداً عن هذا العالم. لقد تحطمت نفسيّ ومررت بفترة كنت فيها حزيناً ومكتئباً جداً لدرجة جعلتني ببساطة أنطوي على نفسي. لكن فيكي فسّرت سلوكي على أنه رفض لها ولم أكن قادراً على أن أشعرها بأي شيء مغاير لذلك. وبطريقة ما فقدنا القدرة على التواصل والمشاركة معاً. في أيار قررت أن أتوجّه إلى إنكلترا لأسبوعين لأشارك في كأس العالم للمعوقين في مانشيستر، لكن السبب الحقيقي لسفري كان رغبتي بتفادي التعامل مع الحاجز الذي قام بيني وبين فيكي.

كنت موجوداً في مانشيستر حين انتهى بنا الأمر إلى الانفصال ومما جعله أشد إيلاماً أنني كنت خارج الوطن. وعند عودتي حاولت

أن أتحدث إليها وأن أحل الأمور بيننا، ولكن كان الأوان قد فات. كانت فيكي تشعر أنني جعلتها غريبة عني، وأني أرفضها، ولم تستجب لتأكيداتي بأن عكس ذلك هو الصحيح. لقد كنا في الواقع غاضبين بشكل يفوق الوصف ولم نتكلم مع بعضنا في الأشهر الثمانية التي تلت. وكانت تلك إحدى المراحل الأشد كآبة في حياتي.

بالرغم من الاضطراب في حياتي الشخصية، فقد استمرت حياتي المهنية في التقدم بسرعة فائقة. كنت أتدرب بشدة جانبياً ثمرات جهودي. فخلال العام 2004 بالإضافة إلى قيامي بالتنافس في الألعاب البارالمبية في أتينسا، شاركت في الجري في عدد من المباريات المختلفة (كسباقات 100، 200 و 400 متر) والتي اعترفت بها الجمعية الدولية لاتحادات الألعاب الرياضية (IAAF). ثم تنافست في آذار من العام 2005 في مباراة الأربعمئة متر في البطولات الوطنية لجنوب أفريقيا وحزت الترتيب السادس. وبفضل هذه النتيجة بدأت أتلقى دعوات إلى أحداث مهمة في أجندة الألعاب الرياضية الدولية؛ مثلاً، جائزة هيلسينكي الكبرى والتي تجرى في شهر آب من كل عام. وحينها لم أكن قادراً على الذهاب إلى هناك في ذلك العام، لكن مجرد أن أُدعى كن أمراً بحد ذاته يمثل نجاحاً مهماً ومستوى جديداً من الاعتراف بالنسبة إليّ.

للأسف لم يرفع النجاح من روحي المعنوية إلا قليلاً. كنت في أقصى درجات التعاسة وتفويض دموعي على الفور. باختصار، كنت أفتقد فيكي بشدة. لقد ترك غيابها فجوة واسعة في حياتي، فقد كانت رفيقتي وكذلك أفضل صديقة لي، لقد كانت الشخصية التي تشاركت معها في كل شيء. كنت أفتقد نصائحها الذكية ومحادثتها وبطيعة الحال وجودها إلى جانبي.

كنت أستعدّ للانتقال إلى بيتي الخاص والاستقلال عن بيت عمي آرنبولد (والذي عشت معه ومع أسرته منذ العام الأخير لي في المدرسة وبقينا قريين جداً من بعضنا حتى الآن)، وبما أن فيكي كانت ذات دور فعال في اختيار المنزل وكذلك الأثاث، فإن الحياة كانت تتراءى لي أشد قسوة.

علاقتي مع والدي كانت أيضاً مثاراً لشيء من التوترات الجديدة والإجهاد. عندما بدأت بممارسة الألعاب الرياضية للمحترفين تولى والدي مهمة إدارة حياتي المهنية، وهذا التغيير في الديناميكية بيننا أساء إلى رابطة كانت من الأصل معقدة بيننا. ففي النهاية، كنت ابن ثمانية عشر عاماً فقط، وهذا التغيير في العلاقة تزامن مع حاجة جديدة إلى الثورة وكسب بعض الاستقلالية والحرية لنفسني. لقد كان منعطفاً تعليمياً شديداً للانحدار لكلينا. وأخيراً وصلنا إلى إدراك مشترك وهو أنه بالرغم من أن العمل مهم جداً، إلا أن الأسرة أكثر أهمية بكثير. إن عبثوري على مدير أعمال محترف أعطى كلاً منا فرصة ثانية. فقد انتقل والدي منذ ذلك الحين إلى كيب تاون حيث وجد شريكاً جديداً له، وعمل في إدارة منجم كبريتات، وهي وظيفة وجد فيها سعادة ورضا عظيمين...

في العام 2007، (بعد أن عملت بصحبة ثلاثة مدراء أعمال بمن فيهم والدي) وقّعت عقداً مع بيت فان زيل. ولعل مدير الأعمال بالنسبة إلى رياضي ملتزم بشكل كامل، يتدرب بشكل مركز ويسافر كثيراً عملياً هو شخص شبيه بالأب. فوفقاً لطبيعة العمل، أتما تقضيان وقتاً طويلاً معاً، وهذا الشخص يتشارك معك في جوانب حياتك المهنية كلها وكذلك الشخصية. وأذكر كم كان أخي كارل مستاء حين احتررت أن أمضي إجازتي مع مدير عمالي؛ ولم يغير في الأمر شيئاً أن

كارل لم يكن يحبه، فأنا أعتقد أن الناس لا يستطيعون أن يقدروا دوماً من بعيد إلى أي درجة من الحميمة يمكن أن تصل هذه العلاقة.

إن بيت هو مدير أعمال رائع. وهو انتقائي جداً في اختيار الرياضيين الذين يمثلهم، وهو أمر مثالي لأنه يعني أنه أكثر قدرة على التركيز على كل منا بشكل انفرادي. إنه يمثل حضوراً هادئاً وعاقلاً وإيجابياً في حياتي، ويبدو دائماً أنه يدير المآزق التي أوقع نفسي فيها ويرتبتها. اتصلت به مرة وأنا في دعر شديد. كنت قد أضعت ساقتي، ولأكون أكثر دقة: صفيحتي. كنت أحزم حقيتي لأننا كنا مغادرين في وقت لاحق من ذلك اليوم إلى أميركا. لقد قلبت بيتي (وسيارتي) رأساً على عقب ولكنني لم أعثر على صفيحتي. لحسن الحظ كان لدى بيت زوجان احتياطيان من صفيحتي، وهكذا تم تفادي كارثة. وتبين أن صديقاً لي قد مازحني بإخفاء صفيحتي، من دون أن يعلم أنني كنت على وشك السفر للمشاركة في سباق تنافسي.

أتمنى لو أن بيت كان إلى جانبي يوم انتهى بي الأمر وراء القضبان. كان ذلك أواخر آب عام 2006. كنت أقوم بالتمارين مع صديق لي في مضممار للرمي، وبما أنه كان تدريباً بديلاً للغاية، فإنني أفترض أن بعض البارود قد احتك بساقي الاصطناعيتين. بعد ذلك بأسبوع انطلقت إلى آسن في هولندا حين كانوا يستضيفون بطولات العالم للمعوقين. بدايةً كنت قد خططت للسفر إلى هناك ثم المغادرة مباشرة بعد المنافسة، لكنني كنت أحتاج إلى قضاء أسبوع في إسكلندا للعمل مع التقنيين ومع فريق التصميم في آسور الذي ينتج أطراف التشيتاس البديلة التي أستخدمها. وهكذا قررت في اللحظة الأخيرة تغيير بطاقتي للسفر إلى إسكلندا من أمستردام ثم العودة إلى جنوب أفريقيا عن طريق أمستردام. قبل أن أغادر مطار جوهانسبيرغ الدولي ذهبت إلى

نافذة بيع التذاكر للحصول على بطاقة جديدة، ولكن بما أن أنظمة المعلومات لديهم كانت معطلة فقد أصدروا البطاقة يدوياً ووعدوني أنهم سيحدثون المعلومات الخاصة برحلي الجديدة في نظامهم في أسرع وقت.

حتى الآن كان كل شيء على ما يرام. توجهت إلى آسن وانتصرت فائزاً بميدالية ذهبية وتحققاً رقماً عالمياً جديداً في المسافات الثلاث التي اخترتها. ثم في رحلة العودة بين ريكيافيك وأمستردام حصل بطريقة ما أن أضعت تذكرتي. ذهبت في أمستردام مباشرة إلى قسم الوصول وشرحت للموظفين هناك ما كان قد حصل معي، كانوا يكافحون لتصديقي وعندما راجعوا نظامهم الحاسوبي ولم يجدوا لي اسماً على قائمة المسافرين، أخبروني بأنهم لا يستطيعون مساعدتي وأرسلوني إلى شرطة المطار لتسجيل شكوى لضياح تذكرتي، مضيفين بأنه عليّ العودة إليهم وكتابة الشكوى بيدي. لقد عملت بحسب الأصول ولكن طاقم الموظفين تبدل في أثناء ذلك، وادعى مسؤول رحلة الطيران أنه لا يدرك شيئاً مطلقاً من تفسيراتي. وخلال خمس دقائق وجدت نفسي محاطاً برجلي شرطة طالبين إليّ أن أتبعهما. وحين كنت أسأل عن بعض التوضيح أخبراني بجلافة ألا أحاول ممارسة أي حيل ذكية معهما وأني كنت متهماً بالبلاغ الكاذب إذ إنني لم أمتلك البتة أي تذكرة سفر إلى جوهانسبيرغ. لم أستطع أن أصدق سخافة الموقف الذي أنا فيه. ورواياتي كلها عن امتلاكي بطاقة أصلية وتغييرها يدوياً لم تلق سوى آذان صماء. وقد أُخبرت بأنه سينظر في الأمر ولكن عليّ أن أنتظر النتيجة وراء القضبان. وبعد ثلاث ساعات أمضيتها في الزنزانة بصحبة شريك مريب الهيئة بلا شك، وصل شرطي وأخبرني من دون جمععة أن بإمكانني الذهاب. كنت أشعر بالابتهاج، وبما أنه

لم يبقَ سوى خمسين دقيقة على إقلاع الرحلة الأصلية نحو جوهانسبيرغ فقد انطلقت راكضاً بحقائبي نحو بوابة المسافرين.

لقد كدت ألتحق بالرحلة، كل ما تبقى هو المرور من خلال التفتيش الأمني. لكن ساقّي البديلين كانتا تسببان بعض المشاكل لدى نقاط التفتيش حيث تطلقان جهاز إنذار كاشفات المعادن، وهذه المرة لم يكن الأمر مختلفاً.

شرحت للشرطي أنني مبتور الساقين وأني أستخدم ساقين اصطناعيتين، ولكن وكما في السابق، طلب إليّ أن أتبعه إلى مقصورة يستطيع فيها تفحصي وتفحص ساقّي البديلين بعناية أكبر. كنت قد بدأت برفع سروالي الجينز كي يتمكن من فحص ساقّي البديلين في الوقت الذي كان يشرح لي بأنه إجراء طبيعي بالنسبة إليهم أن يفحصوا ساقّي البديلين بأداة حساسة للمتفجرات. لقد كانت تجربة جديدة بالنسبة إليّ ولكنني وثقت بكلامه ولم أفكر فيه كثيراً حين غادر المقصورة وأداته بيده شارحاً بأدب بأنه سيعود خلال دقيقة. وبينما كنت غارقاً في أحلام اليقظة اقتحم المقصورة أربعة رجال من الشرطة صارخين بي وطلبوا إليّ أن أدير وجهي إلى الحائط وأن أضع يديّ خلف ظهري كما لو كنت موقوفاً. كان الأمر يبدو تماماً مثل مشهد مثير لشرطي، وكنت أنا من يبدو وكأنه يلبس سترة مفجر قنابل سوداء، ويعتمر قبعة سوداء ويضع نظارة سوداء منيعة. لقد أرجعوني فوراً وعلى نحو مفاجئ إلى مركز الشرطة حيث كنت قد احتُجزت في وقت سابق من ذلك اليوم، بطريقة خالية من الاحترام ومختلفة كلياً مما جعل زميلي السابق في الحجز يشعر بالخوف لحضوري ولا يرغب حتى بالنظر في عينيّ. كان الموقف كما لو أن ضباط الشرطة قد تأكدوا من شكوكهم حول سلوكي الإجرامي ونواياي الشريرة.

استلزم الأمر عشرين دقيقة أخرى ليشرحوا لي بعدها أن نتيجة الاختبار الذي أجري لساقّي البديلتين للمواد المتفجرة كانت إيجابية. أصبت بالذهول المطلق بكل تأكيد. فأنا الآن أصبحت متهماً ليس بتزوير تذكرة سفر وحسب بل بما هو أكثر خطورة من ذلك بكثير، أعني بالإرهاب!

كنت حائفاً ومذعوراً، بالرغم من ذلك كانت حالتي تبدو سخيفة إلى درجة كنت أشعر معها أنه عليّ أن أضحك. بأسلوب أكثر اقتضاباً كانوا بحاجة إلى إجراء اختبارات إضافية على ساقّي البديلتين، وهكذا وُضعتُ في الزنزانة مقيداً حتى انتهاء الاختبارات. كنت قد فقدت رحلتي بالفعل، وبشكل نهائي، وقد حُجز على أشياءي الخاصة وجهازي الخليوي. وأمضيت الساعتين التاليتين في قلق متمنياً لو كانت هناك طريقة ما لإخطار عمي دايان بعدم وصولي إلى جوهانسبيرغ في صباح اليوم التالي. ثم، مرة أخرى من دون سابق إنذار حضر ضابط ومعه حاجاتي وأخبرني بأنني حرّ في الذهاب لأن الخطر على الأمان والسلامة قد أُبطل. وبطريقة عجيبة استطعت أن أجد رحلة أخرى مغادرة أمستردام إلى جوهانسبيرغ وشعرت براحة لذلك كما لم أشعر البتة في حياتي في العودة إلى الوطن.

يجب أن أعترف أن أكثر ما ضايقني خلال هذه الخبرة السريالية كلها هو أن مدخرة هاتفي الخليوي كانت فارغة. لقد كنت معتاداً للغاية على وجود هاتفي الخليوي بقربي، وكنت أتكل على قدرتي على التواصل مع الآخرين في أي وقت، لدرجة أنني شعرت بعزلة شديدة. أضف إلى أن عدم قدرتي على الاتصال بعمي وإخطارها، ومشاركة فيكي في كل ما حصل لي قد سبّب لي ضغطاً كبيراً. في بداية

العام 2006 كانت فيكي قد تسجلت في جامعة كيب تاون، وبالرغم من صعوبة الأمر جداً علينا في البداية، وبالرغم من أنه كان مؤملاً بشدة إلا أننا عاودنا تمضية بعض الوقت مع بعضنا مرة أخرى. فكل منا كان يفتقد الآخر وهكذا كان أمراً حلوياً ومراً في آن واحد لكلينا أن نبدأ بترميم الصداقة.

في ذلك الوقت كنت أتدرب بشدة تحت رعاية أمبي بهدف تحسين سرعتي لتأهيلي للألعاب الأولمبية التي تقام في العام 2008 في بكين. فالمؤثرات جميعها كانت تشهد على أنه هدف قابل للتحقيق، إذ إنني كنت أتمتع بوضع صحي ممتاز وأجري بشكل رائع. ولكن، وبما أن الزمن الذي كنت أحققه كان يتحسن باطراد، فقد فوجئت حين علمت بأن تلك الإنجازات قد عادت عليّ باهتمام شديد إنما من زاوية ناقدة. فقد بدأ أشخاص من عالم الألعاب الرياضية يشيرون ضمناً إلى أن ساقِي "ذاتي التقنية العالية" كانتا تؤمنان لي ميزة غير عادلة، وبالتالي، فإن التعاطي في شأنهما ينبغي أن يتم بمزيد من الحيطة والحذر. لقد كنت غير مستعد لهذا، فساقاي البديلتان بنسجهما الكاربوني قد وُجدتا في السوق منذ أكثر من عشرة أعوام وأصبح الرياضيون مبتورو الساقين يستخدمون هذا النوع من الأطراف الاصطناعية بشكل شائع. وفجأة تحول كفاحي لتأهيلي للألعاب الأولمبية إلى شيء أساسي أكثر من ذلك بكثير؛ لقد أصبح كفاحاً من أجل حقي ذاته في الجري والمشاركة بالألعاب الأولمبية.

كما ذكرت، كنت قد تلقيت دعوة للتنافس حول جائزة هيلسينكي الكبرى عام 2005، ولكنني لم أتمكن من الحضور. في ذلك الوقت كان تأهيلي ببساطة غير جيد بشكل كافٍ للتنافس على هذا المستوى العالي. ولكن في العام 2007 كان تأهيلي قد تحسّن إلى درجة

أنني حصلت على الدرجة الثانية في مباريات الأربعمئة متر الوطنية في جنوب أفريقيا، وشعرت الآن أن الوقت قد حان للتنافس عالمياً. وشاءت الأقدار أن تكون هذه هي اللحظة التي تبنت فيها الجمعية الدولية لاتحادات الألعاب الرياضية (IAAF) قاعدة جعلت من مشاركتي أمراً مستحيلاً.

اجتمعت الجمعية الدولية لاتحادات الألعاب الرياضية (IAAF) في آذار من العام 2007 في مومبازا، كينيا، وقررت تعديل ما يعرف بالقاعدة 2-144 (أستطيع الآن أن أتلوها عن ظهر قلب). إنها تمنع بشكل رئيسي في أثناء المباراة استخدام "أي أدوات تقنية مصممة لتحسين الأداء".

إنها تمنع حرفياً استخدام "أي أدوات تقنية تؤمن للاعب الرياضي الذي يستخدم هذه التقنية ميزة على أولئك اللاعبين الرياضيين غير المستفيدين من هذه التقنية".

لقد حُمن كثير من المعلقين الرياضيين المعروفين بأن هذه القاعدة قد وضعت لمنعي من الدخول في منافسات الألعاب البدنية العالمية لسليمي الجسم، ولم تدفعهم إلى ذلك التخمين عبارات القرار ونتائجه فحسب، بل الطريقة المستعجلة التي أُخذ فيها القرار. فعلى سبيل المثال، قام أعضاء تراك فاست، الذين يقفون وراء الأحداث الرياضية البريطانية المختلفة، والذين كانوا قد دعوني للمشاركة في التنافس في غلاسكو، بالاتصال بي مباشرة ليشرحوا لي بأنهم على أساس قرار الجمعية الدولية لاتحادات الألعاب الرياضية (IAAF) هذا مضطرون إلى إلغاء دعوتهم لي. ومما يثير الانتباه، أنني بالرغم من ذلك لم أتلق من جمعية (IAAF) أي إشعار رسمي يزعم بأن اتخاذ القرار لا علاقة له بي.

في حزيران من ذلك العام أصدرت جمعية (IAAF) بياناً صحفياً عرّفت فيه أنه لا يجوز تفسير البند 2-144 على أنه يخص مشاركاتي الرياضية، وعلى الأقل ليس إلى أن تُثبت الاختبارات أن ساقَي البديلتين هما في الواقع "ميزة تقنية" على زملائي الرياضيين المنافسين. واتصل نيك دافيس السكرتير الصحفي لجمعية (IAAF) بيت وصرّح له بشكل واضح بأنه عند هذا الحد لا يوجد مانع من مشاركتي وأني كنت حراً في التنافس. لا شكّ في أن هذا الجدل بالإضافة إلى التشويش الذي كان سائداً جعلاً الوضع صعباً بالنسبة إليّ. لقد بذلت ما في وسعي للسيطرة على أفكارتي والتركيز على تدريبي، وشعرت ببهجة عارمة حين اتصل بيت بي ليخبرني أنني مسجّل للتنافس في مباراة مهمة في روما.

كان بيت قد اتصل بجيجي دونوفريو (وهو رجل أكنّ له الكثير من الاحترام) وقد كان هو منظمّ المهرجان الذهبي (غولدن غال) في روما والذي كان سعيداً تماماً بقبول أي نقد أو اهتمام صحفي سلبي قد تستقطبه مشاركتي. كان من المهم بمكان بالنسبة إلينا أننا قد بنينا مثل هذه العلاقة الجيدة مع هذا الإنسان الذكي صاحب الذهن المنفتح، والذي كان سعيداً بتحمل مسؤولية خياراته. لقد منحني الفرصة لأثبت ذاتي على مستوى العالم.

وهكذا كان، وبعد عامين من التحضير، انطلقت إلى روما في تموز من العام 2007. كنت مبتهجاً جداً بحظي السعيد والفرصة الرائعة التي تنتظرنني.

سيبقى يوم الثالث عشر من تموز منقوشاً في ذاكرتي؛ لقد كان يوم سباق الأربعمئة متر. كان الطقس رائعاً، وأخذنا الحافلة إلى الملعب للتحمية والاستعداد للمباراة. كان المكان يخطف الأبصار: فالملعب

صرح مدهش مُحاط بالتمثيل القديمة للرياضيين الرومان. كان دعم الحضور قوياً والجو في الملعب مثيراً. في ذلك المساء كانت المباراة تُجرى في الملعب الأولمبي. حين منح التشجيع زخماً للسباق، كنت بشكل خاص متوتراً للغاية. كنت معتاداً على التنافس في جنوب أفريقيا مع رياضيين كانوا جميعاً مألوفين بالنسبة إليّ، والذين كنت أعرف ماذا أتوقع منهم. أما هنا من ناحية أخرى فقد كان التحدي بالنسبة إليّ جديداً بكليته بل ويبعث على الرهبة. كان عليّ أن أجبر نفسي على التركيز على منح أفضل ما لدي والاستفادة القصوى من المناسبة.

بدأت المباراة بطيئاً تماماً ولكن وكما هو أسلوبى ازدادت سرعة، وفي الأمتار المئة الأخيرة انتقلت من المركز السابع لأهني السباق وأنا في المركز الثاني. لقد كنت متهاكاً ولكنني كنت متهللاً، فقد حصلت على الدرجة الثانية في وقت هو: 46.90، ولكن الأهم من ذلك أنها كانت المرة الأولى التي يتنافس فيها رياضي بقدرات خاصة إلى جانب رياضيين سليمي الجسم على المستوى الدولي.



السباحة عكس التيار

ما إن أنجزت المشاركة في المهرجان الذهبي - غولدن غالاً - حتى غادرت في اليوم التالي إلى إنكلترا حيث كنت قد تلقيت دعوة للتنافس في سباق الجائزة الأولى البريطانية لنورفيتش يونيون في شيفيلد الذي يشكل منافسة من المستوى الرفيع ذاته. هنا تقريباً توقّف نقاط التشابه. فالجوّ في إنكلترا كان مختلفاً جداً. وبدا أن الصحافة كانت تقود الخلاف الذي أحاط بمشاركتي بإتاحتها مساحة مبالغاً فيها من الأعمدة للتلميحات غير المدعومة وكذلك للنقاشات التقنية حول الميزات المزعومة التي تمثلها ساقاي الاصطناعيتان. كانوا يلتمسون مشاركة عامّة بإطلاق استفتاء للرأي حول حالتي. لقد كان الأمر صعباً جداً بالنسبة إليّ وجعلني أشعر بعدم الطمأنينة.

كان المعلقون الرياضيون يختارون المؤتمر الصحفي قبل المباراة ليمطروني بأسئلتهم الخاصة بقواعد جمعية (IAAF). لقد فعلت كل ما في وسعي كي أحافظ على هدوئي وأكرر نقطة أعتبرها ذات أهمية عظيمة، وهي أنني لو كنت أعتقد أن ساقَيّ التشيتاس خاصتي توفران أي نوع من الميزة التقنية على حساب بقية اللاعبين لكنت انسحبت من المنافسة من تلقاء نفسي. لقد تُننت عالياً مبادئ المنافسة العادلة والروح الرياضية الجيدة فوق كل شيء. وبالطبع، لم يكن لأفكاري (وإجاباتي

عن أسئلتهم حول هذا الموضوع) سوى الشيء القليل من التأثير في فيالتي الصحافة التي استمرت بالطرق عليّ.

باعتراف الجميع كانت روحي المعنوية جدّ منخفضة، لكن القشة التي قصمت ظهر البعير كانت حين استيقظت في صباح الخامس عشر من تموز، وهو يوم سباق الأربعمئة متر، وكان المطر ينهمر بغزارة. ما من لاعب رياضي يرغب بالتنافس في مثل هذه الظروف، لكن المصيبة كانت عليّ أشدّ وقعاً لأن صفيحي التشيتاس لا تقدّمان أداءً استثنائياً علي مسار مبتل.

مع اقتراب موعد المباراة لم يكن هناك أي مؤشر إلى تحسن في الطقس، وهكذا وجدت نفسي بمواجهة قرار صعب. تُرى هل كان من الأفضل أن أنسحب من المباراة وأضيع فرصة التنافس (فرصة تبدو الآن أكثر قيمة مع الأخذ في الاعتبار ما أثارته دعوتي إلى الحدث من احتجاجات وادعاءات) أو أدخل السباق مهما كانت الظروف الجوية سيئة، مغامراً بإنجاز محبط، مما سيؤدي إلى موقف محرج للغاية أمام الصحافة، وربما يحطم هدفي في التأهل للألعاب الأولمبية؟ لم أحن هامتي قبل هذا الموقف تجاه أيّ تحدّ، ولكنني في هذه المناسبة وللمرة الأولى فكرت في الأمر على نحو جاد.

كنت متوتراً إلى درجة لا تصدّق، وكافحت للتركيز في أثناء تمارين التحمية. استمر انهمار المطر من دون توقف وكان المسار المطاطي زلقاً، ومما زاد الأمر سوءاً أنني كنت أجري إلى جانب جيرمي وارنر الذي لا يُقهر، والذي كان في ذلك الوقت أسرع رجل في العالم في سباقات الأربعمئة متر.

بصيص النور الوحيد الذي لاح في الأفق كان الترحاب الحار الذي منحني إياه جمهور شيفيلد حين أعلن اسمي عبر مكبر الصوت.

بدأ السباق وخلال الأمتار المئة الأولى اتضح لي أنني أفقد سرعتي. حاولت بقدر ما أستطيع ومنحت كل ما لدي للسباق، ولم أستطع أن أحرز أي سرعة فاجتزت خط النهاية وأنا الأخير. ومما زاد الطين بلة أنني أبعدت من المباراة لأنني تركت مساري. وكما قلت، ما من رياضي يحب الجري تحت المطر؛ إنه أمر بغیض، كما أنك بالكاد تستطيع أن ترى أين أنت ذاهب والمطر في عينيك. ولكن مع ساقتي البديلتين كان عندي مشكلة إضافية، يعود أصلها إلى واقع أن مفصلي ركبي أكثر بعداً عن الأرض. وكلما كان مفصل ركبتك أبعد، كلما كان هناك تشويش أكبر في إدراكك للنقطة التي تلمس فيها قدمك الأرض. كي تملك انطلاقة جيدة، وتوازناً جيداً، وسيطرة على الأمور، فمن الضروري جداً أن تتدرب في ظروف جوية مماثلة حتى تصبح معتاداً على التجربة.

حين أنظر إلى الوراثة أخذاً الظروف المناخية في الحسبان أجد أن مباراتي لم تكن سيئة في ذلك اليوم. فوقتي (47.65) كان أقرب نسبياً إلى أفضل إنجاز لي من أفضل إنجاز لأي واحد من المنافسين الآخرين، كما أنني وبشكل خاص كنت قد تضررت من المطر. هكذا، وبالرغم من أنني كنت الأخير والنتيجة كانت بالكاد تستحق الإطراء بالنسبة إليّ، إلا أنني كنت أتنافس ضد الأفضل والأسرع في العالم. إنني فخور بأدائي في شيفيلد وأعتبره نصراً شخصياً، لأنني أتنافس أولاً وقبل كل شيء مع نفسي وأيضاً لأن التنافس بحد ذاته في ذلك المساء كان تحدياً هائلاً.

مرة أخرى وفي المؤتمر الصحفي بعد المباراة واجهني الصحفيون حول أدائي. كان التوجه العام لأسئلتهم يدور حول سبب إصراري على أنني قادر على التنافس ضد رياضيين سليمي الجسم. ولم يجب

السماح لي بالتنافس في ألعاب رياضية لسليمي الجسم في الوقت الذي صُممت فيه الألعاب البارالمبية بدقة لأشخاص مثلي؟ مراراً وتكراراً أوضحت بأنه ليس لديّ اعتراض على التنافس في الألعاب البارالمبية ولكنني إذا كانت موهبتي وقدرتي تسمحان لي بالجري ضمن أوقات التأهيل المحددة مسبقاً للأحداث الرياضية المتنوعة لسليمي الجسم، فإنني لا أرى أي سبب في عدم السماح لي بالمشاركة في كليهما.

كانت الناحية الإيجابية للخلاف هي أنني تلقيت دعماً من أغلبية الرياضيين والعديد من المنظمين وراء الأحداث الكبرى في التقويم الرياضي الدولي، وهذا كان موقفاً عالي القيمة جداً بالنسبة إليّ. أعتقد أنهم قدروا بأنّ الفترات التأهيلية التي أنجزتها تتطلب تضحيةً مهمةً وجهداً وتدريباً تساوي الجهد والتدريب والتضحية التي يقوم بها سليمو الجسم من الرياضيين، وأني لهذا السبب لست "رياضياً معوقاً" إنما فقط رياضي.

لقد كان بيترو مانيا، الرياضي الذي يقنّدى به، وحامل الرقم العالمي (19.72) في سباق المئتي متر لأكثر من عشرين عاماً متتالياً، صريحاً جداً في دعمه لي. لقد ذكر علناً أنه بحسب رأيه المحترف (ومع خبرته على المسار) فإنّ الخلاف حول صفاتحي ليس سوى سخف، إذ يستحيل أن ننكر أن الركض من دون إدراك القدمين على المسار - سواء أكان المسار جافاً أو رطباً - سيكون له تأثير تقني ونفسي يستتبع نتائج يتأثر أحدها بالآخر. وزيادة على ذلك يتدرب الرياضيون من مستواه عدة ساعات يومياً تحضيراً للمباريات المهمة. فيما أنا بالمقابل مضطر إلى تقليل الوقت الذي أمضيه في التدريب لأن الاحتكاك المطول والشديد لجذعيّ مع ساقّي الاصطناعيتين يؤدي غالباً إلى نشوء تقرّحات وجروح. وعلى حدّ تعبير بيترو، إن المرء إذا أخذ هذين

الجانبيين من التحضير البدني والذهني في الحسبان، مع التدريب الشديد والتضحية الضرورية من جانبي كي أحقق هذا المستوى من الأداء التنافسي، عندها فقط يمكن للمرء أن يوصي بسي كواحد من اللاعبين الرياضيين الصافين. كثيراً ما تمنيت لو أن جمعية (IAAF) كانت ترى في مشاركتي المثال نفسه.

يوجد بطبيعة الحال بعض الرياضيين الذين يرون الأمور بشكل مختلف. مارلون شيرلي، اللاعب الرياضي البارالمبي المشهور عالمياً والفائز الأول في سباق المئة متر (فقد قطع 100 متر في 11.08)، علّق منذ بضع سنوات أنه بوصفه ذا ساق مبتورة واحدة (مصنف رسمياً على أنه T44) لا يعتقد أنّ من العدل أن يتنافس مع رياضيّ ذي بتر ثنائي للساقين (T43) مثلي. لقد تناول الموضوع من واقع أنني في أثناء ألعاب أثينا البارالمبية تنافست مع لاعبين من تصنيف T44، غير أنني كما سبق وذكرت كنت قد اتخذت هذا القرار لأنه لم يتوفر رياضيون من تصنيف T43 تتقارب فترات تأهيلهم بأي شكل مع فترات تأهيلي.

عدت إلى جنوب أفريقيا وسباق شيفيلد يثقل كاهلي، لقد كنت أشعر أنني مشيط الهمة. جو إنكلترا، المشحون بالسلبية والجدال في الصحافة البريطانية (والذي ساعده وحرصه المهار المطر البريطاني الشديد)، قد ألقى على إنجازي غلالة قائمة، وجعلني يحدّ أشك في إمكانية حصولي على فرصة ثانية في الوقت الذي بدت فيه جمعية (IAAF) بشكل مطلق تعمل على إصدار حكم ضد ساقّي الاصطناعيتين. وحتى أجهزة الإعلام جنوب الأفريقية، التي لطالما كانت من أشد الداعمين لي وفاءً قد بدأت تشكك في موهبتي الرياضية الفعلية.

انتهى الموسم الرياضي ولكنني كنت أعلم أن الخريف القادم سيحلب معه أكبر التحديات قاطبة. فقد قررت جمعية (IAAF) اتخاذ الخطوات اللازمة لوضع الخلاف على بساط البحث؛ وحددت اختبارات لشهر تشرين الثاني 2007 للإثبات بشكل قطعي ما إذا كانت ساقاي البديلتان تشكلان ميزة تقنية على الرياضيين الآخرين أم لا. كان مقرراً إجراء الاختبارات بدعم من جامعة الرياضة في كولونيا، وبإشراف أستاذ علم الميكانيكا الحيوية المشهور الدكتور بول بروغمان بالاشتراك مع السيد إيو لوكاتيلي المسؤول لدى جمعية (IAAF) عن القضايا التقنية جميعها.

في واقع الحال كان تحقيق جمعية (IAAF) جارياً سلفاً؛ فقد قررت جمعية (IAAF) الاستفادة إلى أبعد الحدود من مشاركتي في المهرجان الذهبي (غولدن غال) في روما لتنصيب آلات تصوير بدقة عالية على طول المسار ليؤمنوا لأنفسهم الفيلم التقني اللازم للتحليل، والتي تحوّلهم معرفة ما إذا كانت ساقاي الاصطناعيتان تمنحاني ميزة تقنية على حساب بقية منافسي. كنت قد أطلعت أنه توجد آلات تصوير إضافية تركز على السباق، ولكن أحداً لم يعلمني أن الغرض من آلات التصوير هذه هو توثيق كل لحظة من مباراتي وبالتالي قياس خطوتي الواسعة. إنما بعد وقت طويل شاع الخبر في أن السيد لوكاتيلي كان يعتبر ساقاي التشيتاس خاصتي مسؤولتين بوسيلة اصطناعية عن تأمين خطوة أوسع من الآخرين.

بعد دراسة تسجيلات المباراة بالتفصيل توصل تقنيو جامعة روما إلى النتيجة التالية: إن خطوتي الواسعة لم تكن أطول من خطوات اللاعبين الآخرين. ولاحظوا بالفعل أن أدائي بالموازنة مع اللاعبين الآخرين يوفر طوراً جديداً من التطور.

فبخلاف أكثر الرياضيين سليمي الجسم، الذين يصلون إلى قمة أدائهم ضمن الأمتار السبعين الأولى، أبدأ المباراة ببطء ثم أزداد سرعةً، حتى بلوغ الذروة بين علامات 200 و300 متر. هذه الخلاصة دفعت السيد لوكاتيلي لأن يطلب إخضاعني لمزيد من الاختبارات.

حدد إجراء الاختبارات في ألمانيا في 12 و13 تشرين الثاني من العام 2007، وتُنظمت بطريقة يتم فيها تحليل أدائي وقياسه إلى جانب خمسة رياضيين آخرين سليمي الجسم كانوا قد شاركوا بسباق الأربعمئة متر بفترات تأهيل مماثلة لفترات تأهيلي.

شعرت بالثقة بأن هذه الاختبارات ستثبت بشكل حاسم وضعي، وتظهر بشكل نهائي بأن ساقّي البدلتين لا تؤمنان لي بأي طريقة ميزة تقنية على اللاعبين الآخرين. أملت أنني عن طريق إقناع نقادي سأكون أيضاً قادراً على تمهيد طريقي لتحقيق حلمي والمشاركة في الألعاب الأولمبية.

أجريت الاختبارات نفسها في جو أشبه بالسيرك. كنت في مركز حشد مكون من أطباء وعلماء وتقنيين، ومن مصورين كانوا يصورون السيرورة من أجل جمعية (IAAF)؛ كان الضغط عليّ شديداً. دعمي الوحيد كان بيت، مدير أعمالني، الذي عمل ما في وسعه لرفع روحي المعنوية، لكنها كانت خيرة تحمل التحدي لكلينا، وزاد في تعقيدها جرح في ركبتي كنت أعنتني به في ذلك الوقت.

كانت تلك هي المرة الأولى التي كرست فيها جمعية (IAAF) (أو أي شخص آخر لذلك الغرض) الوقت والمصادر للبحث في مسألة علم الأطراف الاصطناعية. فاستخدام الأطراف الاصطناعية كان غير منظم أبداً، وبخاصة عندما يوازن مع التعليمات التي تُقدّم حول تصميم ونوع أحذية الجري التي يمكن للمرء استخدامها في أثناء السباق.

السبب في ذلك هو أنه إلى أن تم قبولي للتنافس في المستوى الأعلى من الأحداث الرياضية التنافسية كانت الأطراف البديلة مستخدمة فقط في الأحداث البارالمبية. في واقع الحال هناك حيز صغير جداً للتمييز بين الأطراف الاصطناعية الموجودة في السوق اليوم (إذ إنها تصمّم أساساً بحسب وزن الشخص الذي سيضعها). ويعود السبب في هذا جزئياً إلى وجود عدد قليل من الشركات التي تنتج الأطراف الاصطناعية (وهما الشركتان الألمانيتان إيزاتيك وأوتوبوك وشركة أوسور الإيسلندية التي تزودني بها منذ العام 2004). أشعر بالقوة لمعرفتي أن هذا الأمر ليس ببساطة نقاشاً حول رياضي وحول حلمي في التنافس في الألعاب الأولمبية، ولكنه بالأحرى حول مبدأ التمييز؛ فبالنسبة إليّ، إن أي رياضي يعرض موهبة وتفانياً كافيين يجب أن يتاح له أخذ مكانه للتنافس ضد الأفضل في العالم.

ما إن انتهت الاختبارات حتى غادرت ألمانيا وأنا أشعر بالاسترخاء والتفاؤل. لسوء الحظ لم يدم هذا الشعور طويلاً. فقد أرسلت لي جمعية (IAAF) في كانون الأول من العام 2007 تقريرها الرسمي الذي ذكر أن ساقَيّ البديلتين في الحقيقة تمنحاني في سباق مسافة 400 متر ميزة غير عادلة على اللاعبين الآخرين. وبلغ هذا حدّ الأمر بالمنع، مما يجعل تنافسي مستحيلًا ضد الرياضيين سليمي الجسم على المستوى العالمي. لخص بروغمان حجسته بالشرح الآتي، بحسب رأيه تمتح الأطراف البديلة ذات النسيج الكاربوني "ميزة ميكانيكية" حين يحلل المرء الطاقة العائدة إلى الرياضي بسبب الصفيحة (أي قاعدة الأطراف الاصطناعية). وازن العلماء بين الحركة في ساقَيّ الاصطناعيتين وما يحدث للكاحل البشري لدى الوصول إلى الدرجة القصوى من السرعة في العدو واستنتجوا أنني في هذه اللحظة أكسب ميزة غير عادلة على اللاعبين الرياضيين الآخرين.

لقد وضع بروغمان في تقريره تجميعاً للموضوع وفق ما يلي:

- أننا قادر على الجري بسرعة الرياضيين سليمي الجسم نفسها بينما أصرف 25 بالمئة طاقة أقل لأنني عندما أصل السرعة موضع التساؤل، فإن الجري على الساقين البديلتين يتطلّب صرف طاقة أقل من الجري على الأطراف الطبيعية.

- إن ميكانيكيات الجري بساقين اصطناعيتين مختلفة كلياً عن الجري الذي نراه بين الرياضيين سليمي الجسم، حيث تعود الطاقة من المسار إلى اللاعب الرياضي. فالطاقة التي عادت إلى الطرف الاصطناعي هي أعلى بثلاث مرات، لأنها تملك قدرأً من المرونة يزيد بنسبة 90 بالمئة، على خلاف القدم الطبيعية التي من غير المحتمل أن تتجاوز مرونتها 60 بالمئة.

- أي طرف بديل يفقد حوالي 9.3 بالمئة من الطاقة، على خلاف الكاحل الإنساني الذي يفقد أكثر من 41.4 بالمئة، وعليه، وتعبير آخر، فإن الميزة الحركية التي تؤمنها الساق الاصطناعية يمكن أن تُقدّر بأكثر من 30 بالمئة.

بصورة أساسية، تسمح لي ساقاي الاصطناعيتان بالجري بسرعة الرياضيين الآخرين نفسها في حين أصرف من الطاقة أقل منهم بكثير، ولهذا السبب، فإنني أكون في أفضل حالاتي في آخر سباق الأربعمئة متر وليس في أوله.

كانت الخبرة مؤلة بالنسبة إليّ على العديد من الجهات. بدايةً أصبت بخيبة الأمل بسبب الطريقة التي تعاملت فيها جمعية (IAAF) مع نشر التقرير، إذ وقبل أن يتم إعلامي بشكل رسمي كان التقرير قد سُرب، ونشرته صحيفة دي فيلت (Die Welt) في 19 كانون الأول.

وهكذا، فقد علمت من الصحف بملخصة التقرير ونجر إبعادي عن منافسات سليمي الجسم الدولية الذي ترتب عنه.

لقد كانت الضربة مدمرة. في البداية تعلقت بالأمل بأنه كان سبقاً صحفياً منقولاً بشكل غير صحيح، ولكن تأكدت الحقيقة حين سلمتني جمعية (IAAF) أخيراً نسختي من التقرير بعد أيام قليلة. كنت مذهولاً في خاتمة التقرير.

كما يقول المثل الدارج، تأتي المصائب مجتمعة. ففي كانون الأول من العام 2007 انفصلنا أنا وفيكي بشكل دائم.

بعد انفصالنا الأول عدنا في حزيران من العام 2007 إلى بعضنا، ولكن الإبحار في علاقتنا لم يكن سهلاً أبداً. تدرت وسافرت بشكل مكثف، فيما كانت هي تعيش في كيب تاون. كنا نحاول أن نرى بعضنا في نهاية الأسبوع بشكل متناوب، وكان الواحد منا يطير ليمضي الوقت مع الآخر. بالإضافة إلى ذلك لم أقتنع بمجموعتها الجديدة من أصدقاء الجامعة، وقد سبب هذا مباحكات كثيرة بيننا. إن صعوبة الحفاظ على العلاقة، مع بعد المسافة، ألفت بعبء ثقيل علينا، لذا قررنا في بداية كانون الأول أن نعود أنا وفيكي إلى بريتوريا. كنا نمضي أيام العطلات مع إخوتي، ولكن في عشية رأس السنة الجديدة دار بيننا شجار فظيع وجه الضربة القاضية لعلاقتنا.

لم يتكلم الواحد منا إلى الآخر منذ ذلك الحين، لكنني أهتم بها وأحترمها بعمق. أتمنى لو كانت الأمور على غير ما هي عليه، لأنها إنسانة مدهشة لطالما حلمت يوماً أن أتقاسم حياتي معها.



خط النهاية

بدأ العام 2008 بداية قاسية. انفصالي عن فيكي تركني خاوياً عاطفياً، ومن ثم أعطيتي جمعية (IAAF) مدة حتى العاشر من كانون الثاني للتعليق على تقرير بروغمان.

ناقشت وبيت النتائج مع خبراء من أنحاء العالم كافة، وبخاصة مع الأستاذ غايلي من جامعة ميامي. بدا أن الجميع موافقون من حيث المبدأ على النتائج الإحصائية التي ظهرت من بحث الأستاذ بروغمان، إنما ليس على تفسيراته لهذه المعطيات وعلى استخدامه لها. إضافة إلى ذلك اعتقدنا أنه من المهم ألا نفقد الشجاعة، وبالتالي أن نستأنف ضد قرار أخذ في الحسبان فقط ميزات الساقين الاصطناعيتين بينما لم يأخذ في الاعتبار أضرارها. لم يطعن الأستاذ غايلي بشرعية بيانات بروغمان، ولكنه طالب كي تكون مفيدة وتعكس حقاً أدائي بضرورة تحليل كل مرحلة من سباق الأربعمئة متر بالأسلوب نفسه.

إن أي تحليل يتفحص المرحلة النهائية وحسب للمباراة، كان بالتعريف محدوداً، وبالتالي غير صحيح حين طُبّق على السباق ككل. بالإضافة إلى ذلك فقد قدّم الحجة على أنه من المهم جداً أخذ النتائج الإيجابية والسلبية للأطراف البديلة في الاعتبار. فهناك من جهة دراسة الميزات التي تقدمها ساقا التشيتاس الاصطناعيتان لحركة الكاحل والقدم

الطبيعيين، ولكن من جهة أخرى على المرء أن يأخذ أيضاً في الاعتبار الفوارق في نموي البدني ككل. وعلاوة على ذلك فقد منعتي جمعية (IAAF) من التنافس في سباق من أي مسافة - 100 متر، 200 متر أو 400 متر - بينما ذكر تقرير بروغمان أن الميزة التقنية المفترضة على الرياضيين الآخرين يكون ظهورها فقط في آخر مئتي متر من سباق الأربعمئة متر.

ألح عليّ الأستاذ غاييلي وغيره من المؤيدين أن أطلب على الأقل من جمعية (IAAF) السماح لي بفترة من الوقت أحاول فيها جعل طرفيّ البديلين ينضويان ضمن معاييرها، كما هي الحال عادة في أثناء عملية الموافقة على أحذية الرياضيين سليمي الجسم.

خلال هذه العملية كلها ذكر الأستاذ بروغمان بشكل واضح أنّ ملخصه لم يكن مُهتماً أبداً بالمضامين الاجتماعية أو السياسية أو الأخلاقية لتنافسي، وإنما مهمته هي تفحص الميزات العلمية والتقنية (ولكن ليس حتى الأضرار) التي تمنحها الأطراف الاصطناعية، وهذا بالإضافة إلى أن بحثه كان دائماً مقتصرًا على المرحلة الأخيرة من المباراة. كان موقف جمعية (IAAF) أكثر ميلاً إلى الغموض: فقد سجل عن السيد لوكاتيلي المدير التقني الرسمي لجمعية (IAAF) شرحه أن تحفظات الجمعية كانت مسخّرة نحو مستقبل تلك الرياضة، وللتأكد من أنه لن يأتي يوم من الأيام يكون فيه أشخاص بأجنحة يتنافسون على المسار.

يشير تقرير الأستاذ بروغمان إلى أن التحرك - الديناميكية الفعلية للحركة في أثناء العدو - يختلف لدى وضع هذا النمط من الساق الاصطناعية تماماً عما يتطلبه من الجسم البشري العادي في أثناء الركض، الديناميكية مختلفة كلياً. وأكثر من ذلك، ومن وجهة نظرٍ

تقنية بحثة، وضمن سياق العدو السريع، فإن هذا النوع المعين من الطرف الاصطناعي يحمل ميزة بالتأكيد في مستوى مفصل الكاحل؛ إنما من المحتمل أن الأطراف الاصطناعية التي هي موضع البحث تجلب الأضرار بنفس الوقت لمفاصل الركبة والورك معاً.

في 10 كانون الثاني من العام 2008 أجبنا أنه في رأينا أن الاختبارات المؤداة في كولونيا كانت متحيزة ومحدودة في رؤيتها، وأنها لذلك رفضنا استنتاجهم.

في 11 كانون الثاني من العام 2008 كتب رئيس جمعية (IAAF) السيد لامين دياك إلى كل عضو في المجلس التنفيذي لجمعية (IAAF) مكرراً أن الاختبارات أثبتت أطروحة "الميزة التقنية". وكان على الأعضاء بعد ذلك أن يصوتوا لصالح النتيجة التي تقرر منع استخدام أطراف اصطناعية مثل طرقي. ولسوء الحظ، فإن هذه النتيجة كانت تعني بأنني كنت فوراً ورسمياً ممنوعاً من المشاركة في المنافسات الرياضية لسليمي الجسم.

لم تترك جمعية (IAAF) أي باب مفتوح للحوار ولم يكن لدينا خيار سوى أن نستأنف ضد قرارهم أمام محكمة التحكيم في الرياضة (CAS) في لوزان في سويسرا، والطلب إلى المحكمة إعادة النظر في حالتي. لقد كان وقتاً صعباً بالنسبة إليّ وأحسست بهبوط في معنوياتي، ولكنني قررت أن أركّز على المحافظة على موقعي الإيجابي، وأن أفعل كل ما في وسعي لأهيب نفسي لجولة ثانية من الاختبارات.

كنا نحتاج إلى فريق من العلماء المؤثرين والموثوقين، يمكن أن يكون قادراً على إدارة الاختبارات ويفرض أيضاً الاحترام عالمياً. ومن خلال صديق لي استطعت أن أتصل بالأستاذ هوخ هير في معهد

ماساشوسيتيس للتقانة (MIT) المشهور عالمياً، والأستاذ روجر كرام من جامعة كولورادو؛ وقد انضم إليهما الأستاذ وياند من جامعة رايس في هيوستن.

كما اتصلت بي كذلك شركة المحاماة الدولية ديوي ولوبوف المشهورة بسمعة رائعة في العالم الرياضي لقد تعاطفت بقوة مع حالتي إلى درجة أن المحامين العاملين فيها عرضوا عليّ مساعدتهم بمحض إرادتهم. كنت مندهشاً بأي سرعة استطاعوا ترتيب كل المعلومات الضرورية وذات العلاقة بحالتي.

كانت الخطوة التالية ترتيب موعد يناسب العلماء جميعهم وفرقهم الخاصة للاجتماع والعمل معاً. وبما أنني كنت قد وافقت على حضور حفل الجوائز المنظم لجوائز لاوريوس في سانت بيترسبورغ في روسيا في الثامن عشر من شباط، فقد اتفقنا على السفر جواً مباشرة من روسيا إلى هيوستن لبدء عشرة أيام من الاختبارات المكثفة.

من وجهة نظري كانت هيوستن تجربة مختلفة كلياً. بادئ ذي بدء، وقبل كل اختبار، كان الفريق يأخذ وقته ليوضح لي بالضبط ما كان عليّ وشك أن يحدث ولأي هدف. لقد كان إلى حد ما أشبه ببرنامج مكثف في الهندسة الحيوية، وقد تعلمت منه الكثير. كان العالم المكثف بالاختبار قد قرر البدء بأن نكرر بالضبط اختبارات الأستاذ بروغمان وفريقه ذاتها كي يكون لدينا شيء نقارن معه.

بالإضافة إلى ذلك، اقترحوا أن أخضع لاختبارات (VO2)، والتي تعتبر أفضل مؤشر للتحمل القلبي التنفسي، والذي يتوقع الأداء الرياضي بدرجة موثوقة، عارضاً الكمية القصوى المقاسة من استهلاك الأوكسيجين من قبل العضلات في السرعة القصوى بأقل جهد) وأن

تم تلك الاختبارات على زنار المشي وليس على دراجة كي تكون الشروط المقلدة أقرب إلى ظروف السباق الذي تستخدم فيه الأقدام. وسرعان ما كان واضحاً أن نتائج هيوستن ستختلف عن تلك المسجلة في كولونيا.

لقد كان في هذا راحة ضخمة لي، إذ اعتمدت جمعية (IAAF) بشدة على نتائج هذا الاختبار الخاص لعرض ميزتي التقنية. وعلى مدى عشرة أيام شاركت في العديد من الاختبارات المختلفة؛ أحياناً اعتقدت بأنني كنت أكرّر التجربة نفسها بشكل لا نهائي، أما في واقع الأمر، فقد كانت هناك اختلافات طفيفة ولكن مهمة، سواء في التركيز أو في ما هو مطلوب مني. لقد درّس تزايد سرعتي بالتفصيل، وقيس استهلاك الأوكسيجين في سرعات مختلفة وفي نقاط مختلفة خلال السباق، كذلك الأداء وقدرة الاحتمال لكل من ساقّي الاصطناعيتين. كنت أتعلم الكثير خلال هذه الفترة، وغادرت هيوستن وأنا أشعر أنني موفور العزم وأكثر ثقة بأن هذه العملية ستثبت أن اختبارات كولونيا كانت غير حاسمة. لقد تم استثناء الكثير من المتغيرات من الاختبارات كي تعتبر القاعدة للقرار الذي سيغير وجه الرياضة العالمية إلى الأبد وسيؤدي إلى استبعادي من منافسات سليمي الجسم. كنت أشعر أن عملية اختبارات هيوستن ونتائجها ستضع الأمور في نصابها بالنسبة إليّ، ولكن الأهم من ذلك هو أنها ستشكل أيضاً خطوة تقدمية في معايير التنافس الرياضي عالمياً.

لم يكن قد مضى على عودتي إلى جنوب أفريقيا وقت طويل حين طُلب إليّ أن أرجع إلى هيوستن للخضوع لامتحانات أخرى، لقد التزمت واستقللت الطائرة فوراً عائداً إلى هيوستن لتمضية ثمانية أيام أخرى من الاختبارات المركزة.

في أواخر آذار وصلنا إلى النتيجة النهائية وهي أنه لا يمكن اعتبار أن ساقَيّ البدلتين بأي شكل من الأشكال تقدمان لي ميزة تقنية على الرياضيين الآخرين. عندما يأخذ المرء في الاعتبار العمل الشاق والاضطراب العاطفي - المناقشات والتخمينات بمحملها - يجد أنه كان من المرضي جداً أن نصبح قادرين أخيراً على إنكار الانتقادات وعلى عرض إنجازاتي كلها على أنها من صناعي وحدي، وأنها تعتمد على التزامي وتدريبتي وموهبتي وليس على ساقَيّ الاصطناعيتين.

ما زالت المعركة، بالرغم من أنني خلّفت الاختبارات ورائي، لم تُربح حتى الآن. كان لا بد لنا من أن ننتظر حتى الثلاثين من نيسان، اليوم الذي ستجتمع فيه محكمة التحكيم الرياضي في جلسة استُدعيّت إليها الأطراف المعنية جميعها.

كنت خلال تلك الفترة الصعبة أتصرف كالجنود، منصرفاً بتركيز إلى جدولتي التدريسي، وبمساعدة صغيرة من منزلي الجديد وحضور جديد وخاص في حياتي.

في بداية العام 2008، بدأت بالخروج مع جينا. فتاة مبهجة، طيبة المعشر، وجميلة، ذات شعر أشقر وعينين زرقاوين تشعان حيوية. كانت ابنة ثمانية عشر عاماً. كنا صادقين مع بعضنا منذ البداية وشرحت لها أنني مازلت غير مستعد كلياً لعلاقة جدية أخرى. كنت على مستوى ما أفتقد فيكي بشدة، وبالرغم من أن علاقتنا قد انتهت كان لا بد من أن أقبل الألم الذي أشعر به. كان رأيي أن من المهم ألاّ تتعجل الأشياء، وأشعر بأننا نستمتع بعلاقة جميلة لأننا أخذنا الوقت الكافي للتعرف إلى بعضنا ولأن علاقتنا كانت تتطور انطلاقاً من صداقة متينة وذات معنى.

أسهم منزلي الجديد في سيلفروودس، التي هي إحدى أجمل أجزاء برينوريا وأكثرها حضرة، إسهاماً كبيراً في مساعدتي للشعور بالانتران أكثر وبالتأصل في حياتي.

بعد وفاة أُمِّي، وانقضاء سني المدرسة الداخلية وجدت بأنني كنت تواقاً إلى مكان أمتلكه ويمكنني أن أجعل منه منزلي. في الحقيقة إن المنزل أكبر بكثير من احتياجاتي، ولكنني أردته أن يكون مكاناً أستطيع أن أتطور فيه، ومكاناً أرحب فيه بأسرتي وأصدقائي جميعاً ليمضوا الوقت معي أو ليقموا بشكل عابر فقط. فكل من يعرفني يعلم تماماً أن لا ضرورة للدعوة الرسمية لزيارتي. كان لديّ نجار صنع لي منضدة خشبية رائعة وكبيرة جداً سببت لي الكثير من البهجة والاعتزاز بها، إذ لا يمكنني التفكير في شيء أفضل من جمع الناس المقربين إليّ كلهم مرة أخرى حول مائدة كبيرة تزخر بطعام شهّي. ما زلت قريباً جداً من أخي كارل وقد أثيرت أختي إيمي بأنني أرحب بقدمها لتقيم معي. المنزل مفتوح ويشغل طابقاً واحداً، وهو ذو أبواب عريضة بحيث يستطيع كل فرد أن يشعر بالراحة فيه، شباناً وشيوخاً وحتى أولئك من أصدقائي الذين يستعملون الكراسي المتحركة، وأن يتنقلوا بحرية. يتوفر في البيت عدد من شاشات التلفاز بحيث نستطيع أن نمضي الوقت معاً ونشاهد الرياضة مع نظام صوتي رائع وفي جوّ شواء اللحم اللذيذ، لذا، يمكن أن نستمتع بقدر ما نستطيع بتواجدنا معاً وأن نبتهج بحياتنا. لم أنس أوقات شبابي العصبية وأشعر اليوم أنني محظوظ جداً لأنني أستطيع أن أنشارك مع أحبائي في حظي السعيد.

في يوم ما أود أن أشتري سيارة فيراري أو لامبورغيني. فأنا أعشق السيارات الرياضية، لكن هذا متروك للمستقبل. فالمنزل هو شيء

يمكن أن تتشارك فيه مع الذين قُتِمَ بهم جميعاً، بينما السيارة هي أكثر للإرضاء الشخصي.

حين حان وقت السفر إلى لوزان، مكان لقاء اللجنة الأولمبية الدولية ومحكمة التحكيم في مقر الرياضة الرئيس، كنت أشعر بخليط مندفع من الترقب العصبي والفرع. لحسن الحظ كان بيت إلى جانبي خلال العملية كلها.

استمرت الجلسات على مدى يومين، وبالرغم من أنني وجدت أنها سارت بسرعة حادة، إلا أنني كنت فزعاً بشكل مطلق.

عمل الرئيس مارتن هنتر بجانب القضاة، ومن بينهم ديفيد ريفكين وجان - فيليب روشا، الذين كانوا يشكلون الفريق القضائي. حددوا المسار بتذكير المعنيين جميعاً بوضوح بأنني لم أكن متهماً بارتكاب أي خطأ، وأن استدعاءهم هو فقط لتفحص القضية بموضوعية، ودراسة المعطيات والنتائج في الاختبارين المختلفين، للوصول إلى قرار محص بعناية وصحيح عملياً حول ما إذا كانت ساقاي الاصطناعيتان يمكن في الواقع اعتبارهما ميزة تقنية من أي نوع. وبما أن القضاة لم يكن لديهم خبير تقني معين من قبل المحكمة طلبوا من الخبراء الحاضرين جميعاً، الألمان والأميركيين، أن يجتمعوا معاً وأن يأخذوا الوقت اللازم ليشرحوا لهم السمات التقنية للمسألة المعلقة بالإضافة إلى السبب الجوهرى وراءها، والعمليات التي تلت الاختبارات المختلفة، وبطبيعة الحال النتائج التي تم التوصل إليها. لقد كان من غير المؤلف رؤية الجميع يحضرون معاً ويناقشون ويشرحون المسألة بشكل ذكي ومحايدين من دون المناخ العدواني الذي غالباً ما يتولد بحضور فريقين متعارضين وشخص ما في قفص الاتهام زُعم أنه قد ارتكب جنحة ما.

لقد وجدت التجربة مؤثرة جداً. لم أكن في الواقع حتى ذلك الحين قد فهمت الطبيعة الثورية لبرنامج الاختبار. لقد كانت حقاً المرة الأولى التي يعتبر فيها رياضي مبتور الساقين قادراً على التنافس في مثل هذا المستوى العالي، لذا، لم يكن هناك من معطيات أو عوامل ثابتة لتتم مقارنة المعلومات التي يتم جمعها خلال اختبراتي معها. وإضافة إلى ذلك، فبما أنه قد تمَّ اختبرائي مرتين في فترتين مركبتين من الوقت وقرابتين من بعضهما، فقد قدمت الاختبارات ما يقرب إلى لقطة فوتوغرافية عن قدرتي في تلك اللحظة من الوقت من أي نتيجة حاسمة. أما الرياضي الآخر الوحيد ثنائي البتر مثلي والذي ينافس في مستوى مماثل فهو طالب جامعي أميركي، وهو على كل الأحوال الرجل الحديدي والبطل في الألعاب الثلاثية، والذي يتخصص في سباحة المسافات البعيدة، وركوب الدراجات والجري. وبالكاد يمكن موازنة أساليبنا الرياضية.

لم تكن لهجة جلسات المحكمة جدية باستمرار. ففي مرحلة ما وجد رئيس المحكمة نفسه يتساءل متعجباً بصوت عالٍ كيف يستطيع المرء أن يحلل حركة الكنغر من منظور الهندسة الحيوية. ومباشرة بعد أن تفوّه بالفكرة، قفز الأستاذ روجر كرام من هيوستن خارج مقعده وهو يشرح بحماسة أنه كان في الواقع خبيراً في حركة الكناغر حتى إنه كان يختبر حركة هذه الحيوانات بجعلها تقفز على السير المتحرك.

كنت أجد أن الجلسات تتطلب أيضاً جهداً نفسياً عالياً. لم تكن هذه فرصتي الأخيرة فقط، ولكنها معركتي التي كانت قد بدأت كمسعى شخصي تولد عن الإحباط الشخصي، وتطوّرت إلى معركة رمزية ضد التمييز. لقد شعرت بأنني قد جئت لأمثل كل من هم مثلي.

سواء اليوم أو في المستقبل، أولئك الذين يمارسون الرياضة أو أي شيء آخر، والذين يريدون أن يعاملوا على قدم المساواة مع غيرهم.

يساركني محامو قضيتي وجهة نظري. في الواقع كانوا هم من اتصلوا بي في البداية وقدموا لي خدماتهم مجاناً بعد أن صدموا بالتناقض المتأصل في موقف جمعية (IAAF) من قضيتي. تملك جمعية (IAAF) نظاماً سلوكياً أخلاقياً تبنته إلى جانب نظام السلوك الدولي للتعامل مع الأشخاص المعوقين، والذي يحترم ويحمي حقاً راسخاً وهو "الحق في الحالة السوية" للجميع.

تابع المحامون (المستقرون بين الولايات المتحدة الأمريكية، وسويسرا، وإيطاليا وجنوب أفريقيا) قضيتي، ومباشرة رأوا فيها فرصة لسبر أغوار هذه المشكلة على أمل تقديم إسهام، عساه يكون مهماً، في تطوير الحقوق المدنية على نطاق أكثر اتساعاً.

كنت في إيطاليا عندما اتخذت محكمة التحكيم في الرياضة قرارها. أعتقد أن هناك علاقة خاصة تربطني بإيطاليا، وأنا أكن لها حباً خاصاً لأنني استمتعت باثنين من أعذب انتصاراتي خلال وجودي هناك. في مهرجان الذهبى (غولدن غاللا)، تلك اللحظة الفريدة التي تركت بصمتها في حياتي، ثم طبعاً، كان اليوم الذي عرفت فيه قرار محكمة التحكيم في الرياضة (CAS). وتجعل الحقيقة التي أظهرها عمي ليو في أن أصول أسرنا تعود إلى بيستويا، من هذه الرابطة أقوى ببساطة.

كنت في ميلانو في السادس عشر من أيار من العام 2008، أنتظر في أحد مكاتب شركتي القانونية. وكنا قد أعلمنا بأنه من المتوقع أن تنطق المحكمة بحكمها في ذلك الصباح، لذا، تجمّعنا لتتقاسم التوتر ويمنح الواحد منا الآخر بعض الدعم المعنوي. كنت متلهفاً بشكل لا

يمكن التعبير عنه، أشعر بالغثيان من تعب الأعصاب، حزناً ومستنزفاً. وكى أقتل الوقت قررت الذهاب للتبضع مع بعض الأصدقاء، لكنني لم أكن قادراً على التركيز أو اتخاذ قرار حول أي شيء، ولذلك عدنا إلى الفندق. كنا نقف وندردش في ردهة الفندق عندما لاحظت أن ماركو، أحد المحامين الإيطاليين، يتعد عن المجموعة. لم أتوقف كثيراً عند الأمر حينها، ولكنني رأيت بعدها مقبلاً نحوي وهو يقرأ بانتباه ورقة كان يحملها في يده. حين اقترب مني أكثر بدا أنه قد تملكته العاطفة، ولكنني كنت حتى ذلك الحين غير متأكد إن كان ذلك انتشاءً، لأن القرار أتخذ لصالحنا، أو اكتئاباً لأنه كان عليه أن يشرح لي أن القرار أتخذ ضدي.

في الظروف العادية كان ماركو شاباً رابط الجأش، وكان الاهتمام الذي يبذله للقراءة مهدوء، واضحاً للجميع.

في النهاية التفت ماركو نحوي شارحاً لي أن المحكمة قد قررت بناء على المعطيات التي تم جمعها بأنه لا يمكن لها أن تستنتج أن ساقّي البديلتين (والحكم يشير إلى ساقّي البديلتين الفعليتين مقابل الأطراف الاصطناعية عموماً) كانتا تقدمان لي ميزة تقنية على الرياضيين الآخرين، لأنه لم يكن بالإمكان في أي وقت من الأوقات الإثبات بشكل حاسم أن ميزات التنافس بالأطراف الاصطناعية هي أكبر شأنًا من الأضرار الهائلة للتنافس بهذه الأطراف ذاتها. حكمت المحكمة أن قرار منعي كان باطلاً وملغياً وأنني كنت حراً في التنافس من جديد. كانت لحظة سريرية بالنسبة إليّ، واستلزمت أهمية القرار مني برهة لأستوعبها. لقد كان هذا القرار كل ما تمنيته، ومع ذلك فقد أخذني الآن بواقعيته بعيداً. كنا جميعاً نقفز إلى الأعلى والأسفل، ونصيح من البهجة وتبادل العناق.

كان المؤتمر الصحفي قد حُدد عند الساعة الثالثة عصراً، ولما كانت محكمة التحكيم في الرياضة (CAS) قد شددت على طلبها في مقاطعة الصحافة حتى ذلك الوقت، كان لزاماً علينا أن نكون حذرين جداً لإبقاء الأخبار أمراً خاصاً. لم يكن هذا بالسهولة التي يبدو عليها: فقد وصلنا إلى المؤتمر الصحفي أبكر بنصف ساعة. واستلزم مني الأمر كل ما لدي من قدرة على ضبط النفس كي لا أظهر فجأة ابتسامة عريضة وأبدأ بسرد النكات في المنزل الممتلئ بالصحفيين. عند الساعة الثالثة تماماً، نهضت وارتدت ملابس رياضية: "قررت محكمة التحكيم في الرياضة التالي..."، ثم ابتسمت ابتسامة عريضة. كان التصفيق رائعاً حيث انفجرت الغرفة بالهتافات وأصوات نقر آلات التصوير ووميضها. كانت لحظة فريدة غامرة ولا يمكن نسيانها. كنت منتشياً وفخوراً بشدة.

مما يثير العجب أنني في الوقت الذي أدت فيه هاتفني الخليوي بعد المؤتمر وجدت 160 رسالة تهنئة واتصالات كثيرة لم يتم الرد عليها. أخيراً، هدأت الخلافات والثروة الماكرة. وأصدرت جمعية (IAAF) بياناً إلى الصحافة عبر فيه لامين ديك عن بهجته بنتيجة عملية الاستئناف، وكان هذا كله مرضياً جداً لي؛ وكما قلت في بياني أمام محكمة التحكيم في الرياضة (CAS)، إن حياتي لم تكن دائماً سهلة، ولكنني كنت محظوظاً جداً بامتلاك علاقة طبيعية وسليمة مع سليمي الجسم، سواء في عالم الرياضة أو في أي مكان آخر، وما من وقت شعرت فيه أنني "معوق" أو مختلف بالطريقة التي جعلوني أشعر بها حين حُرمت من المشاركة في المنافسات.

الآن أصبحت حراً في تفكيري بشأن مستقبلي. لقد آن الأوان للعودة إلى ما هو الأهم بالنسبة إليّ: الجري. حلمي هو أن أكون أسرع

رجل في جنوب أفريقيا، ومع الوقت، وبكثير من العمل الشاق، ربما حتى الرجل الأسرع في العالم مع ساقين أو من دونهما. في رأيي، إن واحداً من أفضل ما خلفه قرار محكمة التحكيم في الرياضة هو أنه نصّ بوضوح على أن أزمان التأهيل الممتازة والإنجازات العديدة للرياضيين مثلي، أي متبوري الساقين الذين يركضون بأطراف اصطناعية، يملكون كلياً إنجازاتهم التي استندت إلى الاستحقاق والموهبة وليس كما كان يلمح إلى نوعية أطرافهم الاصطناعية. وعلاوة على ذلك لا يقدم أولئك الرياضيون موهبة مدهشة وحسب، ولكن أيضاً إصراراً، بينما يتوجب على كل منهم أن يتغلب على الأضرار التي يتعرض لها من الركض بطرفين بديلين في المقام الأول. لقد أعلنت الهيئة القرار الأكثر صلاحية في تنظيم العالم الرياضي في العالم: ليس هناك هيئة أخرى لاستئناف حكمها، وهذا الواقع، مع محتوى القرار سيُرسى القواعد لأي حالات مستقبلية. وأتمنى له أن يلهم الناس - الرياضيون من الرجال والنساء، والمعوقون وسليمو الجسم - أن يهبوا أنفسهم وأن يعملوا بجد والثقة تملأهم بأنهم يستطيعون أن ينالوا الجوائز العليا وأن يعتقدوا بقوة الرياضة.

أحب دوماً أن أقتبس كلمات بيترو مانييا: "تشبه الرياضة مصعداً، لا بد من السماح لكل شخص بركوبه". يمتلكني شعور عميق أن الرياضة يجب أن تكون قوة توحيد في المجتمع، تجمع العناصر كلها، الألوان، الديانات والجنسين، وأن هذا الأمر يمكن أن يكون ذا معنى إذا امتد ليشمل توحيد سليمي الجسم والمعوقين معاً. إن نشأتي في جنوب أفريقيا ذات الماضي القريب المتسم بالتمييز العنصري والعنف تجعلني عاجزاً عن التأكيد بما فيه الكفاية على أهمية

هذا الأمر في نظري. وأن أعرف أن نضالي قد يساعد أناساً آخرين،
اليوم أو خلال السنوات القادمة، فإن هذا يصنع الفرق الكبير بالنسبة
إليّ.



بكين

مباشرة بعد أن انتهت دراما محكمة التحكيم في الرياضة بخاتمة سعيدة اقتربت الألعاب البارالمبية في بكين.

في الحقيقة، كان العمل من أجل بكين قد بدأ منذ عدة أشهر بسبب التدريب الإضافي الذي قمت به في أثناء بذلي الجهود لمحاولة التأهل للألعاب الأولمبية. ومعنى هذا بالنسبة إليّ هو أنني كنت أكثر من جاهز لسباق الأربعمئة متر، لكن سباقات المئة والمئتي متر كانت قصة مختلفة جداً. لذا حالما عدت بعد محاولات تأهيلي للألعاب الأولمبية أضحت سباقات المئة متر في بؤرة تركيزي الوحيد للشهرين التاليين.

إن سباق المئة متر يتطلب مني الجهد الأكبر في الألعاب البارالمبية. فهناك فعلاً بعض المنافسين الأقوياء جداً، وكنت أعلم إن لم تكن انطلاقتي عالية، فإن هدفي في الحصول على ثلاث ميداليات ذهبية ستذروه الرياح. كان على أمبي مدرسي، بالإضافة إلى سياستيان وفينسنت وهما مكيفا جسمي ومدرباه في الصالة الرياضية، أن يجعلوني قوياً ومرناً.

إن تكليفهم بمهمة إنجاز هذا خلال شهرين هو مطلب كبير. لكنني كنت محظوظاً، لأن كل شخص ممن هم حولي كان يقدر الوقت والتضحيات التي أحتاج إليها لترتيب جهوزيتي للمسرح العالمي.

جاء اليوم لأنطلق للألعاب وكانت هناك توقعات ضخمة عليّ أن أرضيها. اجتمع الفريق في مطار جوهانسبيرغ، وللمرة الأولى منذ أشهر عدت لارتداء الزي الرسمي. بعد سبع وعشرين ساعة من الطيران والتنقلات وصلنا القرية البارالمبية. كانت الساعة الحادية عشرة ليلاً وكان الجو رطباً إلى حدٍ قريب من الإزعاج. أتذكر أن كل شخص، بمن فيهم أنا، كان محبباً ومتعباً ومستعداً للذهاب إلى السرير أكثر من أي شيء آخر، لكن ما إن وضعت رأسي على الوسادة حتى بدأ فكري يحوّل في التحديات القادمة. في صباح اليوم التالي استيقظت في غرفتي البيضاء الصغيرة وألقيت نظرة من النافذة على القرية. شريك في الغرفة، آرنو فوريه، عداء أوتر، وهو صديق عظيم وأحد أفضل نماذج الرجال المحترمين الذين أعرفهم، كان يحرق أيضاً خارج بيتنا الجديد المؤقت؛ ولم يتمكن أحد منا أن يتذكر شيئاً من القرية من الليلة السابقة. لم يمض وقت طويل حتى اغتسلنا ولبسنا وأصبحنا جاهزين لإشباع رغبات عقلينا الفضوليين، لذا فقد باشرنا باستكشاف القرية.

كانت رائعة فوق العادة! غرفة الطعام الشاسعة وكذلك الحدائق كانت مذهشة. كما كان هناك اختيار ضخم من ألعاب فيديو الأركاد، ونقاط الإنترنت الواقعة حول القرية لتمنع أعصاب اللاعبين من أن تنهش في ثقتهم.

الشيء الوحيد الذي استمتعت به بشكل خاص هو أنهم كانوا يقدمون عند الساعة الثامنة من كل ليلة عرضاً ثقافياً على مدرج صغير والذي قدّم طريقة موفقة جداً للتخلص من التوتر. لقد أخذت أصغر التفاصيل في الحسبان في المواقع كافة بما في ذلك المركز الديني في القرية، حيث، وعليّ أن أعترف أنني وجدت صعوبة في تمالك نفسي من

الضحك وأنا أستمع إلى رجل الدين الصيني وهو يحاول أن يؤدي الطقوس الدينية باللغة الإنكليزية يوم الأحد.

في اليوم السابق لمراسم الافتتاح قررت أوسور - الشركة الأبرز في علم الأطراف الاصطناعية الرياضية - أن تستضيف مؤتمراً صحفياً للاعبين الرياضيين. وتضمن هذا بعضاً من خيرة العدائين في الألعاب البارالمبية، الأفضل على الإطلاق. فركبت سيارة أجرة ووصلت إلى مكان الحدث في وسط بكين متأخراً بعض الشيء. أظني لم أكن جاهزاً لما سيحدث بعد ذلك ولكنه أعطاني دفعة مركزة من الأدرينالين. سرت مباشرة إلى غرفة انتظار ذات خمسة أمتار بخمسة أمتار، كانت مملوءة بأقوى المنافسين لي، وأحدهم هو مارلون شيرلي. لم أكن قد رأيته منذ أربعة أعوام خلت، حيث انسحب من المنافسات كلها حين كنت أدخل فيها. لقد فاز عليّ في أثينا في سباق المئة متر، وهو السباق الوحيد الذي جرينا فيه ضد بعضنا، ولكنني منذ ذلك الوقت كسرت رقم سجله العالمي في كل عام.

إن وصف الموقف بأنه مريب لا يكاد يقارب حتى ما كان عليه حقيقة. يتضمن الجري حياً ذهنية أكثر من أي رياضة أخرى. بالطبع، تصرف الجميع كما لو كانوا في أفضل حالات الاسترخاء، ولكن ما إن بدأ منسق البرنامج ينادينا كان بإمكانك أن تلاحظ مشاعر التوتر التي شعر بها كل منا وهو يتجه نحو الباب. جلسنا في أماكننا في مقدمة غرفة متخمة بصحفيي الرياضة الدوليين والشركات الإعلامية. وغني عن القول الإشارة إلى أن الوقت لم يستغرق طويلاً حتى قدم كل لاعب لعبته متوقفاً بمجريات السباق.

حين حان دور مارلون أعلن بعباء أن سباق المئة متر سيكون له، لأنه لم يخسر قط سباقاً في ثمانية أعوام. حرصت على كنتم ابتساماً

عريضة. لقد عرفت أن مارلون قد أعطاني لتوه الحافز لأريه أن المسار ملك لي.

الألعاب البدنية قاسية. جاء دوري أخيراً وسألني الصحافة في ما كنت أفكر، فأجبت: "سيكون سباق المئة متر أحد أهم السباقات في الألعاب. تأكدوا من أنكم لن تفوتوه عليكم!". وقررت إبقاء طاقتي للمسار؛ كنت أعرف أنني هناك سأعبر عن رأيي بصورة أكثر من واضحة!

إن سباق المئة متر هو الأكثر إجهاداً عصبياً بين السباقات الثلاثة كلها. فأنا أقوم به فقط مرات قليلة كل عام وأميل إلى التركيز على سباق الأربعمئة متر. مما كان يعني أنني إذا استطعت الفوز في سباق المئة متر فإنني سأكون أكثر ثقة بكثير في سباقات المئتي متر والأربعمئة متر. إن انطلاقتي في بداية السباق وفي الأمتار الثلاثين الأولى منه ليست بجودة أولئك المتسابقين أحاديي البتر. لذا، كنت أعلم أن أدائي يجب أن يكون في القمة لأحظى بالفوز في سباق المئة متر.

سارت المباراة شبه النهائية بشكل جيد. فقد أنجزت السباق في 11.16 ثانية وهذا ما وضعني في المركز الأول، وهو الوضع الصحيح، إذ إن الرياضيين يجرون عادة بسرعة أبطأ بحوالي 0.3 إلى 0.4 عما يفعلون في المسابقة النهائية. استيقظت في صباح المباراة الكبرى ونظرت خارج الغرفة. كان الجو غائماً وعاصفاً، وأكد تقرير الطقس مخاوفي من أمطار بعد الظهر. كانت مباراتي عند الساعة الرابعة عصراً. وحين وصلت إلى المسار كان المطر ينهمر غزيراً. لقد شعرت بمعنوياتي مزعزعة، لكن أمبي كلمني وأعادني إلى الصواب. لدى رؤيتي مارلون وبرايان فراشر يقفان خارج مسار التحمية تملكتني الرغبة بالركض كما لم أفعل من ذي قبل يوماً.

اجتمعنا قبل السباق بساعة في غرفة النداءات الأخيرة حيث على اللاعبين أن يستمعوا لحوالي خمس وأربعين دقيقة قبل السباق. ومرة أخرى، كان التوتر عالياً بدرجة غير مريحة. في هذه المرحلة، فإنك لا ترغب في أن تكون في أي مكان آخر، ولكن في اللحظة ذاتها تمنى لو كنت محتفياً في كوخ خشبي تستمع إلى موسيقى كلاسيكية أمام أزيز نار المدفأة؛ وبالرغم من ذلك، يبدو كل شخص مسترخياً بدرجة عالية. إنني شخصياً أظن أن كل واحد من العدائين يمكن أن يفوز بالأوسكار لمهاراته التمثيلية في غرفة الانتظار تلك.

حين خرجنا إلى المسار ببساطة اشتد هذا الشعور، ولكنني حين أذفت تلك اللحظة، كنت فعلياً أعلي كالمرجل وكنت أريد أن أمزق المسار. لم يكن مارلون وبرايان هما همي الوحيد على أي حال. إذ تماماً بالكيفية التي انبثقت بها دونما توقع من أحد في العام 2004، فهذه المرة كان هناك رياضي آخر يجب الانتباه منه: جيروم سينغلتون، عداء موهوب وأحد الرياضيين الأكثر تواضعاً واستحقاقاً الذين تنافست معهم. لقد أدهش جيروم كل شخص في السباق شبه النهائي حين جاء في المرتبة الثانية بعدي، وفي الواقع بوقت سريع جداً. وبكل أمانة أقول إنه لم يكن بحاجة إلى ممارسة الألعاب الذهنية: كان مخيفاً أكثر من أي لاعب آخر لأنه أثبت نفسه حيث كان ذلك مهماً في اليوم السابق.

وقفنا في الخط، مارلون إلى يساري وجيروم إلى يميني. كنت أعلم أن الاثنين سيظهران خارج خط البداية، وأن علي أن أبقى معهما وألا أدعهما يتخطيانني بأكثر من مترين. لقد حان الوقت، واستقر كل منا أمام منصته في حين أخذ المطر يقطر من حاجبي ويجري في فمي بينما اشتد تنفسي. وضعت أصابعي بحزم على مسار موندو الرطب تماماً

وراء الخط الأبيض، وسط حشد من المشاهدين مؤلف من ثمانين ألف شخص وأكثر قد حبسوا أنفاسهم.

في هذه اللحظة عرفت أنه عليّ أن أجعل المرحلة الدافعة (الأمطار الثلاثة الأولى) أقصر لأن المسار كان رطباً وكنت قلقاً بشأن الانزلاق حتى حوالى علامة العشرين متراً، أي بمعنى أن أستقيم شاقولياً بسرعة أكبر صاحباً الأرض من تحتي بدلاً من دفعها. لقد دعوت الله تعالى، ثم أغمضت عيني وانتظرت.

في هذه اللحظة، تصبح الأمطار المئة الأكثر سريريةً بين التجارب. يبدو كل شيء أنه يتباطأ حتى يضحى بإمكانك أن تشعر بنبضات قلبك، بالرغم من ذلك تكون النسبة التي تستطيع فيها معالجة أفكارك خيالية. وعندما تعبر خط النهاية، فإن استجماعك لما حدث في الثواني العشر أو الإحدى عشرة الأخيرة هو أقرب إلى أن يكون في أدنى مستوى ممكن. وحين بتنا في وضع الاستعداد، استنشقت الهواء وانتظرت... انتظرت... وانت...

فجأة صوت عالٍ: بانغ.

الفكرة الأولى، حركة الذراع والساق المتناوبتين، الفكرة الثانية تعيين المكان الملائم للخطوة الواسعة الكاملة الأولى. مجموعة الأفكار التالية كانت إما غير مرتبة أو أنني ببساطة لم أكن أفكر البتة. وفي الوقت الذي وصلت فيه إلى علامة العشرة أمتار، كنت تقريباً عمودياً، وحين كنت أراقب الحقل الهارب بعيداً مني كان عليّ أن أقوم بتحليل جدي لموقفي الحالي والحركتي. عند علامة الثلاثين متراً كنت متخلفاً عن جيروم بحوالى خمسة أمتار، والذي كان بالمجموع متقدماً بحوالى المترين. لقد قام بواحدة من أسرع البدايات الأكثر استثنائية التي كنت قد شاهدتها منذ وقت طويل. كان لديّ بعض العمل الجدي لأقوم به،

ولا أستطيع أن أحرركم كيف تجلت الأمطار الأربعون التالية. ولكن كما رأيت لاحقاً في إعادة تصوير الفيديو، لقد وصلت إلى أقصى سرعة حققتها أبداً في حياتي.

كانت هناك خطوة واحدة واسعة تحديداً قرب علامة التسعين متراً هي التي أعطتني بضعة سنتيمترات إضافية كنت أحتاج إليها في النهاية. لقد أطحت بجيروم على خط النهاية وما كنت متأكداً من الذي فاز.

سار جيروم خلفي ونظرنا إلى لوحة التوقيت، وعندما جاء اسمي أولاً صاح متعجباً، "من أي بلد جاء؟". لقد أنجز مباراة مذهشة وحين أستدرت لأهني منافسي رأيت مارلون ممدداً على الخط. كان يبدو وكأنه يتألم، وسمعت في ما بعد أنه قد لوى كاحله.

ذهبت إليه ومددت يدي لمساعدته؛ إما الألم أو الأنا لديه قد تغلبت في نفسه فرفض مساعدتي. لقد كانت هذه على أي حال لحظتي، وأعتقد أن الثلاثة الذين جاؤوا في المقدمة قد استحقوا النتيجة بالكامل. لقد كنت منتشياً، صعدت إلى أمبي ذي الأعوام الستين والذي كان يتحرك مثل شاب مراهق. لقد فوت عليّ الميدالية الذهبية في سباق المئة متر في أثينا ولكنني حرصت على أن تكون هذه المرة لي. في التعليق على المباراة كانت الصيحة حين عبرت الخط هي: "أنت ما كنت لتراهن بدولار على فوزه عند علامة الخمسين متراً، ولكنك كنت لتجعلها مليوناً عند خط النهاية!". ذلك كان جيداً بما فيه الكفاية بالنسبة إليّ...

دخول سباقات المئتي والأربعمئة متر كان أسهل بكثير. ازدادت ثقفتي بنفسني وكنت قد بدأت بالتأقلم. إن مسابقة المئتي متر هي حدثي المفضل حيث لا تزال السرعة هي عامل الحسم، لكن البداية

أقل أثراً في المباراة ككل. حين حلّ يوم مسابقة المئتي متر لم أكن بحالة طيبة. كنت أشعر بانقباض في صدري وكان رأسي ثقيلاً بعض الشيء. وبالرغم من هذا، كنت فعلاً متحمساً للانطلاق في هذا السباق. كان هدفي من الألعاب هو الحصول على ثلاث ميداليات ذهبية وتحقيق رقم عالمي واحد على الأقل. لم أحصل على الرقم العالمي في سباق المئة متر لكنني أدركت أنني كنت محظوظاً لفوزي بالسباق؛ لكن سباق المئتي متر، وهو سبقي التالي، كان جاهزاً لمن يريد انتزاعه. الملعب كاد أن يبلغ سعته القصوى وقد احتوى تسعين ألف شخص. كانت الهتافات عظيمة، فأخذت أهرز رأسي بينما مشيت نحو المسار.

نظر آرنو إليّ وقال: "أعرف ما تشعر به، أليس الأمر مدهشاً؟". الهالة، العاطفة، الحماسة المطلقة، كلها كانت ستجعل من هذا السباق سباقاً كبيراً.

انطلقت في المباراة بكل ما أملك من قوة، محققاً بدايةً أفضل بكثير من بداية سباق المئة متر، وأخيراً كنت أجري على مسار جاف في البيردس نست. كان هذا المسار من النوع السريع FAST، ويتميز بسطح قاس نسبياً، وقد فرش بالموندو بطريقة عززت مطاطيته في سبيل تحقيق فترات سريعة بشكل استثنائي.

لم يكن سباق المئتي متر ليعطيني الوقت الكافي الذي أحتاج إليه لتسجيل رقم عالمي، بالرغم من ذلك كنت سعيداً به. الوقوف على المنصة والاستماع إلى النشيد الوطني الخاص بجنوب أفريقيا للمرة الثانية سمح لي بلحظة تأمل في العام الذي مر. كان تأملاً يحمل في طياته الذكريات العذبة والمرة معاً. ولكن أن ينتهي العام على مثل هذه النعمة العالية كان أكثر مما أنا قادر على توقعه.

في الوقت الذي حان فيه موعد سباق الأربعمئة متر أُصبت بعدوى صدرية شديدة ووجدت نفسي متعباً ومُحبطاً. لقد بدأت بالتنافس في اليوم الثاني للألعاب، والآن بعد مضي أسبوعين تقريباً، كنت جاهزاً لأن أحتم تلك التجربة بنتائج عظيمة. إن البقاء في حالة تركيز لهذه المدة الطويلة يستحق فعلاً بحمد ذاته وساماً!

استيقظت في ذلك الصباح لأجد أنها كانت تمطر ثانية. وحين نزلت لتناول الفطور ناولني أمبي ورقة إخطار أن سبقي قد غُيّر موعده ليصبح الحدث الرياضي الأخير في الألعاب. الحدث الختامي في البيردس نيس: النقطة الحاسمة النهائية. بقيت حالتي الجسدية على غير ما يرام حتى آخر النهار، وفي الوقت الذي توجهت فيه إلى المسار كنت في مزاج سيئ جداً. وصلت إلى مسار التحمية تحت رذاذ المطر، وجلست تحت المدرجات أراقب حوالي ساعة من الزمن، لاحقاً بين الحين والآخر شكل رياضي بعد أن انخفضت القدرة على الرؤية إلى حوالي الثلاثين متراً. كنت أفكر في الألعاب، في العمل الذي ينتظرنني، في عضلاتي المتعبة، ولكن أكثر ما فكرت فيه هو هدفي من الألعاب: الحصول على ثلاث ميداليات ذهبية، وتحقيق رقم عالمي واحد. لقد كان سباق الأربعمئة متر هو نقطة القوة لديّ، فهل أستطيع إنجازه؟ لم يكن أمامي من خيار: ما دمت قادراً، يجب أن أقوم به. لم أكن أريد أن يأتي يوم أنظر فيه إلى الوراء وأندم لأنني لم أستخدم موهبتي إلى أبعد الحدود.

خرجت نحو ذلك المسار في المطر. أدّيت ما عليّ. لقد جريت في سباق صعب والأهم من أي شيء آخر فقد أدّيت سباقاً ذكياً. حين عبرت الخط شعرت وكأنني سأموت ولكنني رفعت نظري إلى اللوحة. وهناك، إلى جانب اسمي كان الحرفان اللذان أتوق إليهما: WR رقم عالمي جديد.

كنت لوهلة قصيرة في حالة من النشوة الصافية؛ كنت أشعر براحة مع أدائي. وفي المرة الثالثة لي على المنصة شعرت بأني وحيد جداً. كانت المنصة ضخمة، وأدركت أنني لم أحقق كل هذا بمفردي. مدربسي، مكيف جسمي، أخصائي العلاج الطبيعي، أخصائي العظام، أخصائي الحميات، الطبيب، المدير، الأسرة والأصدقاء، كل هؤلاء يستحقون أن يقفوا معي هنا. لقد كرّسوا هم أيضاً الوقت والجهد وقدموا التضحيات والالتزامات كي يضعوني وسط هذه المنصة. كنت أتمنى لو استطاعوا التواجد إلى جانبي في هذه اللحظة من المجد.

إنهم دائماً في أفكاري، ولن أنسى دورهم يوماً في مساعدتي لتحقيق أهدافي العليا. حاولت دائماً في حياتي أن أخرج بأفضل ما يمكن من المواقف، وأن أنظر إلى الجوانب الإيجابية وأن أسير قدماً مع ابتسامة. أشعر أنه قدرتي أن أولد كما أنا، وأن خيراتي وقصة حياتي كمتبور الطرفين قد صنعنا مني ما أنا عليه اليوم. لكن هذه رحلة لم أتولاها بمفردي.

أفكر أكثر ما أفكر في أمي. أعرف أنها ترقبني، وبالرغم من أنها ماتت قبل أن أبدأ بالعدو ولم تكن حية لتشهد نجاحي أو ميدالياتي الذهبية، إلا أنني أعلم أنها فخورة جداً بي. إنني أعتبر نفسي محظوظاً لأنه كان عندي مثل هذه الأم المتميزة والرائعة وأنا تشاركنا الأوقات السعيدة التي كانت لنا معاً؛ مجرد التفكير في أمي يمنحني شجاعة وسكينة في ذهني.

في الحقيقة هناك شيء بعينه خاص جداً بالنسبة إليّ. إنه التسجيل الذي أدته أمي خلال مقابلة إذاعية عني، والذي بُث في العام 1999 عندما كنت في الرابعة عشرة من عمري. كثيراً جداً ما أستمع إليه

لدرجة أستطيع معها أن أتلوه كاملاً عن ظهر قلب، وهو لم يُخفق يوماً في منحي ذلك الشعور الغامض بالدفء وفي جعلي أبتسم.

"أوسكار طفل حركي ورياضي، وهو ذو طبيعة سوية بهيجة ويملك حسّ النكتة. يحب المزاح مع من حوله والضحك، وهو إيجابي دائماً. أرجو أن تمنح كلماتي هذه الأمل والتشجيع لأولئك المستمعين الذين خبروا هم أيضاً الصدمة والمعاناة".

إنها لأمنيبي أن تحيا رسالة الأمل التي بثتها أمي وتستمر من خلال هذا الكتاب.

الرسالة الأولى:

كارل بيستوريوس

إلى أوسكار بيستوريوس،

بريتوريا، 4 أيار 2008

الغالي أوسكار،

لقد تشاركنا كأسرة في الأمور جميعها دائماً. وكان والدانا القدوة الحسنة لنا، ولطالما أشركتنا في نقاشاتهما، مهما كانت حساسة. وكنا، أنا وأنت، المؤتمنين على أسرار بعضنا بقدر ما يمكن أن يتذكر كل منا. بالرغم من ذلك، هناك أشياء قليلة احتفظت بها لنفسى، ربما بسبب حسّ أخرق من التواضع الذي يشوبه الحذر، ربما لأن الوقت حتى الآن لم يكن مناسباً، أو لأنه ببساطة لم يتوفر الوقت الكافي لأقولها بشكل مناسب. دعني أخبرك عن نفسك من البداية، كما تسعفني الذاكرة. أرجو أن تجلب رسالتي الابتسامة إلى قلبك وأن تكون مفيدة لسيرتك.

عندما أجلس متكناً وأشاهد الأفلام العائلية التي أخرجتها في ذاكرتي أدخر صورة خاصة لأمنا وهي تحملك بين ذراعيها. أظن أنك كنت في الشهر التاسع من عمرك وأنا في الثالثة من عمري. إنني لأرى أنفسنا بوضوح. في الواقع أعتقد أن هذه هي أول ذكرى واعية لي عن حياتنا.

أتذكر أمنا في الطابق الأول من منزلنا في جوهانسبرغ وهي تخبرني عن قديمك. لقد كنت صغيراً جداً ولكنها كانت المرة الأولى التي فهمت فيها أن هناك

شيئاً مختلفاً يتعلق بك. جعلتني أمنا ألامس قدميك بلطف بطبيعة الحال، ثم أداعب أصابع القدمين. كنت لا تزال تملك القدمين والأصابع حينها. أدركتُ آنذاك أن قدميك لا تشبهان قدمي، وأنتك كنت متميزاً. كل شيء يتعلق بك كان متميزاً بالنسبة إليّ.

مدهش كم هي شفافة هذه الذاكرة بالنسبة إلي. أمي وأنا نجلس جنباً إلى جنب على الأريكة وهي تحملك بين ذراعيها. وبلطف ترفع الغطاء الذي يغطيك وتدعني أمسك قدميك الصغيرتين. لا أذكر أنها شرحت بكثير من التفاصيل ما الذي يجعل قدميك مختلفتين، ولا أنك ستخضع لعملية، ولكن بأسلوبها غير الملحوظ جعلتني أدرك حضورك وحاجاتك. حقيقة لم أفكر أبداً في هذه الذكرى حتى الآن، ولكنني أظن أنني أستطيع القول بأنها كانت اللحظة الأولى التي أصبحت فيها جزءاً من حياتي، بينما كنت حتى ذلك الحين موجوداً فقط في المحيط.

أتذكر أمنا وهي تصعد الدرج وأنت بين ذراعيها بينما كنت أنا بجانبها أتمسك بها إلى يمينها. كنت صغيراً حتى إنه كان لا بد لي من أن أتسلق كل درجة تسلقاً لا أن أرتقيها سيراً! أظن أنه كان لديها أصدقاء مدعوون لشرب الشاي.

أترى يا صاحبي، ذكري الأولى عن نفسي هي أيضاً أولى ذكرياتي عنك.

ذكري التالية هي زوجا الأطراف الاصطناعية الأولان الخاصان بك. كانا عبارة عن أنبوبين من نسيج كاربوني مع قاعدة مستوية لكن من دون القدمين، يفترض بهما أن يخففاً من الضغط المتصاعد على العظام. كنت تتعلم المشي بهذين الساقين البديلتين. أستطيع أن أتذكر أمي وهي تضع لك الساقين الاصطناعيتين في غرفة نومك في بيتنا في جوهانسبيرغ ثم تأتي بك إلى الممر حيث كان عليك التدرج على المشي على طول الممر. كم يدهشني صفاء ذكري هذه عنك، من المفروض أن يكون عمرك آنذاك عاماً ونصف وعمرى أربعة أعوام تقريباً. بعد فترة سُمح لي بمساعدتك على وضع الساقين البديلتين. أذكر أمي وهي تشرح لي بعناية كيف أربطهما وأين يجب تحريك شريط Velcro لإزالة الضغط عن الجذع، أو القسم المتبقي من ساقك. كانت تربيني أين يتر العظم وكيف شكل نوعاً من عدم الاستواء. أذكر أنني كنت فضولياً جداً حول عدم الاستواء ذلك، وراعياً في فهم سبب تشكله في ذلك المكان وكيف حدث.

هذه ذكريات جميلة لي، مملوءة بالحنان والعاطفة لأنها تعرض كيف كنا عليه ونحن صغيران. في بداية الأمر أثرتنا جلبية حولك، ولكن سرعان ما فقدت موقعك في تلك المنزلة الخاصة، وكان لزاماً عليك أن تتواصل مع الأشياء بنفسك. كان ذلك تقريباً حين بدأنا باللعب فعلاً معاً.

في البداية كنا مغرّمين بالدراجة. كنت أربط دراجتك البلاستيكية البيضاء والزرقاء بحبل إلى حزامي ثم أسحبك حول المكان ورائي، إلى أعلى الدرج وإلى الأسفل، إلى الداخل وإلى الخارج، غير عابئين بشيء. كنت أعلمك كل ما أعرفه! كنا أيضاً نستمتع باللعب بالسيارات، وكثيراً ما كنت على استعداد لتبديل سيارتك الأحدث بعرباتي الأكثر تهشماً، كل ما كان عليّ فعله هو أن أقنعك بأن مركباتي كانت فعلاً أفضل وهو ما كان سهلاً جداً حيث كنت تعتقد اعتقاداً مطلقاً بكل ما كنت أتفوه به مهما كان! هكذا كانت تلك الأيام. من باب المزاح وحسب! إذ إنك قد اكتشفت حيلي بسرعة كبيرة.

أيها الغالي، أعتقد أنك رجل تثق بشكل مدهش بالآخرين، ولم تتخّ قط نحو إصدار الأحكام عليهم، إنك ذو عقل منفتح وذكي في مقاربتك لتفهم المواقف التي ألفتك الحياة في خضمها. أحياناً أظن أن الناس يسيئون تفسير تصرفاتك لأنك لطيف، ودود ومهذب بإفراط مع الجميع. لكن بالطبع، كما تعلم أنت وكما أعلم أنا، هناك فرق شاسع بين أن تتشارك خبراتك ومعلوماتك مع الآخرين وبين أن تفتح قلبك في الواقع لشخص ما وتسمح له أن يضحى جزءاً من دائرة صغيرة جداً من الأفراد الذين تثق بهم بشكل مطلق. فعلاً، أظن أنك شخص أكثر انغلاقاً بكثير من الانطباع الأولي الذي تعطيه للناس.

أعتقد أنه تراث طفولتنا. كان والدنا يعلمنا دائماً أن نكون ودودين مع الجميع إنما ألا نحتاج أحداً، وأن نكون قويين ومكتفيين ذاتياً. كان إنساناً يحب فرض الانضباط بكل معنى الكلمة، ولطالما أخبرنا أنه لا يهتم بالأولاد الذين أفسدهم الدلال أو الأولاد الوقحين. يمكن لنا أن نكون مشاغبين أو مؤذنين ولكن كنا حذرين على الدوام ألا نتخطى العلامة، علامة الشرف لكلينا كي نشير إعجاب والدنا.

في الواقع لقد كان والدنا صارماً جداً معنا، وبخاصة قبل الطلاق. وحين كنا نأسي باكيين إليه وباحثين عن الاطمئنان بعد الدخول في مأزق ما، كان ليوبخنا قائلاً إن البكاء للضعفاء والمختئين. لقد كره نواحننا، وعلمنا بالطريقة القاسية أن نحل مشاكلنا الخاصة، وأن ننظف ما نخلفه وراءنا. كان رجلاً محبباً ولكنه كان أيضاً رجلاً شديداً يتوقع الأفضل منا، وكانت معاييره دوماً عالية جداً.

كان يحثنا دوماً ويدفعنا إلى الأمام لنكون شجاعين، ولمحاولة الخوض في أمور جديدة، ولامتلاك الإرادة لإثبات نفسينا. كان يحملنا على الاعتقاد بأننا نستطيع إنجاز ما نريده مهما كان ذلك الذي نريده.

هل تتذكر سياراة الأطفال التي صنعها عرابي لي؟ كانت من دون مكابح. فكنا نظير حرفياً أسفل التل المؤدي إلى بيتنا. في الواقع لقد استخدمنا سافيك الاصطناعيتين للتوقف وقضينا خلال تلك العملية على عدد لا يحصى من نعالك. وفي الوقت الذي كنا نصل فيه إلى مرحلة التوقف أخيراً، يكون خوفك الشديد من سرعتنا يكاد يحولك إلى حطام، ولكنك مع ذلك كنت دوماً مستعداً للعودة مباشرة والبدء من جديد.

وهل تتذكر يوم قررنا تسلق حائط القرميد ذلك، متظاهرين بأننا متسلقاً صخور وتثبتنا بخراطوم الماء؟ أتذكر أنني سألتك إذا ما كان الخرطوم آمناً ويقاوم الإجهاد، أجبتني، نعم، إنما بالطبع انقطع الخرطوم ووقعت من ارتفاع أربعة أمتار أو ما يقارب ذلك على الأرض. لقد كسرت يومها ذراعي، لكنك كنت أنت من كان يبكي مذهولاً. أعتقد أنك أحسست بالذنب بشكل مريع، ولذلك كنت أنا في النهاية من يواسيك.

ثم حان وقت اهتمامنا بالزلزلات. كنت متزجلاً جيداً، وحتى أفضل مني بكثير. كنت تمضي وقتك كله في التزلج، في الحقيقة إنني مقتنع حتى يومنا هذا أن ذلك التزلج كان ذا دور فعال في تنمية عضلاتك التي تستعملها الآن في الركض. أذكر كم كان معقداً وضع المزلاجين بالنسبة إليك، لأن الزلاجات مجهزة بقسم داعم للكاحل، وبما أنك لا تملك كاحلاً، فبالتالي لم يكن هناك مفصل وصل ينثني ويساعد قدمك لتدخل وتخرج. كنت صاعقاً، كنت متزجلاً رائعاً يخترع خدعاً مدهشة. أذكر بخاصة حين كانت سرعتك تزداد ثم تقفز إلى الأمام وتنزل بشكل مثير على ركبتك وبعد ذلك تنزلق إلى الأمام مثل نجم موسيقي أو سينمائي. وما إن أدركت أن الألياف الزجاجية التي وضعت لوقاية الركبتين تحميك أيضاً من إيذاء نفسك، لم يعد هناك ما يوقفك. كنت لا تعرف الخوف.

حين كنت تنمو، كانت ساقك البديلتان تستبدلان غالباً، ولكن لم يكن ذلك قط بالتواتر الكافي. بما أنك كنت نشيطاً وخشناً مع طرفيك الاصطناعيين، كانت ساقك البديلتان تلبيان وتتمزقان. كان لا بد من الذهاب كل ثلاثة أشهر أو ما قارب إلى التقنيين للحصول على الألياف الزجاجية الملائمة لأنك كنت حتماً تمزقها أو فعلياً تكسرها. بالإضافة إلى ذلك كانت أمتنا تحرص على أن تأخذ ملابسك إلى خياط خاص ليدعم سراويلك برقع مقاومة جداً بحيث لا تستطيع

تمزيقها فوراً بسهولة. ولو لو تفعل أننا ذلك، فإنك كنت ستمزق سروالك خلال ساعة من ارتدائه.

كل هذا كان يتطلب التحضير والوقت، والمناسبات التي كانت تتطلب أناقة أكثر كان على أننا أن تخطط لها مقدماً. أذكر ذهابنا إلى حفل عرس، وكانت أننا قد ألبستك سروالاً جديداً لكنك خربتته على الفور تقريباً إذ أخذت تتسلق الأشجار كلها وتزلق وتسقط عنها، ناهيك عن ذكر الاحتكاك بسبب الألياف الزجاجية واحتكاك الساقين البديلتين بالنسيج.

كلما سنحت لنا الفرصة كنت لتجدنا نتسلق كل ما كان متوفراً. في رأيي هذا هو السبيل الذي أمكنك من خلاله تطوير حسك المدهش في التوازن. وهل تذكر كم كان وزن ساقيك البديلتين الأوليين؟ أعتقد، لا بد من أنهما كانتا ثقيلتين بشكل غير معقول لطفل صغير سيحمل مثل هذا الوزن الثقيل جداً طوال الوقت؛ كان ذلك بمثابة تمرين دائم لك. كنت تضع هاتين الساقين الاصطناعيتين حتى بلغت الثانية عشرة أو الثالثة عشرة من العمر. وحين أصبحت أكبر، أصبحت أطرافك بالتالي أكبر وأثقل وزناً، مما يفسر كيف طورت مؤخرتك الرياضية.

في ذلك الوقت كنا ننام في سرير من طابقين وكنا نتشاجر كل ليلة حول من سينام في الأعلى. أنكر أن والدنا أجبرنا على التناوب في ذلك. نادراً ما استخدمنا السلم. كان الاختبار أن نضع أيدينا على الحافة ونستخدم قوة عضلات الجذع والكتفين والذراعين لسحب أنفسنا نحو السرير الأعلى. لقد كنت في الواقع قوياً. أذكرك وأنت جالس على أرض المطبخ تسحب نفسك نحو المنضدة بقوة الجزء الأعلى من جسدك فقط. كان حوالى هذا الوقت حين صنع والدنا لساقيك الاصطناعيتين بعض الجوارب المشكّلة بغرابة والمصنوعة من جلد الغنم؛ كانت الفكرة منها حماية ساقيك لأن الألياف الزجاجية تميل إلى التصدع حين يصبح الجو بارداً جداً.

بينما في "هوني ديو" كان رائعاً، بل جنة لولدين مثلنا، لم يكن هناك حدود للمساحة التي كنا لندور فيها على الدراجات، وكانت مملوءة بأشجار تنتظر أن نتسلفها. كنا محظوظين جداً بوالد يعمل بجد كي يوفر لنا كل هذه الأشياء من الناحية المادية (والذي جعل لنا وجود "بيت هوني ديو" ممكناً) وبوالدة قدمت لنا مثل هذه الرعاية والمحبة. باعتراف الجميع، كان هذا فقط الجزء الأول من حياتنا، ولكن من جهة أخرى يقولون إن الأعوام الأولى هي الأكثر أهمية. أنت وأنا كنا حليفين.

بالطبع تتغير الأمور مع مرور الوقت. اختلاف العمر الذي يفصل بيننا، عام وثمانية أشهر هي الآن غير ذات أهمية ولكن كفتى يافع، وبخاصة في الفترة التي تلت طلاق والدينا من بعضهما، شعرت بمسؤوليتي وتحملت كفتى هو البكر والأخ الأكبر بجديّة. شعرت أنني أحرص بشدة على حمايتك وحماية إيمي، ولكن أيضاً على توازننا العائلي. فقد كان من المهم بالنسبة إلي أن تكون متفاهماً مع إيمي وألا تتخاصما.

هل تذكر أنني حصلت على منحة دراسية، وأنتي رفضتها لأنني كنت قلقاً عليك وعلى إيمي ولا أريد في ترككما لوحكما. وحين ذهبت إلى المدرسة الداخلية كانت تتنازعني الهواجس باستمرار من أنني لن أكون إلى جانبك إذا ما احتجت إليّ، وشعرت بالارتياح حين جاء دورك للالتحاق بالمدرسة الداخلية. لقد تزامن التحاقك هذا مع خطوبة والدتنا وشعرت بسعادة واسترخاء لا اعتقادي أن الأشياء في طريقها إلى الاستقرار أخيراً، وسيكون هناك مجال أكبر لي لأتححر وأعبر عن نفسي.

لكن البساط سحب فجأة من تحت أقدامنا. كان ذلك في العام 2002؛ لقد تزوجت أنا في تشرين الثاني من ذلك العام، كانت ذكرى الميلاد الأولى التي نحتفل بها من دون والدينا وبمشاركة أصدقائنا في المدرسة وأجدادنا. لقد كان صيفاً رائعاً بالرغم من أنني أصبت بالتهاب الكبد وكنت مريضاً جداً بالفعل. حين عادت أُمي من العطلة أخبرتني أنها لم تكن بوضع صحي جيد على الإطلاق خلال شهر كانون الأول، وأن علامات المرض لديها هي علامات المرض نفسها التي عانيت منها قبل أن يتم تشخيص مرضي بالتهاب الكبد. ولكوني كنت مصاباً قبلها بالمرض فقد أفتع هذا أطباءها بأن ذاك أيضاً كان هو مرضها، وهكذا مر أسبوعان آخران أجريت لها خلالهما تحاليل من أجل التهاب الكبد في ثلاث مرات منفصلة. خلال هذه المرحلة كانت تستمر بأخذ دوائها، ولكن لسوء الحظ أننا قد اكتشفنا متأخرين أنها قد طورت حساسية تجاهه. استمر وضعها يسوء ولكنني واسيبتها وأخبرتها أنني أنا أيضاً عانيت جداً من التهاب الكبد وأنها ستتحسن. وفي الحين الذي أدرك فيه أطباؤها الخطأ وأدخلوها إلى المستشفى، كان الأوان قد فات.

كانت فترة مريّة من حياتنا، ولكن الشعور بقسوتها كان مضاعفاً بالنسبة إليّ. فلوقت طويل بعدها عذبي الإحساس بالذنب. لقد عشت ثانية مراراً وتكراراً محادثاتنا الطويلة معاً، وأنا جالس إلى جانب سريرها وهي تخبرني كم كانت تشعر بالألم، ومواساتي لها بأن الوضع كان مماثلاً تماماً بالنسبة إليّ خلال

مرضسي بالتهاب الكبد. حتى إنها سألتني في إحدى المرات عما إذا كنت متأكداً من أن علامات المرض هي نفسها ولكنني طمأنتها مؤكداً ذلك بكل بساطة.

إلى يومنا هذا أعتقد بأن إصابتي بالتهاب الكبد أعطتها شعوراً مزيفاً بالأمان، ويعني أنها لم تكن على نحو وثيق منتبهة بما فيه الكفاية إلى أعراض مرضها، أو إلى ضرورة الضغط على أطباؤها لإيجاد الإجابات الضرورية إضافة إلى خطة المعالجة الأكثر ملاءمة بسرعة أكبر. في أعماقي أعرف أنني لو لم أكن مريضاً بالتهاب الكبد لكان مرضها تخض عن حصيلة غير هذه. بعد قول ذلك، فإنني وصلت إلى قبول أن هذه هي الحياة، ليس مرضها خطأ أحد وإنما هو جزء من قدرنا التعيس. ولكن الموقف كان صعباً جداً عليّ، وحقيقة أنني لم أتحدث يوماً عن مشاعري، قد ضاعف الأمر تعقيداً بالنسبة إليّ. أفترض أنه يتوجب عليّ أن أجد السلام مع نفسي أولاً.

أعتقد الآن أن المسؤولية الملقاة على عاتقي والدور الذي أخذته على نفسي كابن أكبر بعد طلاق والدينا، أسهما إلى حد بعيد في سلوكي. السنة الأولى في المدرسة كانت المرة الأولى في حياتي التي تركت فيها شعري يطول، وحضرت الحفلات، وتناولت المشروب، ودخنت بقدر ما كان متاحاً من دون التفكير لأدنى حد في النتائج المحتملة. إفراطي الشديد أفضى إلى إصابتي بالتهاب الكبد، وعند التفكير بما حدث في السابق لا أملك إلا أن أعتقد أنني لو تصرفت بشكل مختلف لكنت الأمور اتخذت مساراً مختلفاً. أفترض حين يكون المرء يافعاً، وكنت حتى ذلك الحين يافعاً للغاية، فإنه يحتاج بشدة إلى سبب يشرح له سبب مجريات الأمور على تلك الشاكلة. كنت قريباً جداً من والدتنا وكان فقدانها ضربة وخسارة هائلة لي.

إن الإحساس بأنني قد ضحيت بشكل ما بحياتي وبنفسي من دون جدوى حين ماتت أمنا قد مزقني.

تعاملنا، أنا وأنت، مع تلك الفترة من حياتنا بشكل مختلف تماماً. استحلنت من شاب مهذب، يتحمل المسؤولية، ومنظم، ومولع بالدراسة، ورياضي إلى نائر طائش. كنت خارج السيطرة؛ كنت أشرب في المدرسة، وأدخل في عراكات وأذهب إلى الحفلات دائماً. لا شيء كان له حكم عليّ. ولم يبذ أي شيء ذا قيمة بالنسبة إليّ. بالرغم من أنني لم أر الأشياء بوضوح تماماً في ذلك الوقت، إلا أنها كانت طريقتي في تحمل أساي، وتبقى فترة من حياتي كبرت فيها كثيراً وتعلمت الكثير أيضاً. كان رد فعلك على العكس من ذلك تقريباً؛ أصبحت بشكل لا يصدق مركزاً ومنقاداً ضمن ألعابك الرياضية المختارة وبرامجك التدريبية التي بدأت كثافتها تزداد.

بعد وفاة أمتنا رفضتُ العودة إلى المدرسة الداخلية، رفضت أن يكون لي أي علاقة بهذا العالم، وكذلك لم أرغب في رؤية أحد، بينما كان رد فعلك الأولي هو العودة إلى المدرسة، والبحث عن ملجأ لك بين أصدقائك. أتذكر كيف تملكنتي الدهشة وشعرت بالإهانة لأتُك أرددت العودة إلى المدرسة الداخلية عشية جنازتها. ولا أعتقد أنني أخبرتك في يوم من الأيام بأن سلوكك كان خارج قدرتي على الفهم.

على مر السنوات لعبت جدتنا دوراً حيوياً في إبقائنا قريبين من بعضنا. إنها امرأة مدهشة وأحبها من كل قلبي تقريباً بقدر ما كنت أحب أمتنا. كان حضورها ثابتاً في حياتنا، فوقفنا إلى جانبنا، وكانت الشخص القادر على إقناع كل منا للاستماع إلى الآخر لنصل بالتالي إلى امتلاك فهم أكبر لآراء أخرى ولمقاربات مختلفة عن تلك التي نملكها، وهذا الجانب لم يتبدل لديها خلال هذه المحنة. إنني أعتبرها الأم الحاكمة على رأس أسرتنا.

كافحننا من أجل الوصول إلى اتفاق في الرأي خلال تلك الفترة، ولكن لحسن الحظ أن جدتنا أعادت الوفاق بيننا. كان هناك استياء وسوء فهم بيننا. لقد استغرقت في أساي، وكان ترتيب نفسي أصعب مما كنت لأتخيل، وكان يبدو لي أنك هجرتني في لحظة حاجتي إليك. شعرت بأنك كنت تأتمن أصدقائك على أسرارك، وأنهم هم من ينفخونك الدعم، وأنت قد تحولت بعيداً عني. أعلم أننا أنا وإيمي وأنت أشخاص منغلزون، وأن كلاً منا حذر جداً عندما يصل الأمر إلى العواطف والأشخاص الذين نمنحهم هذه العواطف، وأن هناك فرقاً كبيراً بين الأصدقاء والأصحاب والمعارف. خلاصة القول إنني كنت أشعر بنفسي وحيداً، وهكذا مع الوقت أصبح الحديث عن وفاة أمتنا أمراً ممنوعاً، وهو الموضوع الذي قلما ونادراً ما كنا نتحدث عنه.

كانت حياة إيمي مختلفة عن حياتنا، وتطلبت منها مواعيم من نوع مختلف. بينما كنا نحن نقطن في مدرسة داخلية، كانت هي تعيش مع عمنا دايان. ولكننا كثيراً ما كنا نتحدث مع بعضنا ونمضي نهاية الأسبوع معاً.

أظن أن شخصياتنا وحياتنا تشكلت من خلال هذه الخبرة. إنه جزء لا يتجزأ من طريقة مقاربة عائلتنا للحياة والدرس الذي مفاده، إذا فقدت طريقك في الحياة، فلا أحد يستطيع أن يجده لك، يجب أن تفعل ذلك بنفسك. أنت فقط من تستطيع أن تساعد نفسك. يجب أن تعتمد على نفسك لتجد طريقك، وأن تبقى مخلصاً لذلك الطريق. ولأكون صادقاً، لقد استغرق مني فترة طويلة لإيجاد طريقي من جديد.

بعد وفاة أمانا انكفأت جداً على نفسي، فمن ناحية أردت أخي واحتجت إليه، ومن جهة أخرى رفضت كل شيء، ما من شيء كان يمسنني، لا شيء كان يثير اهتمامي. أمانا لم تعد معنا، ونتيجة لذلك فقدت حياتي معناها، أما أنت فكانت تبدو متصالحة مع ذاتك، سعيداً في مدرستك الداخلية ومحاطاً بأصدقائك. الرياضة والتدريب أخذاك من هواياتك السابقة مثل قضاء فترة العصر على دراجتك النارية.

بعد فترة، عندما استنزفت بدائلي، عدت أيضاً إلى المدرسة الداخلية. لقد كانت تلك العودة تمثل تسوية موفقة. وقررت أنه إن كانت المدرسة الداخلية نافعة بالنسبة إليك، فقد تكون نافعة بالنسبة إلي أيضاً.

على الأقل كان لك حضور في ثانوية بريتوريا للبنين، وبالرغم من أنني لم أكن متحمساً لأصدقائك، وحتى إنني جعلت نفسي عرضة لغضب مدير المدرسة، إلا أنني أخيراً وطلدت مكاناً لنفسي.

لا يمكنني القول بأنني كنت دعماً كبيراً لك في تلك المرحلة. بالطبع عندما كان أحدنا يشعر أنه في حالة ضعف وتدهور كان يُسر كل منا للآخر، ولكن إن وضعنا هذا جانباً، فإننا كنا نتقاتل بشكل مرير. كنا نتخبط في طريقنا في وقت عصيب من حياتنا.

حمداً لله أن الأمور أصبحت مختلفة اليوم. بالرغم من أننا نادراً ما نتكلم عن خسارة والدتنا وكم نفتقدها، فإننا قريبان جداً من بعضنا ثانية. من الصعب أن يعرف المرء من أين يبدأ، إذ يكُن كل واحد منا الكثير من الاحترام للآخر، وكلانا فردان كتومان.

لحسن حظ كل منا، شكلت إيمي دعماً مدهشاً لنا كلينا. لقد عالجت وفاة أمانا بأفضل مما فعلنا نحن، وهي مستمعة جيدة. موقفنا كان مختلفاً؛ أنت وأنا متشابهان ومن الصعب إلى درجة رهيبية أن ترى شخصاً تحبه يتألم بمرارة لأمر يسبب لك أنت أيضاً الألم، لقد كان الموقف محبطاً جداً وتركني أشعر أنني خائر القسوى، إذ لم يكن هناك ما أستطيع فعله وما من طريقة يمكنني من خلالها أن أحسن من الموقف. شعرت باليأس وكافحت لأجل أن أترك الأمور تسير، وأترك الزمن يفعل فعله.

حتى اليوم نميل إلى التشارك بالأمور الحسنة في حياتك: مغامراتك، اكتشافاتك الرائعة والجديدة التي حققتها في رحلاتك حول العالم، بيتك الجديد، كلابك، النساء... الإنترنت أقرب منك إلى المعلومات بخصوص مهنتك. أعرف أننا مترابطان برباط أوثق وأشد عمقاً من هذه الأشياء الجديدة في حياتك أو في

حياتي، وأنه إذا طرأ أمر مهم في حياتك، فستشارك به معي وكذلك الحال بالنسبة إليّ. في بعض المناسبات وجدت نفسي جالساً في البيت أشاهد التلفاز بينما أنت مسافر وشاهدتك عبر شاشة التلفاز. إنه شيء لا يصدق، استبدت بي الحماسة إلى درجة طفرت فيها الدموع من عيني، دموع الفرح بالطبع. في المرة الأخيرة أخذت أصيح مخبراً كل من يمكن أن يستمع إليّ، بأنك أخي، وبأنني فخور جداً بك.

كانت هناك مناسبات أخرى حيث رأيتك عائداً للتو من رحلة، ومستنفد القوى بشكل مطلق ولكن غير قادر على الاسحاب لتجلس يهدوء وتريح نفسك ببساطة. بالرغم من أنني أحترم خياراتك، إلا أنني أقلق عليك لأنك أخي ولأن أملك يهمني.

يرى فيك الآخرون أوسكار بيستوريوس، الرياضي النجم الذي حقق المستحيل، في حين أراك أنا رياضياً لامعاً، ولكن أولاً وفوق كل شيء أراك أخي.

يميل الناس إلى الاعتقاد بأن حياتك كلها مجد وشهرة ولكنني أعلم كم تتدرب بجد وكم تضحي لتجعل هذه الإنجازات واقعاً. هل تذكر آخر مرة، كانت الساعة تشير إلى الحادية عشرة والربع ليلاً، وكنت قد وصلت لتوي من رحلة بالطائرة عائداً من كيب تاون (هناك على الدوام رقمان فقط على الهاتف الخليوي لا أتوانى على الدوام عن الإجابة عليهما، إنهما أنت وإيمي) حين اتصلت بي وقد تملكك حالة من الحصر النفسي، لتفرغ شيئاً مما اعتراك من إجهاد برنامج التدريب، ناهيك عن ذكر الانتظار المريع لتتطرق المحكمة بحكمها. قدمت مباشرة لرؤيتك حينها، وسأكون دوماً متواجداً من أجلك كما أعلم أنك ستكون متواجداً من أجلي.

قبل بضعة أيام كنت أتحدث مع صديق لي. سألتني عنك فأخبرته بكل ثقة: "إنني مستعد لأن أبذل الغالي والرخيص لأجل أخي". ضحك وقال لي إنه بالرغم من أنني قد أقوم بذلك فعلاً، فقد لا يبدو من المحتمل أن أخاك سيفعل الشيء ذاته لأجلك. حسناً، أنا أعلم أنه كان مخطئاً. أعلم أنك ستبذل كل جهد لازم لأجلي. وبصراحة حتى وإن كنت غير متأكد بهذا الشكل فلن يتغير شيء بالنسبة إليّ. نحن لسنا بصدد علاقة تقوم على المنفعة المتبادلة. فهناك بعض العلاقات في الحياة قائمة على الحب غير المشروط، وحبنا هو من هذا النوع.

الرسالة الثانية:

هينك بيستوريوس

إلى أوسكار بيستوريوس،

كيب تاون 6 حزيران 2008

الغالي أوسكار،

يا ولدي الغالي، كنت أشاهدك في الآونة الأخيرة عبر شاشة التلفاز. لقد أسعدتني وجعلتني فخوراً بك إلى درجة أتمنى فقط أن تعرف أنت أيضاً مثل هذه الفرحة حين يأتي الوقت المناسب وتصبح أباً.

بينما تسرد قصتك في هذه السيرة التي كتبتها، يشرفني ويسعدني أن أكون قادراً على المشاركة بذكرياتي، وهذا يعطيني بالفعل الفرصة لإحياء أجزاء من حياتي.

حتى من قبل أن يولد كارل، قررت ووالدتك أننا نريد ثلاثة أطفال. كنت أرغب في أسرة كبيرة مثل أسرتي، لكن أمك سخرت مني وقد أثارت حفيظتها فكرة أن يكون عليها ولادة فريق ركبي وتنشنته. بدا الرقم ثلاثة كتسوية جيدة جداً لنا كلينا. لو كان لدينا طفلان فقط لما وُجد من يكسر دورة المشاحنة، بينما عندما يوجد ثلاثة إخوة لا تستطيع المجادلة مع اثنين في الوقت نفسه، لذلك يكون لديك دوماً حليف وتوازن صحي في العائلة. لو كنت قادراً على الاختيار لطلبت أن يكون الطفل الأول ولداً، ولذلك فقد ابتهجت عندما وُلد كارل. وعندما حان الوقت ليكون لدينا طفل ثانٍ سألت شيلا الشخص الذي يؤدي لها الأشعة

فوق السمعية أن يخبرها بجنس الطفل، وهكذا عرفت أنك في طريقك للقدوم إلى هذا العالم. أما أنا فقد أردت أن يكون الأمر مفاجأة، وعليه فقد حفظت تلك المعلومة في قلبها. أخيراً عندما حان الموعد ودخلت شيلا غرفة المخاض سألني طبيب الولادة عن جنس المولود الذي أفضله. أجبت بأن جنس الطفل غير مهم بالنسبة إليّ؛ كل ما أريده هو طفل رضيع صحيح الجسم، بعشرة أصابع في اليدين وعشرة أصابع في القدمين. ذلك سيكون نعمة كبرى. ويا لسخرية الأقدار! حين ولدت لم يلاحظ أخصائي الولادة وكذلك لم تلاحظ القابلة أن قدميك كانتا مختلفتين. لاحظت فوراً، حالما رأيتك. كنت أهزك في ذراعيّ بينما كان أخصائي الولادة يقصّ الحبل السري وأتذكر بشكل واضح أنني أخبرته أن هناك شيئاً مختلفاً في قدميك. لم أقل أبداً إن هناك خطأ أو أمراً غير طبيعي، أذكر بوضوح أنني استخدمت كلمة مختلف. فتحنا الدثار الذي لُففت به، وكانت إحدى قدميك رفيعة، رقيقة للغاية.

الأفكار الأولية التي انتابتني في تلك الدقائق الطويلة بعد مولدك هي بالضبط تماماً مثل أفكار اليوم. حين يحدث شيء ما، شيء مختلف عما تتوقعه من موقف أو حادث - أنا أمقت وصف شيء بأنه طبيعي أو أنه شاذّ لأنني لا أعتقد أن هذه تعابير بناءة - من المهم أن تتذكر بأنه يوجد دائماً شيء أعلى، ميز النواحي الإيجابية وضعها بعدها في بؤرة تركيزك.

بينما كنت تكبر، كنا نمضي وقتنا بالذهاب من أخصائي إلى آخر، بالمجموع راجعنا أحد عشر طبيباً. ولا تنس أن الإنترنت لم تكن قد ظهرت للاستخدام كأداة بحث. كنا نسمع طبيب في أميركا على لسان أحدهم وبعد ذلك نحاول الاتصال به عبر الفاكس أو الهاتف. لكن لم يكن ذلك أبداً بالأمر السهل، فكثيراً ما كانت الأرقام غير صحيحة، ومن ثم بالطبع كان الأطباء مشغولين لذا فهم لم يكونوا يعاودون الاتصال بنا بالضرورة فوراً. كنا غالباً عالقين بين إرسال فاكس للمرة الثانية مع المغامرة في مضايقة الطبيب أو الانتظار والتعامل مع مستويات قلقنا الخاص وتوترنا. عندما يدور الأمر حول طفلك فإنك تحتاج إلى الوصول إلى أساس الحالة بأسرع ما يمكن، وأن تكتشف بقدر ما تستطيع، وأن تجد أفضل الخيارات والقرارات التي يتوجب عليك اتخاذها.

في النهاية ضيقنا اللاحقة إلى ثلاثة خبراء، ثم خصصنا الوقت والمكان المناسبين لهم جميعاً، كي يجتمعوا وناقشوا حالتك وجهاً لوجه. أنا متأكد من أن كل طبيب يذكر ذلك الاجتماع حتى هذا اليوم. وكما تعلم أحد هؤلاء الأطباء هو غيري فيرسفيلد. كانت استنتاجاتهم كالتالي:

بتر سافك اليمنى كان ضرورة لا مفر منها لأنك تفتقد العظام الضرورية، الموقف بالنسبة إلى سافك اليسرى كان أكثر تعقيداً وكان على الأرجح أن تكمل الجراحة الترميمية بالنجاح. ثم أخبرني غيري عن ملتقى طبي نصف سنوي يركّز بمجمله على حالات البتر الثنائي الذي كان على وشك أن يتم. اتصلت هاتفياً بمنظمي الملتقى وشرحت لهم أنني أريد أن أرسل الأخصائي غيري فيرسفيلد للحضور (كان معروفاً جداً وكان قد دعي سابقاً إلى الملتقى نفسه)، مع الصور المتعلقة وتوثيق الأشعة السينية الخاص بظرف ابني بحيث يمكن تفحص حالته في الملتقى. لحسن حظنا جميعاً أنهم وافقوا، وهكذا جاء غيري وقدم تقريره عن حالتك أمام أكثر من ثلاثمئة من أعظم المختصين في العالم، وتشارك معهم الرأي. لقد كان قراراً بالإجماع: أوصوا بالبتر الثنائي تحت الركبة. بالرغم من أن الموقف لم يكن سهلاً علينا قط فقد أحسنا بالراحة لأننا كنا نشعر بأننا عملنا كل ما هو ممكن للحصول على أفضل نصيحة.

بالطبع، الجزء الأصعب كان أماننا.

نصحنا غيري بالبتر بأسرع ما يمكن، وبشكل حاسم قبل أن تتعلم المشي. وشرح لنا أنك إن لم تتعلم المشي مطلقاً على قدميك فإنك لن تتألم أبداً لفقدان قدمين تسير عليهما، وستتعلم أيضاً المشي بالساقين الاصطناعيتين ببسر أكبر. أوضح لنا غيري بأنه سيقوم بالبتر في مفصل الكاحل وبعد ذلك سيزرع جلد الكعبين في نهاية مكان البتر، أي في قاعدة الجذعين لجعلهما أقوى وأكثر مقاومة، وقادرتين على حمل وزن جسدك بالإضافة إلى الاحتكاك الذي سيحدث مع الساقين الاصطناعيتين في المستقبل.

ضغطنا على غيري ليشرح لنا العملية بالتفصيل. ولكن دعني أخبرك يا ولدي انه لم يكن من السهل علينا الاستماع. واقع العملية كان رهيباً بالنسبة إلينا. وكطفل رضيع كانت قدمك حساستين وسريعتي التدغدغ. لقد أمضينا وقتاً طويلاً معك وأنت متمدد إلى جانبنا ونحن نحضنك وتدغدغ قدميك بينما أنت تضحك بمنتهى الروعة. كانت فكرة قطع الأطباء لقدميك وإلقائهما مع النفايات تفوق القدرة على التحمل. وهو شيء لا أتمناه حتى لألد أعدائي.

الشكر لله، لقد نجحت العملية وكان تعافيك استثنائياً. طرفاك البديلان الأولان كانا من دون أصابع مقولية عند نهايتهما: كنت تبدو مثل قرصان صغير بهما، وعندما أحطت بالأمر تماماً لم يعد ممكناً جعلك تحجم عن شيء. فأنت غير قادر على الجلوس بهدوء، وكان البيت يردد صدى صوت النقر الصادر عن الطرفين البديلين بينما كنت تتسابق في أرجاء المكان.

كنت طفلاً سعيداً وقوياً وواثقاً. كانت شيلاً - كأي أم أخرى - تحاول بغريزة الأمومة أن تساعدك كلما وقعت في صعوبة. كنت أحاول ألا أشجع هذا التصرف لأنني كنت أشعر أنها بمساعدتك ستسيء إليك أكثر مما تنفعك. كنت أكثر شدة معك (الدرجة القسوة أحياناً) لأنني كنت أعلم أنه يجب أن تكون دائماً مكتفياً ذاتياً.

كنت دقيقاً معك أكثر مما كنت مع كارل لأنني كنت أعرف بأنك ستصادف عقبات أكثر في حياتك: الأولاد ليسوا دائماً لطيفين مع بعضهم بعضاً وهم يقومون في كثير من الأحيان بالتمتر على من هم مختلفين عنهم أكثر بكثير مما قد نعرف بحدوثه. هكذا هي الحياة، وكنت أريد أن أضمن أنك إذا واجهت يوماً ما مصاعب ولم أكن إلى جانبك لمساعدتك، فستكون قادراً على الخروج منها.

حين كنت صغيراً وضعت مبدأ لعدم التدخل، كنت فقط أراك من بعيد. كنت تعرف دوماً أنك في البيت قادر على مناقشة كل ما يحدث. غالباً ما كنا نتحدث عن ردود فعل الناس تجاهك ونوضح أنهم لا يفهمون، وأنهم جاهلون، وأنه يقع على عاتقك أن تشرح لهم الأمور.

أعتقد أن هذه الخبرات كانت مناسبة لك، خاصة لأنك إنسان تحسن التواصل مع الآخرين وتحب الناس.

لم يمض وقت طويل على عمليتك حين أصبحت أمك حاملاً مرة أخرى. أذكر أنك وكارل كنتم تدوران كحلتين صغيرتين من حولها متلهفين دوماً لوضع أيديكما على بطنها للإحساس بحركة الجنين.

ثم حين ولدت إيمي لا أنسى دهشتك حين قلت: "انظر، إن لها قدمين!". لم نلق يوماً الكثير من الببال إلى سلوكك، رغم أنك كلما سبحت لك الفرصة بعد أن تضع والدتك إيمي في سريرها وهي نائمة، كنت تجيء وتحببها باسم الدلع الذي اخترعته لها، غوغو، وترفع دثارها وتقبل قدميها الصغيرتين. كنت تثير جنون أمك حيث كان ولا بد لك في النهاية من أن توظف إيمي فيتوجب عليها بالتالي أن تبدأ العملية المرهقة لتجعلها تنام مرة أخرى.

كنت على الدوام شخصاً تلقائياً، ما إن يحدثك قلبك بشيء حتى تتصرف بناء عليه. وكان هناك الكثير مما هو محبب في سلوكك. كنا نعرف أن حب الاستطلاع لديك أمر في طبيعتك فتركناك وشأنك لتحقق اكتشافاتك بنفسك. كنا غالباً ما نناقش سلوكك؛ كنا نسميه "تمودج أوسكار بيستوريوس". قدرك أن تكون كما كنت وكما أنت الآن، ونحن كنا مصممين على أن نقبلك من دون محاولة إخفائك أو تغييرك، وأعتقد أن هذا قد أحدث فرقاً كبيراً لكل منا.

توفرت هناك جماعات دعم للأطفال والأهل الذين مروا أيضاً بتجارب بتر مماثلة، وسرعان ما أدركت أنا وشيلا أننا بالرغم من أرجحية قدرتنا على مساعدة الكثيرين من الأهالي الموجودين، إلا أن قلة فقط منهم، إذا وجدوا أصلاً، هم القادرون على مساعدتنا. إن القضية كلها تتعلق بالموقف الذي تتخذه الأسرة، وعلى الأغلب فإن موقف الأهل من الطفل، وليس موقف الطفل من نفسه، هو ما يسبب المشاكل.

أذكر اجتماعاً خاصاً لمجموعة الدعم في جوهانسبيرغ. كانت امرأة مع ابنتها تسيران مباشرة أمامي. كانت البنت جميلة شقراء ذات ابتسامة حلوة، ولكن من دون ذراعين. كنت أعلم أننا متوجهون إلى الاجتماع نفسه، حين طلبت الأم فجأة من ابنتها أن تتنحي إلى هذا الطريق، لأن في تلك الجهة أناساً كثيرين كانوا بكل تأكيد سيحقدون إليها.

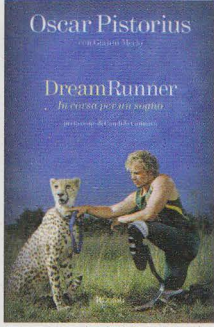
لقد روّعتني ما سمعت: كيف تستطيع أم أن تقول لابنتها مثل هذا الكلام؟ المشكلة لدى الأم، وليست لدى الطفلة. كنت حزينا لما سمعته، ولذلك حين بدأ الاجتماع، وقفت وأخبرت الحاضرين جميعهم أن هذا هو اجتماعي الأخير، لأنني كنت مقتنعاً أن معظم الكبار في هذه القاعة الذين كان يفترض أنهم قد قدموا ليتعلموا شد أزر من عاتوا من البتر، هم في الواقع جزء من المشكلة. كانت موافقهم هي التي تسبب هذه الصعوبات في حياة أطفالهم.

أحمد الله تعالى أنك بفضل لم تعان بتاتاً من هذه المشكلة. كنت دوماً مرتاحاً مع نفسك، وفخوراً بها. كل شيء جاءك بشكل طبيعي. حتى حين وضعت ساقيك الاصطناعيتين لأول مرة، كانتا جديدتين تماماً، لكنهما مع نهاية اليوم أصبحتا كما لو أنهما قد وضعا منذ أشهر. لقد خدشتا وقطعتنا لأنك كنت دوماً تركز وتتسلق وتصطدم بالأشياء، كنت جريئاً وتعود بابتسامة المشاغب لتقول: "انظر يا أبي، لدي كدمة!".

ابتسامتك لا تتغير، ابني العزيز، تماماً كما هي قوة سماتك الشخصية ومقاربتك للحياة المعتمدة على التوكل. أمنيتي لمستقبلك أن تبقى ابتسامتك مضيئة وصافية كما هي اليوم، وأن تستمر في مواجهة تحديات جديدة بعد كل إنجاز رائع تحققه.

والدك

«... لقد ولدتُ مع نقص في عظمتين هامّتين في كلّ من ساقَيّ: إنها القصبّة الصغرى، أي العظمة الخارجيّة من الساق.



كان الجراح مقتنعاً بأنه في حال كان والدايّ مستعدّين لاتخاذ قرار جريء وشجاع، يتم على أساسه بتر ساقَيّ كليهما من أسفل الركبة في طفولتي، فإنني سأتعلم المشي بطرفين اصطناعيين بمتاعب أقل. هكذا، وبعد مضي أشهر من المحادثات الأولية اتّخذ قرار الخضوع لعملية البتر. فأجرى لي الدكتور غيري فيرسفيلد العملية وأنا في الشهر الحادي عشر من عمري.

بعدها بستة أشهر، عندما كنت في الشهر السابع عشر من عمري وحسب، تلقيت أول زوجين من ساقَيّ الاصطناعيتين. كانتا مصنوعتان من الجص والشباك، مع طبقة من «الجلد» المصنوع من الليكرا، والملون حتى بلون البشرة. لقد صنعتا على مقاسي تحديداً وكانتا مريحتين بشكل مدهش. لقد أحببتهما؛ ومنذ ذلك اليوم بتّ لا أقهر. لقد أضحي مغزى وجودي العثور على الأماكن الأكثر ارتفاعاً وغير المتوقعة لأتسلقها، فأنجح ثم أبدأ من جديد. لقد كانت طاقتي لا تعرف حداً، ولم أر أي سبب يمنع ساقَيّ الجديتين من أخذي إلى أي مكان أحتاج أو أرغب بالذهاب إليه.

كان الجري جزءاً من تدريبي على رياضة الركبي. وبالإضافة إلى برنامج التدريب على الرياضات المدرسية التي تختارها، كانت المدرسة تفرض أربعة سباقات إلزامية أسبوعياً. كنت في ذلك الحين أتدرب بجد، وبعد أدائي الجيد في ألعاب جنوب أفريقيا للمعوقين أخبرت أنني وبعد ثمانية أشهر فقط من ممارسة الألعاب البدنية، قد تم اختياري للمشاركة في الألعاب البارالمبية في أثينا لعام 2004....».

بعد فوزه في أثينا كرت سبحة انتصارات أوسكار بيستوريوس وصولاً إلى الألعاب الأولمبية في بكين حيث فاز بثلاث ذهبيات وحطّم رقماً عالمياً في مباريات الجري، تقوده كلمات أمه: «ليس الخاسر من يأتي آخراً في السباق، بل الذي يجلس على كرسي متفرجاً على المتسابقين، ولم يجرب مرة أن ينافسهم».



ISBN 978-9953-87-805-8



بيلانت بوكسل



45.00 LE

431*

العداء المعجزه

جميع كتبنا متوفرة على شبكة الإنترنت

في

نيل وفورات

neelwafurat.com
www.nwf.com



الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com